إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الأحوال العامة لبيت المقدس من بداية العصر العباسي وحتى الغزو الصليبي 132-492هـ/750-1099م (دراسة حضارية)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name:	اسم الطالب/ة: بكر حرب أبو حليمة
Signature:	التوقيع: بكر
Date:	التاريخ: 7 / 03 / 2016

الجـــامعة الإسلامـــية- غزة
عمادة الدراسات العليا
كليـــــــــــة الآداب
قسـم التاريـــــــــخ

الأحوال العامة لبيت المقدس من بداية العصر العباسي وحتى الغزو الصليبي ١٣٢-٤٩٢هـ/٧٥٠-١٠٩٩م

(دراسة حضارية)

إعداد الطالب :

بكر حرب سليمان أبو حليمة

إشراف الدكتور :

غسان محمود وشاح

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

في التاريخ الإسلامي

١٤٣٧هـ/٢٠١٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم.....ج.س.غ/35/..... Ref

التاريخ.....2016/02/22م..... Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **بكر حرب سليمان أبو حليمة** لنيل درجة الماجستير في **كلية *الآداب*/ قسم التاريخ**، وموضوعها:

الأحوال العامة لبيت المقدس من بداية العصر العباسي وحتى الغزو الصليبي 132 – 492هـ – 750 –1099م "دراسة حضارية"

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الاثنين 13 جمادى الأولى 1437هـ، الموافق2016/02/22م الساعة العاشرة صباحاً بمبنى القدس، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. غسان محمود وشاح	مشرفاً و رئيساً	.....
أ.د. رياض مصطفى شاهين	مناقشاً داخلياً	.....
د. عبد الحميد جمال الفراني	مناقشاً خارجياً	.....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية *الآداب*/قسم التاريخ**.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

نائب الرئيس لشئون البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. عبدالرؤوف علي المناعمة

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine fax: +970 (8) 286 0800 فاكس Tel: +970 (8) 286 0700 ص.ب. 108 الرمال، غزة، فلسطين هاتف
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

بسم الله الرحمن الرحيم

سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى

بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ

الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ

الأُقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ

لِنُرِيَهُ مِنْ آياتنا إِنَّهُ هُوَ

السَّمِيعُ البَصِيرُ[1]

(١) سورة الإسراء، آية ١

إهداء

إلى والديَّ أطال الله بقاءهما وزادهم من الأعمال الصالحة.

إلى زوجتي أم عبد الله التي هيأت لي أسباب الراحة وطلب العلم، والتي حمدت على حُلو الحياة، وصبرت على مُرها ... ·

إلى أشقائي وشقيقاتي... ·

إلى أولادي عبد الله وملك وسارة فلذات كبدي... ·

إلى أهلي، وأحبائي، وكل من يهمه أمري ... ·

إلى جميع الشهداء، والجرحى، والمعتقلين ... ·

إليهم جميعاً أهدي هذا العمل المتواضع.

الباحث

الشكر والتقدير

انطلاقاً من قول النبي -ﷺ-"لا يشكر الله من لا يشكر الناس"[1] فبعد شكر الله تعالى –سبحانه وتعالى– الذي منَّ عليَّ بإتمام هذه الرسالة، وعرفانا بالجميل، واعترافا بالفضل فإنني أتقدم بجزيل الشكر لأستاذي الفاضل الدكتور غسان محمود وشاح_حفظه الله_ ورعاه ، الذي غمرني برعايته، وتفضل مشكورا – جزاه الله كل خير– بالإشراف على هذه الرسالة، وبذل لي جلّ جهده، وفتح لي قلبه ومكتبه، وتفضل عليّ بوقته الثمين موجها كريما، وناصحا أمينا، منتفعا بشيء من علمه الغزير، وخبرته الواسعة، حتى خرجت هذه الرسالة بهذه الصورة.

فجزاه الله خير الجزاء، والله أسأل أن يبارك في عمله، وأن يطيل في عمره، وأن ينفع به، وأن يجعلنا وإياه من الفائزين بالجنة.

كما لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان ، لأساتذتي الذين تتلمذت على أيديهم، وأتقدم بالشكر إلى كل من وقف إلى جانبي وشجعني بنصيحة أو كلمة.

ولا أنسى جامعتي الغراء، منارة العلم التي احتضنتني في كنفها، فكل الشكر والتقدير لها وللعاملين فيها.

(١) ابن حبان، صحيح، ج ٨، ص ١٩٨

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة:	خ
الفصل الأول: جغرافية مدينة بيت المقدس و أسمائها وأهميتها الدينية وأهم الأحداث السياسية	
المبحث الأول: جغرافية بيت المقدس وأسمائها	٢
المبحث الثاني: الأهمية الدينية لمدينة القدس	٨
المبحث الثالث: الأحوال السياسية في بيت المقدس	١٥
الفصل الثاني: الأحوال الإدارية والاقتصادية في بيت المقدس	
المبحث الأول: الأحوال الإدارية	٤٢
المبحث الثاني: الأحوال الاقتصادية لبيت المقدس وقراها	
أولا: الزراعة	٥١
ثانيا: الصناعة	٦٤
ثالثا: التجارة	٦٨
الفصل الثالث: الأحوال الاجتماعية في بيت المقدس	
المحور الأول: التركيبة السكانية لبيت المقدس	
أولا: الوجود العربي الإسلامي في المدينة المباركة	٨٠

ثانيا: النصارى في بيت المقدس	٩٢
ثالثا: اليهود في بيت المقدس	٩٥
المحور الثاني: العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس	٩٧
المحور الثالث: علاقة أهل بيت المقدس بالولاة والحكام	٩٩
المحور الرابع: أثر الأزمات والكوارث على سكان المدينة	١٠٢
المحور الخامس: الأعياد والمناسبات الإسلامية والمسيحية	١٠٨
المحور السادس: الأزياء والملابس	١١٣
المحور السابع: مأكولات المقدسيين	١١٧
المحور الثامن: عادات الدفن في المدينة وأهم مقابرها	١١٨
الفصل الرابع: المراكز العلمية والثقافية وأهم علوم وعلماء مدينة بيت المقدس	
أولا: المراكز العلمية والثقافية في بيت المقدس	١٢٤
ثانيا: أهم علوم وعلماء بيت المقدس	١٣٢
الخاتمة	١٧٧
المصادر	١٧٩
المراجع	١٩٧
ملخص البحث باللغة الانجليزية	٢٠٢

مقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً مباركا فيه يوافي نعمه، ويليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، فهو ولي كل توفيق، وملهم كل خير، والهادي إلى كل حق، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وسيد الخلق أجمعين محمد بن عبد الله -ﷺ- وبعد.

احتلت مدينة بيت المقدس مركز الصدارة، ومحور اهتمام الباحثين في التاريخ الإسلامي، كونها تمثل مرحلةً مهمة من تاريخ الأمة العربية والإسلامية، لأنها قبلة الديانات، وفيها نشأت الحضارات، ونظرا للوضع الذي تعيشه مدينة بيت المقدس من محاولات اليهود إلغاء قدسية المدينة وطابعها الإسلامي وعروبتها ومعالمها التاريخية، بل تغيير وتزوير مشاهد وشواهد المدينة المباركة، وذلك بإضفاء الطابع العبري عليها وتهويدها شكلاً ومضموناً؛ حظيت المدينة باهتمام الباحثين في شتى مراحلها التاريخية التي تدلل بلا ريب على عروبتها وأصالتها.

وقد عزمت على الخوض في هذه الدراسة لعدة أسباب منها:

١. إن معظم المؤرخين القدماء الذين كتبوا أحداث ذلك العصر، كان تركيزهم على الحياة السياسية، أما الجوانب الاجتماعية فقد جاءت في ثنايا مؤلفاتهم، وهذا ما سيقوم الباحث بإبرازه.
٢. أن موضوع القدس على أهميته لم يتم دراسته دراسة أكاديمية وافية تعطيه حقه وتقف على جوانبه المختلفة.
٣. بيان أثر الموقع الديني والتجاري والاستراتيجي والحضاري المتميز للمدينة على جوانب الحياة المختلفة داخلها وخارجها.
٤. محاولة استكشاف المجتمع المقدسي خلال فترة الدراسة بطوائفه ومكوناته المختلفة والتعرف على أهم العوامل المؤثرة فيه.
٥. تزويد المكتبة العربية بمعلومات وحقائق عن مظاهر الحياة الاجتماعية في بيت المقدس أثناء الحكم العباسي.
٦. إبراز دور المؤسسات العلمية في المدينة في بيت المقدس والوقوف على أبرز العلماء ودورهم الحضاري.

حدود الدراسة :

الحد الزماني: تبدأ الدراسة من (١٣٢ هـ- ٧٥٠ م) وهو العام الذي بدأت فيه الخلافة العباسية سيطرتها على بيت المقدس وغالبية المجتمع الإسلامي. وقد آثرت أن تمتد حدود الدراسة من العصر العباسي حتى الاحتلال الصليبي (٤٩٢ هـ- ١٠٩٩ م) لأنه بعد ذلك تبدأ مرحلة جديدة تماماً لهذه المنطقة حيث الاختلاف السياسي والعقائدي والحضاري.

الحد المكاني: بيت المقدس وضواحيها.

خطة البحث:

قسمت الدراسة إلى أربعة فصول، تناول الفصل الأول جغرافية مدينة بيت المقدس وأسمائها وأهميتها الدينية وأهم الأحداث السياسية، أما الفصل الثاني فقد تناول الأوضاع الإدارية والاقتصادية بيت المقدس، بينما تناول الفصل الثالث الأوضاع الاجتماعية في المدينة، وجاء الفصل الأخير ليتضمن المراكز العلمية والثقافية وجهود العلماء في العلوم المختلفة كلاٌ في مجال تخصصه، واختتمت الدراسة بخاتمة تضمنت أهم نتائج البحث.

المشكلات والصعوبات التي واجهها الباحث:

لم تكن هذه الدراسة ميسرة هينة، فمادتها مبعثرة مشتتة فضلا عن قلة المصادر التاريخية التي تعالج الناحية الاجتماعية بطريقة مباشرة، فكان على الباحث جمع ما يفيد في دراسة هذا الجانب وما كانت عليه الحياة الاجتماعية في المدينة المباركة.

١. قلة المعلومات المرتبطة بالموضوع، حيث إن المصادر التاريخية لم تتطرق إلى هذا الموضوع إلا قليلاً، لذلك واجهت الباحث صعوبة في استخراج المعلومات لتفرقها وقلتها مما كلف الباحث وقتا وجهدا إضافيا.
٢. فقر المكتبات في قطاع غزة إلى المصادر والمراجع، فتغلب الباحث على هذه المعضلة بالاستعانة بالإسطوانات التي تحتوي على الآلاف من المصادر.

تحليل لأهم المصادر والمراجع:

تعددت مصادر الدراسة، وشملت مجموعة كبيرة من المصادر التاريخية والجغرافية كما أفادت من كتب التراجم والطبقات والأنساب والمعاجم.

استفاد الباحث من مجموعة من الكتب التي رفدت البحث بمعلومات وروايات اجتماعية وتاريخية و اقتصادية مهمة، مثل (تاريخ الرسل والملوك للطبري المتوفي ٣١٠هـ/٩٢٢م)، وكتاب (مروج الذهب للمسعودي المتوفي ٣٤٦ هـ/٩٥٧م)، و(تاريخ بغداد للخطيب البغدادي المتوفى ٤٦٣هـ/١٠٧١م) وكتاب (تاريخ دمشق لابن عساكر المتوفي ٥٧١هـ/١١٧٥م)، وكتاب(تاريخ بيت المقدس لابن الجوزي المتوفى ٥٩٧هـ/١٢٠٦م)، و(الكامل في التاريخ لابن الأثير المتوفي ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، و(البداية والنهاية لابن كثير المتوفي ٧٧٤هـ/١٣٧٢م). وغيرها من كتب التاريخ.

واستفدت أيضا من كتب التفسير والحديث التي أعانت الباحث بالوقوف على معاني آيات القرآن الكريم وكتب الصحاح والسنن المختصة بالحديث الشريف، وكان منها كتاب(الصحيح للإمام مسلم المتوفى ٢٦١هـ/٨٧٥م)، وكتاب(التاريخ الكبير للبخاري المتوفى ٢٥٦هـ/٨٧٠م) و(المجتبى من السنن للنسائي المتوفى ٣٠٣هـ/٩١٥م) وكتاب (جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري المتوفي ٣١٠هـ/٩٢٢م) وكتاب (مسند الشاميين للطبراني المتوفي ٣٦٠ هـ/٩٧١م) و(الجامع لأحكام القرآن للقرطبي المتوفى ٦٧١/١٢٧٢م).

وأما عن كتب الفضائل التي تعد من الكتب المهمة المتخصصة والتي أعطتنا صورة واضحة جلية عن مكانة القدس روحياً وتاريخياً واجتماعياً ومن أهمها كتاب (فضائل القدس لابن الجوزي المتوفى ٥٩٧هـ/١٢٠١م)، وكتاب(مثير الغرام في زيارة القدس والشام لابن تميم المقدسي المتوفى٧٦٥هـ/١٣٦٤م)، وكتاب (إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى للسيوطي المتوفى ٨٨٠هـ/١٤٧٥م)، وأكثر كتب الفضائل شمولية لأحوال المدينة السياسية والاجتماعية والعلمية كتاب(الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل للعليمي المتوفى ٩٢٧هـ/١٥٢٠م).

و أما كتب الطبقات: فقد قدمت معلومات هامة في ثنايا ترجمة الأعلام منها كتاب(الطبقات الكبرى لابن سعد المتوفى ٢٣٠هـ/٨٤٥م)، وكتاب(وفيات الأعيان و انباء أبناء الزمان لابن خلكان المتوفى ٦٨١هـ/١٢٨٢م) و(تهذيب الكمال للمزي المتوفى ٧٤٢هـ/١٣٤١م)، و(سير أعلام النبلاء وكتاب تذكرة الحفاظ للذهبي المتوفى ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، وكتاب(طبقات الشافعية للسبكي المتوفى ٧٧١هـ/١٣٦٩م)، وكتاب(طبقات الأولياء لابن الملقن المتوفى ٨٠٤هـ/١٤٠١) و(تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢/١٤٤٠م)

وفيما يتعلق بالمصادر الجغرافية فمن أكثر الكتب التي أفادت الدراسة كثيراً في شتى مجالات الحياة المختلفة للمدينة، ما دونه ابن مدينة القدس الملقب بالمقدسي المتوفي (٣٨٠ هـ/٩٩٠م) في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم حيث قدم وصفا مفصلا لجغرافية القدس واقسامها الطبيعية، كذلك وصف وتوضيح جميع جوانب مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وأهم منتجاتها وغلاتها الزراعية وأكثر صناعاتها وتجارتها شهرة، وعادات وتقاليد المدينة ومساجدها واسواقها، مما أفاد كثيراً في المباحث الاجتماعية والاقتصادية، إضافة لكتاب الجغرافي الشهير (سفرنامه لخسرو الذي زار المدينة المباركة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م) وتكمن أهمية كتابه في ذكر عدد سكان المدينة وكثرة زوار المدينة وعادتها وصهاريج المياه وقرى المدينة، والتي أفادتني كثيراً في الناحية الاجتماعية، و(كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي المتوفى ٦٢٦هـ/١٢٢٩م) والذي أفاد الدراسة في تحديد أهم القرى التابعة لمدينة القدس.

وكما أفادتني المعاجم اللغوية خلال دراستي في إعطاء معنى لغوي للكلمات غير المفهومة التي كنت أحتاج أن أقف على معناها، فاستفدت من بعض هذه المعاجم مثل كتاب(تهذيب اللغة للأزهري المتوفى ٣٧٠هـ/٩٨٠م) وكتاب(لسان العرب لابن منظور المتوفى ٧١١هـ/١٣١١م).

وأما ما يتعلق بالمراجع فهناك الكثير من الباحثين الذين درسوا المدينة وتاريخها وتراثها، التي كان لها الأثر الكبير في تخليد هذه المدينة المباركة، فحاولت الاطلاع على كل ما تهيأ لي الحصول عليه من المراجع، والتي استفدت منها فائدة مرجوة، وكان من المراجع

الهامة التي اعتمدت عليها كتاب(بلادنا فلسطين، لمصطفى الدباغ) وكتاب(تذكير النفس بحديث القدس لسيد العفاني) وكتاب(المفصل في تاريخ القدس لعارف العارف)، و(القدس عبر العصور زيدان كفافي وآخرون)، وكتاب(بيت المقدس من العهد الراشدي إلى نهاية الدولة الأيوبيه لحمد يوسف) ... وغير ذلك من المراجع والبحوث.

الفصل الأول

جغرافية بيت المقدس وأسمائها وأهميتها الدينية وأحوالها السياسية

المبحث الأول: جغرافية بيت المقدس وأسماءها

المبحث الثاني: الأهمية الدينية لمدينة القدس

المبحث الثالث: الأحوال السياسية في بيت المقدس

المبحث الأول : جغرافية بيت المقدس و أسمائها:

تضاريس بيت المقدس:

يحيط القدس سلسة من الجبال[١] أهمها: جبل الزيتون(جبل الطور) ويسمى أيضا طور زيتا[٢]، وهو مواجه لأسوار الأقصى من الجهة الشرقية[٣]، وهو أهم الجبال المحيطة بالقدس من الناحية التاريخية، و جبل المكبر: يقع في جنوب القدس، و جبل المشارف سمي بذلك لأنه يشرف على مدينة القدس ويقال له جبل المشهد، يقع شمال شرقي المدينة[٤]، والقمة الرابعة: جبل أكرا في الجنوب الغربي للمدينة المباركة، ويقع بالقرب من كنيسة القيامة حيث أقام أحد الملوك اليونان قلعة سماها أكرا، وأخيرا جبل موريا الذي بنيت عليه قبة الصخرة والمسجد الأقصى المبارك[٥]، وترجع الأهمية السكانية لجبال مدينة القدس بأنها مأوى أفئدة العباد والزهاد من كلا الجنسين و من الأقطار الإسلامية كافة[٦].

مدينة القدس بالنسبة للمدن الفلسطينية المجاورة:

تميزت مدينة القدس بموقعها الذي توسط أرض فلسطين، فالمسافة بينها ومدينة نابلس عشرة فراسخ[٧][٨] (أي ما يعادل ١٢ميل، ٥٥.٤٤٠كم)، وبين بيت المقدس وبيت لحم

---

(١) الاصطخري، المسالك والممالك، ج ١، ص ٢٣؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة ، ج ١، ص ٩٥؛ الحميري ، الروض المعطار، ج ١، ص ٤٦٨

(٢) الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٨؛ السمعاني، تفسير، ج ٦، ص ٢٥٣؛ العيني، عمدة القاري، ج ٨، ص ١٥٠

(٣) الحموي، معجم البلدان، ج ٤،ص ٤٨؛ العيني، عمدة القاري، ج ٦، ص ٢٧

(٤) سيد العفاني، تذكير النفس، ج١، ص٢٠-٢١،

(٥) عبد الناصر الفرا، الجذور التاريخية، ص١٩٦

(٦) الأزدي، طبقات الصوفية، ج ١، ص ٣١٨ ابن عساكر، تاريخ مدينة، ج ٥٥، ص ٢٢٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ١٣٧

(٧) الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٤٨؛ الزبيدي، تاج العروس، ج ١٦، ص ٥٣٣

(٨) الفرسخ يساوي ثلاثة أميال، ابن العماد، شذرات الذهب، ج٢، ص٣٤١، والمرحلة تساوي ثمانية فراسخ، اليافعي، مرآة الجنان، ج ٢، ص ٣٢٣، والميل يعادل ١٨٤٨ متر، شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية، ص٣٤١، ومما سبق فإن الميل يساوي ١٨٤٨ متر، و الفرسخ يساوي ثلاثة أميال ٣ x ١٨٤٨ = ٥٥٤٤ متر، والمرحلة تساوي ثمانية فراسخ ٨ x ٥٥٤٤ = ٤٤٣٥٢ متر.

فرسخين[١] ، وتبعد أريحا عن القدس خمسة فراسخ[٢]، والمسافة بين القدس و مدينة الرملة ثمانية عشر ميلا[٣] (٣٣.٢٦٤كم)، وبينها ومدينة الخليل ثلاثة عشر ميلا[٤].

والمسافة بين القدس و بحيرة طبرية ٥٠ ميلا[٥]، وبينها و مدينة غزة مرحلتين[٦]، ومنها إلى البحر الميت أربعة أميال[٧]، وتبعد عن عسقلان مرحلتان، ومثلها عن يافا[٨].

نخلص من هذه المسافات أن مدينة بيت المقدس تتوسط فلسطين، وحلقة وصل بين المدن الفلسطينية، ولذلك تأثر أهل المدينة بعادات وثقافات المدن الأخرى وتأثروا بالمدن الفلسطينية المجاورة.

مناخ القدس :

تمتاز بيت المقدس بجوها صاف، وهواؤها عليل، فهي تنتمي إلى مناخ البحر الروم (المتوسط)[٩] ففي أشهر الصيف يهب عليها من البحر نسيم الليل فيلطف حرها، ويبرد هواءها في الليل، ويكثر فيها الندى، فيتبلل به وجه الأرض وتقطر الأشجار[١٠]، والربيع والخريف معتدلان، وهواؤها جاف، ولا تهب الرياح الشمالية الباردة فيها إلا نادرا، وألطف رياحها التي تهب من الشمال الغربي، وأما الرياح الغربية فإنها كثيرة الهبوب في فصل الشتاء، ويعقبها مطر في كثير من الأحيان، أمطارها معتدلة ومتقطعة، وعلى هذه الأمطار يعتمد أهل

---

(١) الاصطخري، المسالك والممالك، ج ١، ص ٢٣؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ج١، ص ١٧١؛ القزويني، آثار البلاد، ج ١، ص ٦٢

(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ١، ص ٣٥٥؛ الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١١١

(٣) ابن خرذاذبة، المسالك والممالك، ج ١، ص ٧٥؛ الحميري، الروض المعطار ، ج ١، ص ٢٦٨؛ ابن المطهر، البدء والتاريخ، ج ٤، ص ٨٨

(٤) ابن خرذاذبة، المسالك والممالك، ج ١، ص ٧٥

(٥) الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٥٢

(٦) ذكر السمعاني في كتابة الأنساب، ج ٤، ص ٢٩٣، بأنها تبعد عن غزة مرحلة، والصواب مرحلتين، كما ذكر الحموي في كتابه معجم البلدان، ج١، ص٥١٩

(٧) ابن خرذاذبة، المسالك والممالك، ج ١، ص ٧٦

(٨) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ١، ص ٣٥٨

(٩) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٥٣عرفة علي، القدس العتيقة، ص ١٦

(١٠) عارف العارف، تاريخ القدس، ص ١٨٦

القدس غالبا في الشرب وري المزروعات [١]، ويهطل الثلج في بعض السنين، لكنه لا يدوم طويلا[٢].

وقد أشار المقدسي إلى اعتدال حرارة بيت المقدس حينما سُأل عن أفضل مدينة تشتهر بطيب الهواء فأجابه :" بيت المقدس فهي سجسج[٣] لا شديدة البرد وليس بها حر وقلما يقع بها ثلج" فقيل له"هذه صفة الجنة"[٤]. وقد تميز الموقع الجغرافي لمدينة القدس بدوره الهام في خصوبة تربتها وتنوع محاصيلها الزراعية، وقوة الحياة الاقتصادية، وبالتالي انعكس ذلك على الحياة الاجتماعية في المدينة وإقبال الزائرين إليها.

أسماء بيت المقدس :

تعتبر مدينة القدس من المدن القديمة على هذه المعمورة، تعرضت خلال تاريخها الطويل إلى نكبات وحروب أدت إلى هدم المدينة وإعادة بنائها أكثر من ثماني عشرة مرة في التاريخ[٥]، لذلك ونتيجة لتعاقب الأقوام المختلفة على أرض بيت المقدس تغيرت أسماء المدينة ومن أهم الأسماء:

١. أورو سالم[٦] – أورسالم [٧] :

أورسالم من أقدم الأسماء التي عرفها البشر للمدينة[٨] ، وكلمة أور تعني المدينة وسالم تعني السلام سماها بذلك العرب الكنعانيون أقدم سكان القدس أي مدينة السلام [٩] وأهم النقوش التي ذكرت المدينة المقدسة زمن الكنعانيين موجودة في (لوحات تل العمارنة)

---

(١) عارف العارف، المفصل، ص ٤٣٥

(٢)عارف العارف، تاريخ القدس، ص ١٨٦

(٣) السَّجْسَجُ:الأَرضُ ليستْ بصُلْبة ولا سَهْلَةٍ، وقيل:هي الأَرضُ الواسعةُ، الزبيدي، تاج العروس، ج ٦، ص ٢٩

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٥٣

(٥) يحيي الفرحان، قصة مدينة القدس، ص١٣

(٦) المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ١٣٨

(٧) الأزهري، تهذيب اللغة، ج ١١، ص ٢٥٣

(٨) الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٧٩ وج٣، ٣٥٩؛ مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، ج٩ ، ق٢، ص ٢٣

(٩) ابن العبري، تاريخ مختصر، ج ١، ص ٥؛ ياسين سويد، حروب القدس ، ص٩

بالمتحف المصري، وتكرر اسم أورشليم بعد ذلك التاريخ في لغات أخرى كما في نقوش الإمبراطور الآشوري سنحاريب (٧٠٠ ق.م) [١]

٢. يبوس :

سكنها اليبوسيون وهم بطن من بطون العرب الكنعانيين، حوالي عام ألفين وخمسمائة قبل الميلاد [٢]، كان ملكهم ورئيس دولتهم ملكي صادق، الملقب بـ (مليخ شليم) أي (ملك السلام)[٣] وهو من المعتقدين بالتوحيد[٤]، وبناء عليه فقد وضع أسس الحياة الدينية فيها منذ ٤٥٠٠ عام.

٣. وفي العبرية يسمي اليهود مدينة القدس أورشاليم[٥]، ويروشاليم ولكن سيد العفاني يقول بأن ذلك الاسم ليس عبريا أصيلا، فقد كانت تحمل المدينة ذلك الاسم قبل دخول بني إسرائيل إليها، بشهادة نص تل العمارنة[٦].

وأورشاليم تعني بيت السلام، و دار السلام وقد ذكرها الأعشى في أشعاره باسم (أوري شلم) فقال: وقد طفت للمال آفاقه عمان فحمص فأورى شلم [٧].

ومما سبق يتضح بأن الأمم السابقة ذكرت أسماء المدينة المقدسة التي تعود إلى أصلها العربي الكنعاني، وأن الأسماء التي يذكرها اليهود أورشاليم ويروشاليم، قد سبقهم بها العرب الكنعانيين بآلاف السنين.

---

(١) سيد العفاني، تذكير النفس، ج١ ، ص١٥– ١٦

(٢) ابن تميم المقدسي، مثير الغرام، ص١١

(٣) القرطبي، الإعلام، ج ١، ص ٤٢٧ ابن العبري، تاريخ مختصر، ج ١، ص ٥

(٤) العليمي، الأنس الجليل، ج ١؛ ص ٣٠

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ١٣٨؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٢، ص٢٣٨

(٦) تذكير النفس،ج١، ص١٦

(٧) ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٣٥

٤. مدينة داوود :

خضعت يبوس لبني إسرائيل في عهد النبي داود عليه السلام[١] فقد استطاع السيطرة على المدينة بعدما عرف موقع النفق الذي يمد المدينة بالمياه، فدمره وقطع المياه عن السكان فعبرت منه الجند وبذلك تمت السيطرة على المدينة[٢].

كانت يبوس قبل حكم داود عليه السلام تتميز بالتطور الحضاري، و تتوفر فيها جميع أسباب الراحة والرفاهية لسكانها، وتطور اقتصادي و تجاري، فاقتبس بنوا إسرائيل الحضارة والتقدم من أهلها، فغادروا الخيام، وسكنوا في بيوت بنوها كبيوت السكان الأصليين، حتى أنهم قلدوهم في الملبس، فخلعوا عنهم الجلود التي كانوا يلبسونها، ولبسوا بدلا منها ثياب منسوجة من الصوف كالتي يلبسها الكنعانيون، أحب دواد مدينة القدس فاتخذها عاصمة لدولته واطلق على مدينة أورشليم مدينة أسماها(مدينة داود) [٣]، وهكذا قدر لمدينة أورسالم – يبوس زمن النبي داود عليه السلام أن يقوم بتحويل اسمها إلى مدينة داود بعد فترة طويلة من حملها الصبغة العربية الكنعانية، ثم ما لبثت أن غيرت المملكة اليهودية بعد موت سليمان بن داود عليه السلام اسم مدينة داود إلى أورشليم[٤].

٥. إيليا كابوتولينا :

عندما تولى الامبراطور البيزنطي أدريانوس الحكم رفض اليهود دفع الخراج لدولته فدخل المدينة ودمر مبانيها سنة ١٣٥م، وبقيت على هذا الحال مدة ثماني سنين، ثم أمر بإعادة بناءها وسماها إيلياء[٥]، وإيليا بكسر أوله واللام وياء وألف ممدودة ،قيل معناه بيت

---

(١) الطبري، تاريخ الطبري، ج ١، ص ٢٦٠؛ ابن الجوزي، فضائل القدس، ج ١، ص ١١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ص ١٥٣؛ عارف العارف، تاريخ القدس، ص١٥

(٢) مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، ج٩، ق٢، ص ٣٠

(٣) عارف العارف، تاريخ القدس، ص١٥-١٦

(٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج ١، ص ٣١٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ١٩٦ابن العبري، تاريخ مختصر، ج ١، ص ٢٢؛ ابن الوردي، تاريخ، ج ١، ص ٢٩ ؛ابن خلدون، تاريخ، ج ٢، ص ١٣٥؛ مصطفى الدباغ، موسوعة بلادنا فلسطين، ج٩، ق٢، ص ٤٠-٤١؛ عارف العارف، المفصل، ص ١٢

(٥) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ١٤٧؛ ابن البطريق، التاريخ المجموع، ج١، ص ١٠١-١٠٢؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، ج ١، ص ٤٨؛ أبو الفداء، المختصر، ج ١، ص ٢١-٢٢

الله[١] يقول الفرزدق وبيتان بيت الله نحن ولاته وقصر بأعلى إيلياء مشرف[٢] وبقي هذا الاسم شائعا حتى الفتح الإسلامي للمدينة[٣].

٦. بيت المقدس أو القدس

أما العرب المسلمون الذين فتحوا المدينة المقدسة في القرن السابع الميلادي فقد سموها بأسماء عديدة مثل : القدس وبيت المقدس[٤]، وهي جميعها أسماء حسنى تمجد المدينة وتقدسها وتنزهها[٥]، كما سموها باسمها الروماني إيلياء كما ورد في العهدة العمرية "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان" [٦].

ومعنى بيتُ المقدس بأنه المكان الذي طهر من الذنوب والمعاصي[٧] ، المبارك فيه[٨]، وقيل الأرض المطهرة من الأصنام و الصلبان[٩] والقُدّوس بالفتح والتشديد أو بالضم والتشديد من أسماء الله الحسنى ، أي المبارك الطاهر المنزَّهَ عن النقائص و العيوب، لذلك كان التقديس يعني التطهير وتنزيه الله سبحانه و تعالى. فكانت الأرض المقدسة أي الطاهرة[١٠].

مما سبق يظهر للباحث كثرة الأقوام التي تعاقبت على القدس، و حصولها على المركز الأول من بين المدن الفلسطينية أهمية و أهم ما تميزت به مدينة القدس أنها حافظت على طابعها واسمها العربي الكنعاني.

---

(١) أبو الفداء، المختصر، ج ١، ص ٢٢

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٤٠؛ البكري، معجم، ج ١، ص ٢١٧

(٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٤٤٩

(٤) خسرو، سفرنامه، ج ١، ص ٥٥

(٥) الأزهري، تهذيب اللغة، ج ٨، ص ٣٠٣؛ العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٨

(٦) الطبري، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٤٤٩

(٧) النووي، تهذيب الاسماء، ج٣ ، ص ٢٨٧

(٨) ابن منظور، لسان العرب، ج ٦، ص ١٦٩

(٩) اللقيمي، لطائف أنس ، ص٥٥

(١٠) الأزهري، تهذيب اللغة، ج ، ص ٢٢٦ ؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٦، ص ١٦٨.

المبحث الثاني: الأهمية الدينية لمدينة القدس:

بيت المقدس تلك المدينة العربية التي منحها الله سبحانه وتعالى المكانة الرفيعة، فكانت من صفوة المدن تقديرا وتقديسا، فقد وردت آيات قرآنية تتلى إلى يوم الدين تؤكد أهمية بيت المقدس، كما أكد ذلك، النبي محمد -ﷺ- في الأحاديث النبوية الشريفة، فالقرآن الكريم ذكر ما تميزت به المدينة المقدسة من البركة و الخير ، وبين الخصائص التي تميزت به المدينة، ولذلك فقد أولاها المحدّثون وأصحاب التصانيف مكانة عالية، وذكروا ما قاله فيها سيّد البشرية محمد – ﷺ – ، فمنهم من ذكر من فضائلها الكثير، و منهم من أفرد جزئية في مصنفاته ، فبوبوا لفضل الشام عامة، والقدس خاصة ضمن أحاديث الفضائل التي ذكروها في كتبهم، وما تمتعت به من فضل ومكانه[١]

أولا: أهمية مدينة القدس في القرآن الكريم :

بعد أن أتى الإسلام لبلاد العرب، اكتسب التمسك بالوطن عامل قوة جديد، هيأ لمعتنقيه مزيداً من الاستقرار في حياتهم، ويكفي أن يستذكر المرء حنين الرسول الكريم –ﷺ– وصحابته إلى مكة بعد هجرتهم إلى المدينة[٢]، وقد أكد المسعودي أهمية الوطن في كتبه "إن من علامة وفاء المرء وحسن دوام عهده، حنينه إلى إخوانه وشوقه إلى أوطانه، وإن من علامة الرشد أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقة، وإلى مسقط رأسها تواقة"[٣].

وبناء عليه لابد أن نستذكر أهمية بيت المقدس وفضائلها ومكانتها الدينية في نفوس المسلمين، وسيقتصر الباحث بذكر بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر، لأنها كثيرة ومتعددة.

---

(١) انظر ابن الجوزي الذي صنف عدد من الكتب عن فضل بيت المقدس منها، فضائل القدس؛ تاريخ بيت المقدس؛ ضياء الدين المقدسي، فضائل بيت المقدس؛ ابن تميم المقدسي، مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام؛ ابن هشام الأنصاري، تحصيل الأنس لزائر القدس؛ اللقيمي، لطائف أنس الجليل في تحائف القدس والخليل.

(٢) أبي يعلى، مسند، ج ٥، ص ٦٩؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج ١٢، ص ٣٦١

(٣) المسعودي، التنبيه والإشراف، ج ١، ص ١٧؛ مروج الذهب، ج ١، ص ١٩٥

قال ابن عباس[١] و السدي[٢] في تفسير قوله تعالى "يَا قَوْمِ ادْخُلُواْ الأَرْضَ الْمُقدَّسَةَ الَّتِي كتَبَ اللَّهُ لَكُمْ " المقصود بالأرض المقدسة هي بيت المقدس [٣].

كذلك ذكر القرآن الكريم القدس في آيات كثيرة مشيراً إلى أنها أرض مقدسة مباركة، ومما يؤكد قدسية أرضها وعموم أراضي فلسطين قوله تعالى "سُبْحَانَ الذي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إلى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الذي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ من آيَاتِنَا إنه هو السَّمِيعُ الْبَصِيرُ "[٤].

قال ابن كثير: في تفسير قوله تعالى: (الذي باركنا حوله)أن المراد بذلك زيادة البركة بالثمار و الزروع[٥]، والأنهار، والأنبياء والصالحين[٦]، حيث بارك الله تعالى حول المسجد الأقصى ببركات الدنيا والآخرة [٧].

و لو لم يكن لمدينة القدس و لمسجدها الأقصى فضيلة إلا هذه الآية العظيمة لكانت كافية، لأن الله –سبحانه وتعالى– نوه بذكره في كتابه الكريم، وجعله طريق المصطفى محمد – ﷺ – فقد ربطت الآية الكريمة بين البيتين المشرفين المسجد الحرام والمسجد الأقصى في رحلة الإسراء والمعراج، والفائدة الثانية: ربط النبي –ﷺ– بين المسجدين الحرام والأقصى، وانتقال النبي عليه الصلاة والسلام بروحه وجسده إلى بيت المقدس يعتبر إعلانا بأن المسجد الأقصى أصبح من الأماكن الهامة للمسلمين ولابد الاهتمام به و العمل على تحريره.

---

(١) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله–ﷺ–كان يقال له الحبر والبحر لكثرة علمه، مات بالطائف سنة ثمان وستين ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٥، ص٢٤٢.

(٢) اسماعيل بن عبد الرحمن السدى، من التابعين، صاحب التفسير والسير، مات سنة ١٢٧هـ، البخاري، التاريخ الكبير، ج١، ص٣٦١.

(٣) الماوردي، النكت والعيون، ج ٢، ص ٢٥؛ السمعاني، تفسير، ج ٢، ص ٢٦

(٤) سورة الإسراء، آية رقم ١

(٥) تفسير، ج ٣، ص ٣

(٦)البغوي، تفسير،ج٣،ص٩٢؛ الصفوري، نزهة المجالس،ج٢، ص٣٤٦؛ العليمي، الأنس الجليل، ج١، ص٢٧

(٧) البيضاوي، تفسير، ج ٣، ص ٤٣١

و قوله سبحانه وتعالى : " وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ءَايَةً وَءَاوَيْنَاهُمَآ إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ"[١] قال المفسرون، المقصود بالربوة هي بيت المقدس، وجاء عند ابن كثير في تفسيره: الربوة تعني المكان المرتفع وهو أحسن ما تكون فيه النباتات، وقوله ذات قرار أي الأرض الخصبة، ومعين يعني ماءً ظاهراً وكذلك قال الضحاك: ذات قرار ومعين هو بيت المقدس[٢].وفسر قوله سبحانه وتعالى : " وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ"[٣] بأنها بيت المقدس[٤].

وقال عز من قائل : " وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَاذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ"[٥]، قال العلماء: القرية التي أمرهم الله سبحانه وتعالى بدخولها هي بيت المقدس[٦]، وقيل هي : أريحا من بيت المقدس[٧]، ومن خلال هذا التفسير يدل على اتساع مدينة بيت المقدس وشمولها أريحا.

وقال الله تعالى : " وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ* وَطُورِ سِينِينَ* وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ*"[٨]، فقد روي عن ابن عباس أن الزيتون : مسجد بيت المقدس، وقيل الجبل الذي عليه بيت المقدس[٩]، وقال الله سبحانه عز من قائل في كتابه العزيز{وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ}[١٠].

---

(١) سورة المؤمنون، الآية ٥٠.

(٢) ابن كثير، تفسير، ج ٣، ص ٢٤٧

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٧١.

(٤) السمرقندي، تفسير، ج٢، ص٤٣٢؛ القرطبي، تفسير، ج١١، ص٣٠٥

(٥) سورة البقرة، الآية ٥٨

(٦) الطبري، تفسير، ج ١، ص ٢٩٩؛ ابن أبي حاتم، تفسير، ج ١، ص ١١٦

(٧) ابن الجوزي، زاد المسير، ج ١، ص ٨٤؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ٤٠٩

(٨) سورة التين، الآية ١-٢

(٩) السمرقندي، تفسير، ج ٣، ص ٥٧١؛ البكري، معجم، ج ٣، ص ٨٩٨؛ السمعاني، تفسير، ج ٦، ص ٢٥٣؛ البغوي، تفسير، ج ٤، ص ٥٠٤

(١٠) سورة ق، الآية ٤١.

فإن المكان القريب في التفسير هو صخرة بيت المقدس ، وقيل إنها وسط الأرض وأقرب الأرض من السماء[١] .

ونختم الحديث عن فضائل بيت المقدس من القرآن الكريم بقوله سبحانه وتعالى{ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ} [٢] ورد عن العلماء قولهم بأن النبي –ﷺ– صلى اتجاه بيت المقدس وكان يرفع رأسه إلى السماء ويتمنى أن يستقبل الكعبة المشرفة[٣]، استمر النبي في توجهه للمسجد الأقصى حوالي ستة عشر شهرا [٤]، ثم تحولت القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام فالقبلة أول ما نسخ من القرآن[٥] وذلك أن الرسول –ﷺ– لما هاجر من مكة إلى المدينة وكان عدد اليهود فيها كبير ففرحوا بذلك فاستقبلها –ﷺ– بضعة أشهر ثم تحول عنها[٦].

و من خلال ما سبق يتبين مدى الأهمية التي تمتعت بها مدينة القدس حيث أنها بقيت ستة عشر شهرا أو أكثر قبلة المسلمين الأولى، وعلى أرضها يقوم المسجد الأقصى المبارك، الذي أسرى إليه النبي الكريم، وهذا يلقي عبئا وحملا ثقيلا على كاهل أبناء الأمة الإسلامية في حماية مدينة بيت المقدس وإبقائها طاهرة من دنس يهود ورجسهم.

وهناك العديد من الآيات الأخرى، التي تؤكد أن بيت المقدس أرض مباركة ولكن لا يتسع المجال لذكرها كلها، فالآيات السابقة الذكر من البراهين العظيمة لفضائل القدس الروحية التي جعلت من هذه المدينة محط أنظار كل من حاول أن يستزيد من الأجور العظيمة، لما أولاها الله سبحانه وتعالى من المكانة التي بقيت وستبقى في النفوس و العقول .

---

(١)مقاتل، تفسير، ج ٣، ص ٢٧٣– ٢٧٤؛ الصنعاني، تفسير، ج ٣، ص ٢٤٠؛ ابن حنبل، فضائل الصحابة، ج ٢، ص ٩٠١

(٢) سورة البقرة، ص ١٤٤

(٣) ابن الجوزي، فضائل القدس، ج ١، ص١١، السيوطي، الدر المنثور، ج١، ص٣٥٤

(٤) الصنعاني، تفسير،ج١ ص٥٦؛ البغوي، تفسير، ج١ ص١٢٤

(٥) الطبري، تفسير الطبري، ج ١، ص ٥٠٢؛ الطبراني، مسند الشاميين، ج ٣، ص ٣٢٦؛ البيهقي، معرفة السنن والآثار، ج ١، ص ٤٨٣

(٦) ابن عبد البر، التمهيد، ج٨،ص٥٤؛ ابن كثير، تفسير،ج١،ص١٩٣؛العليمي، الأنس الجليل، ج١، ص١٩٣

ثانيا: أهمية مدينة القدس من خلال الأحاديث النبوية الشريفة:

تعتبر مدينة القدس من المدن التي لها مركز الريادة و الصدارة في كثير من الأحاديث النبوية الشريفة التي وردت عن الرسول الكريم -ﷺ- و الحديث عن فضل المدينة في السنة المطهرة له من الأهمية التي تؤكد ما تحدث به المفسرون في تفاسيرهم للآيات الكريمة التي ذكرناها سابقا، فقد أشارت الأحاديث النبوية الشريفة إلى المكانة الكبيرة التي تمتعت بها مدينة القدس، وازدادت هذه المكانة الروحية مكانةً وإجلالاً في نفوس المسلمين حتى وصل الأمر بأن ينذر الكثير من أهل المدن الإسلامية بما فيها مكة المكرمة إتيان مدينة القدس لزيارتها والصلاة فيها(١).

دخلت مدينة القدس والمسجد الأقصى في نفوس المسلمين وعقولهم قبل الفتح الإسلامي وذلك بعد معجزة الإسراء والمعراج التي كانت بمثابة التحرير الإسلامي للمدينة، حيث فرض الركن الثاني من أركان الإسلام الخمسة مما عزز المكانة الروحية والدينية للقدس قبل الفتح الإسلامي للمدينة، فبعض الصحابة قال للنبي -ﷺ- أنه سيزور بيت المقدس متى تيسر له ذلك(٢) .

كذلك ربط الرسول -ﷺ- المسجد الأقصى بمناسك الحج والعمرة فعن أم سلمه زوج النبي -ﷺ- أنها سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: "من أهلّ بعمرة من بيت المقدس كانت له كفارة لما قبلها من الذنوب قالت فخرجت من بيت المقدس بعمرة"(٣).وفي رواية لها من أحرم من بيت المقدس بحج أو عمرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه(٤).

---

(١) ابن أبي شيبة، مصنف، ج ٣، ص ٩٦؛ الدرامي، سنن، ج ٢، ص ٢٤١؛ أبي يعلى، مسند، ج ٤، ص ١٥٨؛ الماوردي، الحاوي الكبير، ج ١٥، ص ٤٧٧؛ ابن حزم، المحلى، ج ٨، ص ٢١.

(٢) انظر، الصنعاني، مصنف، ج ٨، ص٤٥٥- ٤٥٦؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٤٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٣، ص ١١٥.

(٣) الطبراني، المعجم الكبير، ج ٢٣، ص ٤١٦

(٤) ابن الجوزي، تاريخ بيت المقدس، ج ١، ص ٤

بناء على تلك الأحاديث السابقة نجد الكثير من الصحابة الأجلاء كانوا يحرمون من بيت المقدس بحجة أو عمرة إلى بيت الله الحرام[١]، و لمن يقيم في بيت المقدس له من الأجر و الثواب ما يعادل المرابط في سبيل الله لقول النبي محمد عليه الصلاة والسلام: "يا معاذ إن الله سيفتح عليكم الشام من بعدي من العريش إلى الفرات رجالهم ونساؤهم وإماؤهم مرابطون إلى يوم القيامة فمن اختار منكم ساحلاً من سواحل الشام أو بيت المقدس فهو في جهاد إلى يوم القيامة"[٢].

وأكثر الأحاديث دلالة على مغفرة ذنوب من يقوم بزيارة بيت المقدس والصلاة في مسجدها قول النبي عليه الصلاة والسلام من حديث عبد الله بن عمرو "أن سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله خلالا سأل الله عز وجل حكما يصادف حكمه فأوتيه وسأل الله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه وسأل الله حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه[٣] إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه وأما اثنتان فقد أعطيهما وأرجو أن يكون أعطي الثالثة" [٤].

ورجاء الرسول –ﷺ– يعني الإجابة والقبول، لأنه من المتعارف عليه دعاء الأنبياء لا يرد ولا يخيب، وأشارت السنة الشريفة إلى فضل الصلاة في بيت المقدس، فعن أبي ذر الغفاري قال : "تذاكرنا ونحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أيهما أفضل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أم بيت المقدس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي أفضل من أربع صلوات فيه ولنعم المصلى هو وليوشكن لأن يكون للرجل مثل شطن[٥] فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعا[٦].

---

(١) ابن حنبل، مسند، ج ٦، ص ٢٩٩؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٦٣، ص ٦٠ ؛ ابن تميم المقدسي، مثير الغرام، ص٢١٢–٢١٤

(٢) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٢٨

(٣) نهزه ينهزه : دفعه وحركه، ابن الأثير، جامع الاصول، ج ٨، ص ٥٢٠ .

(٤) النسائي، السنن الكبرى، ج١، ص٣٨٥، الحديث، ٧٧٤

(٥) الشَّطَنَ الْحَبْلُ الطويل الشّديد الْفَتْلِ يُسْتَقَى به ويُشَدُّ به الخيل؛ الأزهري، تهذيب اللغة، ج ١١، ص ٢١٣؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣، ص ٢٣٧

(٦) الطبراني، المعجم الأوسط، ج١٥، ص٢٥٨، ج٧١٨٠

كذلك فإن القدس أرض المحشر والمنشر لقول النبي -ﷺ- برواية أبي ذر الغفاري -رضي الله عنه- عندما سأل النبي عن فضل الصلاة في بيت المقدس فأجابه بأن الصلاة الواحدة في مسجده النبوي تعادل أربع صلوات في بيت المقدس ثم استطرد النبي قائلا "ولنعم المصلى هي أرض المحشر والمنشر، وليأتين على الناس زمان ولقيد سوط الرجل حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعا"[١]. وكأن النبي -ﷺ- يعيش بيننا فالوصول لبيت المقدس من الأمور التي تصف أقل ما يمكن صعبة المنال في ظل الاحتلال الصهيوني الذي يضيق على المدينة المقدسة.

وأخيرا وصف النبي -ﷺ- التجمع السكاني الإيماني في الأرض المباركة، بأنهم البنية الأساسية لطائفة الحق و الطائفة الذين أخبر رسولنا الكريم عن وجودهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، حيث قال النبي محمد-ﷺ- " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء[٢] فهم كالإناء بين الأكلة حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك قالوا: يا رسول الله وأين هم قال ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس"[٣].

فالحديث السابق شهادة من الرسول -ﷺ- بأن أهل بيت المقدس الطائفة التي تتمسك بالحق و ستبقى مستمسكه به وهي الطائفة المنصورة على أعدائها مهما تكالبت عليها الأمم و تدافع عن شرف هذه الأمة من أعداء الله من اليهود والنصارى، وتقف في وجه كل من يحاول انتزاع عقيدة المسلمين من قلوب هذه الأمة، ونحن نعيش هذه الحقبة التي أخبرنا بها الرسول الكريم -ﷺ- فيجب علينا جميعا أن نتكاثف ونتعاون لدرء المخاطر تلك، حتى نكون مثلما خصنا الرسول -ﷺ- بالفئة المنصورة.

---

(١) البيهقي، شعب الإيمان، ج٣، ص٤٨٦، الحديث ٤١٤٥

(٢) شِدَّة و سَنَةٌ وصعوبة العيش، الأزهري، تهذيب اللغة، ج ١١، ص ١٧٩؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ص ٤٧

(٣) ابن حنبل، المسند، ج٤٥، ص٢٨١، الحديث ٢١٢٨٦.

مما سبق يمكن ذكر أهم الفوائد التي حملتها تلك الأحاديث:

١ – أن القدس أرض مباركة ارتبط بها المسلمون وتمنوا زيارتها بعد رحلة الإسراء والمعراج.

٢ – زيارة مدينة القدس و الصلاة في مسجدها تغفر الذنوب ويحصل زائرها على الثواب العظيم إضافة إلى إحرام الكثير من الصحابة الكرام من مدينة القدس إلى بيت الله الحرام.

٣ – حث النبي –ﷺ– على سكنى أرض بيت المقدس، وأنها أرض المحشر والمنشر.

٤ – تميزت بيت المقدس بأنها تقطنها الطائفة المنصورة المحافظة على الحق مهما تكالبت عليها الأمم وحاولت النيل من عزيمتها. ولذلك نجد الكثير من القبائل العربية وكبار الصحابة والتابعين وتابعي التابعين قد انتقلوا من الجزيرة العربية للسكنى في بيت المقدس.

المبحث الثالث: الأحوال السياسية في بيت المقدس:

أولا : الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الراشدي (١٦–٤٠هـ/٦٣٧–٦٦٠م):

تنبأ الرسول محمد –ﷺ– بفتح مدينة القدس، فعن معاذ ابن جبل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا معاذ انه سيفتح عليكم الشام من بعدي من العريش إلى الفرات، رجالهم ونساؤهم مرابطون إلى يوم القيامة، فمن احتل ساحلا من سواحل الشام أو بيت المقدس، فهو في جهاد إلى يوم القيامة"(١). وروي أن النبي –ﷺ– قال لشداد بن أوس: "ألا ان الشام ستفتح، وبيت المقدس سيفتح، وتكون أنت وولدك أئمة بها إن شاء الله" (٢).

وفي عهد أبو بكر الصديق – ﷺ– حارب المرتدين، وبعد أن استتب الأمن في الجزيرة العربية راح يستنفر العرب من أجل فتح الشام كلها ، فأرسل إليها أربع حملات عسكرية متتابعة، وعقد القيادة لأربعة من كبار الصحابة(٣). ولن يسترسل الباحث في الحديث

---

(١) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٢٨

(٢) ابن أحمد المقدسي، فضائل بيت المقدس، ج ١، ص ٦٩، الحديث ٣٩؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج ٣، ص ٣٢٠؛ السيوطي، الخصائص الكبرى، ج ٢، ص ٤٧٦

(٣) وهم عمرو بن العاص، وكانت وجهته فلسطين، ويزيد ابن أبي سفيان البلقاء، أبو عبيدة بن الجراح إلى دمشق، وأخيرا شرحبيل ابن حسنة الأردن، البلاذري، فتوح البلدان، ج ١، ص ١١٦ ، ١٢٧؛ الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٣٣٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ٢٥٥

عن تفاصيل الحملات الأربع، وإنما الاقتصار على حملة عمرو بن العاص وتوجهها إلى فلسطين[١] سنة ثلاث عشرة هجرية[٢]، وكان قوام جيشه نحو سبعة آلاف وخمسمائة مقاتل[٣]، وقد أوصاه بما يلي : أن يتق الله في السر والعلن وأن يخاف الله في جميع أوقاته وخلواته وختم نصيحته بقوله "واذا سرت بجيشك فلا تسر في الطريق التي سار فيها يزيد وشرحبيل بل اسلك طريق أيليا (بيت المقدس) حتى تنتهي إلى أرض فلسطين" [٤].

وقد أصبحت أبواب فلسطين مفتوحة على مصراعيها بعد معركة أجنادين ١٣هـ/٦٣٤م[٥]، فسقطت المدن الفلسطينية واحدة تلو الأخرى بأيدي الفاتحين العرب بدءا من غزة ورفح ونابلس واللد وعمواس وبيت جبرين وأعطوا الأمان[٦]، وكان النصر حليف عمرو في كل مرة، حتى تمكن من السيطرة على قسم كبير من المدن شرق و جنوب فلسطين[٧].

بعد تلك الانتصارات المتتالية توجه عمرو ابن العاص لبيت المقدس لفتحها، وذلك لأن أهل بيت المقدس والأردن تراسلوا وتعاهدوا بالسير لمواجهة عمرو[٨]، فأمر رجاله بتشديد الحصار على أهلها، وقطع الإمدادات والمعونات الآتية من الامبراطورية الرومانية عن المدينة، ولكن على الرغم من تشديد حصاره عليها إلا أنها صمدت في وجه عمرو ابن العاص[٩] فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب يستمده ويقول له "إني أعالج حربا كؤودا صدوما وبلادا ادخرت لك فرأيك"[١٠].

---

(١) الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٣٣٥

(٢) ابن خياط، تاريخ، ج ١، ص ١١٩

(٣) البلاذري، فتوح البلدان،ج١، ص١١٦؛ ابن قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ج ١، ص ٢٨٥؛ ياسين سويد، حروب القدس، ص٣٤

(٤) الواقدي، فتوح الشام، ج ١، ص ١٥؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٢٧

(٥) الواقدي، فتوح الشام، ج ١، ص ٤٨-٥١؛ الطبري، تاريخ ، ج ٢، ص ٤٤٧-٤٤٨

(٦) البلاذري، فتوح البلدان، ج ١، ص ١٤٤؛ ابن خلدون، تاريخ، ج ٢، ص ٥٤٣

(٧) البلاذري، فتوح البلدان، ج ١، ص ١١٧ ، ١٤٤؛ ياسين سويد، حروب القدس، ص ٣٥

(٨) الكلاعي، الإكتفاء، ج ٣، ص ٢٣١،٣١٣؛ صفوت، جمهرة خطب العرب، ج ١، ص ٢٦٣

(٩) البلاذري، فتوح البلدان ج ١ ص ١٤٤؛ اليعقوبي، البلدان ج ١ ص ٣٩

(١٠) الطبري، تاريخ،ج٢،ص٤٤٨؛ الكلاعي، الإكتفاء،ج٣، ص٣٠٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية،ج٧، ص ٥٥

في تلك الظروف الصعبة التي واجهت عمرو بفتح القدس سنة ١٣هـ/٦٣٤م، كان أبو عبيدة بن الجراح قائد الجيوش الإسلامية في دمشق قد بث الأمن في الأجزاء الشمالية من بلاد الشام، و جمع أمراء المسلمين وقال أشيروا علي بما أصنع فنصحوه بالتوجه إلى قيسارية أو دعم ومساندة عمرو بن العاص في حصاره مدينة القدس ثم استطرد قائلا فمن تختاروا منهما فقالوا أنت أمين هذه الأمة وما تسير في طريق إلا ونحن معك[١].

فأشار عليه معاذ بن جبل – ﷺ– اكتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فحيث أمرك فسر واستعن بالله فقال أصبت الرأي يا معاذ، فكتب إلى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب – ﷺ– إلى أي المدينتين يسير وانه منتظر ما يأمره به وبعد أن استشار الصحابة الكرام أشاروا عليه بفتح بيت المقدس أولاً لأنها إذا سقطت تنهار باقي المدن الفلسطينية الأخرى[٢].

فأرسل الخليفة عمر بن الخطاب – ﷺ– إلى أبو عبيدة بالمسير إلى بيت المقدس ففرح المسلمين بذلك[٣]، وتوجهت بناءً على توصيات أبو عبيدة سبعة جيوش لمساندة عمرو بن العاص في حصاره بيت المقدس، و كل جيش من الجيوش السبعة مكون من خمسة آلاف مقاتل بين فارس وراجل، فكان جملة من سرحهم أبو عبيدة بن الجراح للقدس خمسة وثلاثين ألف مقاتل [٤].

بدأت الجيوش الإسلامية بحصار المدينة المباركة[٥]، بعد أن خُيِّرَ أهل المدينة بين الإسلام، أو الجزية، أو القتال فاختاروا الأخير[٦]، وقد استمر النزال والحصار للمدينة أربعة أشهر، أظهر العرب بطولة وشجاعة نادرتين فقاتلوا قتالا شديدا، وصبروا على البرد والثلج[٧]،

---

(١) الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص٢٢٩

(٢) المصدر نفسه

(٣) ابن حجة، طيب المذاق، ج ١، ص ٢٤٠

(٤) ابن البطريق، التاريخ المجموع، ج٢، ص١٦؛ خليل سركيس، تاريخ القدس، ١٠٣–١٠٤، ميخائيل مكسي، القدس، ص٤٥

(٥) الواقدي، فتوح الشام، ج ١، ص ٢٣٠؛ المنهاجي، إتحاف الإخصا، ج١، ص٢٢٦

(٦) الواقدي، فتوح الشام ج ١ ص ٢٣١

(٧) الواقدي، فتوح الشام، ج ١، ص ٢٣٣؛ ابن تميم المقدسي، مثير الغرام، ص١٥٦.

وفي المقابل يئس مجتمع المدينة وحل فيهم والجوع والضعف[١]، فطلبوا من البطريرك صفرنيوس أن يتعرف على شروط المسلمين[٢]، فتوجه لمفاوضة المسلمين فقابله جماعة من الأمراء و الصحابة ومعهم أبو عبيدة، فقال لهم البطريرك ماذا تريدون منا في هذه البلدة المقدسة[٣].

فرد عليه أبو عبيدة بأن هذه المدينة الشريفة معراج النبي -ﷺ- إلى السماء وأنها منشأ الأنبياء وقبورهم، والمسلمين أحق بالمدينة منكم، وخيرهم بواحدة من الثلاثة شروط ، فلما رأوا إصرار المسلمين على القتال وعزمهم الأكيد على فتح المدينة أذعنوا للصلح وتسليم المدينة ودفعهم الجزية[٤] ولكنهم اشترطوا ألا يسلموها إلا للخليفة عمر بن الخطاب[٥].

فأشار المسلمون بأن يوافق أبو عبيدة على مطالب البطريرك صفرنيوس، وبناء عليه تمت هدنة مؤقتة بين المسلمين و أهل بيت المقدس[٦]، فأرسلوا إلى عمر بن الخطاب -ﷺ- رسالة تذكر مطالبة أهل القدس بأن يتسلم المدينة بنفسه، فلبى أمير المؤمنين الدعوة[٧] وتجهز بالسير إلى بيت المقدس[٨] مستخلفا على المدينة علي بن أبي طالب- ﷺ-[٩]، وعندما اقترب عمر بن الخطاب - ﷺ- من بيت المقدس، تلقاه المسلمين بخيلهم ورماحهم ورجالهم، واصطفوا لاستقباله[١٠]، وبعد أن استراح أمير المؤمنين طلب اخبار الرومان بحضوره، فتقدم أبو عبيدة إلى سور المدينة، ونادى بأن أمير المؤمنين قد جاء، فماذا تصنعون بما قلتم.[١١].

---

(١) جمال مسعود، الطريق إلى القدس، ج١، ص٥٥

(٢) الواقدي، فتوح الشام، ج ١، ص ٢٣٣

(٣) الواقدي، فتوح الشام، ج ١، ص ٢٣٤

(٤) البلاذري،فتوح البلدان،ج١،ص١٤٤؛المنهاجي،إتحاف الإخصا، ج١، ص٢٢٦؛ هنري كتن، القدس،ص٢٤

(٥) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ٤٤٩؛ ابن قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ج ١، ص ٢٩٩-٣٠٠؛ ابن تميم المقدسي، مثير الغرام، ص ١٥٧.

(٦) البلاذري، فتوح البلدان ج ١ ص ١٤٤

(٧) ابن حجة، طيب المذاق، ج ١، ص ٢٤٣-٢٤٤؛ العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٥٠ -٢٥١

(٨) ابن حجة، طيب المذاق، ج ١، ص ٢٤٣-٢٤٤

(٩) الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص٢٣٦

(١٠) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٣٨

(١١) ابن حجة، طيب المذاق، ج١، ص ٢٤٤

فلبى البطريرك صفرنيوس النداء على جناح السرعة، فخرج البطريرك من الكنيسة، يتبعه الأساقفة والرهبان[١] ولما انتهوا إلى مقام الخليفة، حياهم بالسلام، واحتفى بهم وأكرمهم، ثم تحادثوا في شروط التسليم، وكتب لهم وثيقة الأمان التي عرفت فيما بعد بالعهدة العمرية[٢].

فتحت مدينة القدس عام ١٦هـ/٦٣٧م، ورتب عمر بن الخطاب أمور المدينة، ووضع كل شيء في نصابه، وقبل أن يغادر المدينة، جمع جنده، فأثنى على عملهم، وشكر الله – سبحانه وتعالى– إذ صدق وعده ونصر جنده، ومكن لهم في الأرض، ثم نصحهم بالابتعاد عن المعاصي، وتقوى الله، وإلا سلط الله عليهم عدوهم، و سلب عزهم ومجدهم [٣].

عين عمر بن الخطاب على فلسطين و القدس والمناطق الساحلية يزيد بن أبي سفيان على أن يكون تحت إمرة أبو عبيدة بن الجراح هذا من الناحية الإدارية[٤]، ومن الناحية العسكرية قسم فلسطين إلى نصفين وجعل علقمة بن حكيم على نصفها وأعطاه الرملة، وعلقمة بن مجزز على النصف الآخر وأسكنه بيت المقدس ونزل كل منهما بمنطقته مع جنوده[٥].

ولقد عاد عمر بن الخطاب – ﷺ– عام ١٧هـ/ ٦٣٩م إلى بيت المقدس المعروف بعام الرمادة[٦]، الذي اجتاح عامئذ قحط شديد بلاد الحجاز، فجاعت الناس، وماتت الماشية فأمر الخليفة عامليه أبا عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص، فأرسلا الحبوب من سورية و فلسطين إلى بلاد الحجاز[٧]، وقيل أن سبب مجيئه هو الطاعون الذي انتشر في فلسطين وبلاد الشام و–خاصة– عمواس، وتوفي على إثره الكثير من الصحابة رضوان الله عليهم بما فيهم أبو عبيدة بن الجراح، فخاف عمر بن الخطاب أن يستغل الروم فرصة ضعف البلاد،

---

(١) الواقدي، فتوح الشام، ج ١، ص ٢٤١

(٢) اليعقوبي، تاريخ،ج٢،ص١٤٧؛ الطبري، تاريخ،ج٢،ص٤٤٩؛ ابن البطريق، التاريخ المجموع، ج٢، ص١٧.

(٣) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص٢٥٧– ٢٥٨

(٤) الواقدي، فتوح الشام، ج ١، ص ٢٤٤

(٥) الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٤٤٩؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٤١، ص ١٣٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٤، ص ١٩٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ٣٤٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج ١٩، ص ١٠٩

(٦) عارف العارف، المفصل، ص١٠١

(٧) الطبري، تاريخ، ج٢،ص٥٠٩؛ ابن منظور، مختصر، ج٤، ص٨١؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٤، ص١٩٣

بسبب تلك المصائب فسار إلى القدس، ونزلها ثانية، فآسى التكالى واليتامى، وأعان الفقراء، ونظر في أمور الناس ومصالحهم[١].

حافظ على مدينة القدس الأبطال أمثال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وأمين الأمة أبو عبيدة، والذي لم يجد أمير المؤمنين في بيته عندما زاره إلا سيفا وترسا، فقال له لو اتخذت متاعا، فكان جوابه هذا سيبلغنا المقيل[٢][٣]، فقال له عمر "غيرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة"[٤][٥]، ومن الجدير ذكره أن الشعب الفلسطيني، لم يتأثر، على مر العصور بأي سلطة حاكمة مثل تأثره بالفتح الإسلامي، وأن ثقافته لم تتأثر بالأمم التي تعاقبت على أرضه، مثل تأثرها بالفتح العربي الإسلامي [٦].

ثانيا: القدس في العهد الأموي: (٤٠-١٣٢هـ/٦٦٠-٧٥٠م)

نالت القدس في عهد الأمويين اهتماما خاصا زاد من قدسيتها وحرمتها ومكانتها الإسلامية الكبيرة ، حيث أخذت البيعة لأكثر من خليفة أموي في بيت المقدس[٧]، كما انتقلت إقامة بعض الخلفاء الأمويين بين دمشق وفلسطين، وتميزت سياسة الخلفاء الأمويين مع أهل فلسطين بالملاينة والتقريب ورفع الشأن الفلسطيني[٨] فقد أصبح للفلسطينيين مكانة مرموقة في الخلافة الأموية و من أهم تلك الشخصيات رجاء بن حيوة الذي لقب بـ (مشير الخلفاء و

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص ٤١٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج ١٩، ص ٢٢٤ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٧، ص ٧٨؛عارف العارف، المفصل، ص١٠١

(٢) المقيل قد تعني موضع القيلولة، يقصد الراحة في الأخرة، ابن منظور، لسان العرب،ج١١، ص٥٧٧-٥٧٨

(٣) ابن أبي الدنيا، الزهد، ج ١، ص ١١٧؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٥، ص ٤٨٠؛ ابن الأثير، اسد الغابة، ج ٣، ص ١٢٦؛ الذهبي، سير أعلام، ج ١، ص ١٧

(٤) ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ٤، ص ٨٠؛ الذهبي، سير أعلام، ج ١، ص ١٧

(٥) وفي المقابل ضيعها المترفون الذين امتلأت بطونهم على حساب القدس... أصحاب السيجار، وكازينو القمار، والقصور في الريف الإنجليزي و شواطئ الريفيرا، ضيعها الخونة... فهانت القدس في أعين الناس سيد العفاني، تذكير النفس، ج١، ص ١٨٣

(٦) عارف العارف، المفصل، ص١٠١-١٠٢

(٧) أبو الفداء، المختصر، ج ١، ص ١٢٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ١٤٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٦، ص ٣٧٨؛ ابن الوردي، تاريخ، ج ١، ص ١٥٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٤١

(٨) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٩٣؛ ابن سمعون، أمالي، ج١، ص٦٤ ؛إسحاق رباح، تاريخ القدس، ص١٦٠

الأمراء)[١] ويكفي أهل فلسطين فخرا بأن رجاء هو الذي أشار على سليمان بن عبد الملك بتولية عمر بن عبد العزيز الخلافة من بعده[٢].

يعد معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية، أحد قادة الجيوش العربية التي انتدبها أبو بكر الصديق – ﷺ– لفتح الشام وفلسطين[٣] وحضر فتح بيت المقدس[٤] و كان من شهود العهدة العمرية التي أعطاها لأهل بيت المقدس[٥].

وفي عهد عمر بن الخطاب – ﷺ– كانت فلسطين بما فيها القدس تابعة لوالي بلاد الشام التي أصبح معاوية واليا عليها منذ عام ١٨هـ/ ٦٣٩م[٦]،ثم ولاه عثمان بن عفان – ﷺ– ما ولاه عمر – ﷺ– فالمدة التي قضاها واليا للشام زمن الخليفتين عمر وعثمان تجاوزت العشرين عاما [٧]، فلما استشهد عثمان بقي معاوية واليا عليها واستقل بها [٨]، وأثناء الفتنة العصيبة والأحداث الدامية بين معاوية – ﷺ– و علي بن أبي طالب – ﷺ– [٩] وقفت أجناد بلاد الشام كلها مع معاوية وبايعته بالخلافة[١٠]، في شهر ذي القعدة سنة سبع و ثلاثين

---

(١) أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج ٥، ص ١٧٠؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٥٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٣١٢

(٢) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٨، ص ٣٦٢١

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٣١١؛ ابن خياط، تاريخ، ج ١، ص ١٧٨–١٧٩؛

(٤) ابن العديم، بغية الطلب، ج ١، ص ٥٨١

(٥) الطبري، تاريخ ، ج ٢، ص ٤٤٩

(٦) ابن خياط، تاريخ، ج ١، ص ١٥٥؛البلاذري، فتوح البلدان، ج ١، ص ١٤٦

(٧) ابن المطهر، البدء والتاريخ ج ٥ ص ١٠٨؛ اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ١٧٦؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ٣٠٧

(٨) ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٦٩–٧٠

(٩) يعتبر عمرو بن العاص من أكثر المساندين لمعاوية بن أبي سفيان في حربه ضد علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعا، و لأهمية بيت المقدس تعاهد كل من عمرو ومعاوية في المدينة، بعد مقتل عثمان أن حمل كل واحد منهم صاحبه الأمانة والتناصر والتناصح في أمر الله والإسلام، ولا يخذل أحدهم صاحبه بشيء، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٤، ص ٢٥٤؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٥٥، ص ٢٧؛ العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٦٣؛ محمد علي، خطط الشام، ج١، ص١٣٨

(١٠) ابن خياط، تاريخ، ج ١، ص ١٩٢

[1]، و تكاتفت القبائل المنتشرة في فلسطين من لخم وجذام و الأزد و وكنانة وخثعم، مع والي الشام في حروبه مع علي كرم الله وجهه[2].

و بعد أن انتهى الخلاف بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم، أولى الخليفة الأموي الأول معاوية بيت المقدس أهمية كبيرة ، فقد بويع له – ﷺ– بالخلافة في شهر رمضان بمدينة القدس[3].

لقب معاوية بن أبي سفيان بـ(أمير المؤمنين)[4]، وعين حكيم بن علقمه نائبا له على فلسطين[5]، وجعل سلام بن قيصر واليا على مدينة القدس[6]

وقد ذكر المقدسي، أن مدينة المسجد الأقصى كان خرابا حتى مجيء الإسلام، فعمره عمر بن الخطاب – ﷺ–، ثم أكمل إعماره معاوية بن أبي سفيان[7]. إضافة لما سبق فإن أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان تردد على مدينة بيت المقدس أكثر من مرة، وحظي اهل الذمة باهتمام الخليفة ففي إحدى زياراته توجه إلى الجثمانية[8] وهبط منها إلى قبر السيدة مريم وصلى هناك، ولم يكتف بذلك بل استعمل بعض النصارى في مهماته ووظائفه [9].

---

(١) الطبري، تاريخ، ج ٣، ص ٢٦١

(٢) الفسوي، المعرفة والتاريخ، ج ٣، ص ٣٢٣؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ٣٣١؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٦١، ص ٣٧٣صلاح الدين البحيري وأخرون، المدخل، ص٥٨

(٣) الفسوي، المعرفة والتاريخ، ج ٣، ص ٣٢٧؛ الطبري، تاريخ، ج ٣، ص ١٦٦؛الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١، ص ٢١٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٣، ص ٢٦٧.

(٤) ابن مزاحم المنقري، وقعة صفين، ج ١، ص ٥؛ ابن خياط، تاريخ، ج ١، ص ٢١٦؛ الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١، ص ٢٥٨

(٥) ابن كثير، البداية و النهاية، ج٧، ص٢٢٨

(٦) ابن تميم المقدسي، مثير الغرام، ص٣٢٨؛ العليمي، الأنس الجليل، ج١، ص٢٦٦

(٧) البدء والتاريخ، ج ٤، ص ٨٧

(٨) كنيسة جميلة واقعة على وادي قدرون عند ملتقى طرق القدس و الطور وسلوان، عارف العارف، المفصل، ص ٥٣٠

(٩) محمد محاسنة و أخرون، تاريخ مدينة القدس، ص١٠٤

وقد انشأ سلام بن قيصر، مقرا جديد للحكومة أثناء حكم معاوية بن أبي سفيان – ﷺ– وهذا المقر عبارة عن حصن مستدير بني على طراز قصور الخلفاء المبنية في بلاد الشام أثناء الحكم الأموي [١].

وعندما تولى عبد الملك بن مروان الحكم بعد أبيه، عام ٦٥هـ – ٦٨٤م[٢] وصلت القدس أوج مجدها وازدهارها ومن أهم الأعمال التي قام بها هي بناء المسجد الأقصى وقبة الصخرة [٣] وحبا من عبد الملك لمدينة القدس شغف بالإقامة فيها[٤].

ولما ولي سليمان بن عبد الملك الأموي الخلافة بعد أخيه الوليد في سنة ٩٦هـ/٧١٤م[٥]، توجه لبيت المقدس بعد أن كان في مشارف البلقاء[٦]، وجلس في صحن مسجد بيت المقدس مما يلي الصخرة، وجاءت إليه الوفود لتبايعه فلم ير وفادة أهنأ من تلك الوفادة[٧].

فضل سليمان بن عبد الملك الإقامة ببيت المقدس، واتخاذها منزلا ومقاما له، وهم بتحويل عاصمة ملكه من دمشق إليها، نظرا لمكانتها و أهميتها في نفوس الأمويين[٨]، وبعد دراسة إمكانية اتخاذها عاصمة للدولة، وجد أن المدينة غير مؤهلة لأن تكون عاصمة الدولة،

---

(١) عارف العارف، تاريخ القدس، ص٥٠؛ ميخائيل مكسي، القدس، ص ٥١.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ٣٨٧؛ البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٠، ص ٣٨٨؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٣٧، ص ١١٠–١١١؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ١٥

(٣) ابن سمعون، أمالي، ج ١، ص ٦٤

(٤) شوقي شعث، القدس الشريف، ص١٦

(٥) ابن خياط، تاريخ، ج ١، ص ٢٩٩؛ ابن قتيبة، المعارف، ج ١، ص ٣٦٠؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ١٤، ص ٤٠٣؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ج ١، ص ٦١؛أبو الفداء، المختصر، ج ١، ص ١٣٨

(٦) ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ٣، ص ٤٠١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٦، ص ٣٧٨

(٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٩، ص ١٧٨؛ المنهاجي، إتحاف الإخصا، ق٢، ص٤٣؛ العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٨١

(٨) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٦٨، ص ١٧٤؛ ابن منظور، مختصر تاريخ،ج ٣، ص ٤٠١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام،ج ٦، ص٣٧٨؛ البداية والنهاية، ج٩، ص١٧٨؛العليمي، الأنس الجليل،ج١، ص٢٨١

حيث لا يوجد بها مراعي تكفي الأعداد الكبيرة من خيول ودواب المقاتلين ، و لذلك تخلى سليمان عن تلك الفكرة[١].

مما سبق يظهر أهمية بيت المقدس مقارنة بالمدن الفلسطينية الأخرى، فقد بويع بعض حكام بني أمية بالخلافة في أرض بيت المقدس، بل وصل الأمر بـ سليمان بن عبد الملك الذي هفت نفسه ورق فؤاده لتحويل بيت المقدس عاصمة للأمويين.

ثالثا: القدس في عهد الخلافة العباسية(١٣٢-٢٦٥هـ/٧٥٠-٨٧٨م):

بعد هزيمة مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م[٢] تفرق بنو أمية في البلاد خوفا من انتقام العباسيين[٣] وهرب مروان بن محمد بعد هزيمته في الزاب[٤] إلى الشام مرورا بالموصل ودمشق و الأردن حتى وصل إلى فلسطين وكان فيها الحكم بن ضبعان بن روح الذي أراد أن يبطش بمروان فهرب إلى مصر فقتل فيها وأرسل صالح بن علي رأسه إلى الخليفة عبد الله بن محمد الملقب ب(السفاح)[٥]، وكان معه ولداه عبد الله وعبيد الله، فهربا إلى الحبشة فلقوا من الأحباش مقاومة شديدة قتل فيها عبيد الله [٦]، وأما عبد الله فقد ذهب إلى الحجاز، وظل ينتقل في البلاد إلى أسره أبي العباس السفاح، فعاش في السجن بقية أيام السفاح والمنصور وابنيه المهدي والهادي، إلى أن أخرجه الرشيد وهو شيخ كبير السن[٧]. وبذلك انتهى الحكم الأموي في بلاد الشام.

---

(١) الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثالث، ص٥١١-٥١٢.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٢٥٢؛ الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٣٥٠؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٥٧، ص ٣٤٦ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٥، ص٧١- ٧٣.

(٣) المسعودي، التنبيه والإشراف، ج ١، ص ١٢٠

(٤) الزاب الأعلى منطقة تقع بين الموصل وإربيل، الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٢٤

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٢٤٨

(٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٣٨، ص ١٢٠

(٧) المسعودي، التنبيه والإشراف، ج ١، ص ١٢٠

أعلن الحكم بن ضبعان بن روح ابن زنباع سيطرته على فلسطين [١] بما فيها مدينة بيت المقدس، وجعلها تحت سيطرته أثناء الفتنة الأموية العباسية، ومؤيدا الحكم العباسي[٢]، فتوجه إليها القائد العباسي صالح بن علي عم السفاح في خمسين ألف مقاتل وضمها إلى الدولة العباسية عام ١٣٢هـ/٧٥٠م [٣]، وبذلك أضحت القدس تحت سيطرة العباسيين الذين واصلوا الاهتمام بالمدينة [٤].

أول أعمال(السفاح) كأول خليفة عباسي سنة ١٣٢هـ[٥]، تبديل الولاة الأمويين وتعيين بدلا منهم أقاربه، فجعل على مصر صالح بن علي قاتل أخر خلفاء بني أمية و أضيفت إليه فلسطين بما فيها مدينة القدس [٦].

ولما تولى أبو جعفر المنصور الخلافة بعد أخيه السفاح عام١٣٦هـ / ٧٥٤م[٧] حظيت بيت المقدس باهتمام الخليفة ففي سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م، توجه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور لبيت المقدس في زيارته الأولى[٨] ثم كانت الزيارة الثانية ١٥٤هـ/٧٧٥م[٩]، وكذلك زارها ابنه المهدي سنة ١٦٣هـ/٧٧٩ [١٠].

ويظهر اهتمام العباسيين بفلسطين عامة والقدس خاصة أن ولاتهم كانوا من العائلة العباسية المخلصة مثل صالح بن علي، وإبراهيم بن صالح[١١]، ويزيد بن صالح وغيرهم[١٢]

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ٥، ص ٧٤؛ ابن خلدون، تاريخ، ج ٣، ص ١٦٤

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٦٥، ص ٢٠٩

(٣) الذهبي، العبر، ج ١، ص ١٧٨؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ١، ص ٢٧٩؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ١، ص ١٨٣محمد كرد علي، خطط الشام، ج١، ص ١٤٦

(٤) عرفه علي، القدس العتيقة، ص٢٩، يحيى الفرحان، قصة مدينة القدس، ص٢٢

(٥)ابن خياط، تاريخ، ج١، ص٤٠٩؛ اليعقوبي، تاريخ،ج٢، ص٣٤٩؛ المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٤٥٠

(٦) ابن قتيبة، الإمامة،ج ٢، ص ٢٩٦؛ الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٣٦٧؛ الكندي، ولاة مصر، ج ١، ص ٣٠

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٧، ص ٣٣٥

(٨) الطبري، تاريخ، ج٤،ص٣٩٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٢٧؛ أبو الفداء، المختصر، ج ١، ص١٤٩

(٩) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٢، ص٥٥؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج ٨، ص ٣٦٠٦.

(١٠) الفسوي، المعرفة والتاريخ، ج١، ص٩؛ اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٩٨؛ الطبري، تاريخ، ج ٤، ص٥٦٨.

(١١) الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٥٦٨؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٦، ص ٤٤٧؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج ١، ص ٤٥١

(١٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٥٩، ص ٤٤٥

كذلك ظهرت عائلات فلسطينية لعبت دورا هاما في الخلافة العباسية مثل عائلة آل الربيع الذين لعبوا دورا سياسيا لا يمكن إنكاره[١].

رابعا: القدس في العهد الطولوني(٢٦٥-٢٩٢هـ/٨٧٨-٩٠٥):

يتخذ المؤرخون من سنة ٢٣٢هـ/٨٤٦م نهاية العصر العباسي الأول وقيام العصر العباسي الثاني، والذي نزع في تلك الحقبة كثير من ولاتها إلى الاستقلال بإماراتهم ولم تقتصر الحركات الاستقلالية على ذلك الحد، بل قامت دول تنافس الخلافة نفسها، وإضعافها[٢].

وكانت أول الدول تلك التي أسسها أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية، ولد في بغداد سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م، ويرجع أصله إلى قوم من المماليك الأتراك[٣]، أعجب المأمون به وألحقه بحاشيته، وما زال يرقيه حتى جعله رئيس حرسه وبقي ابن طولون في منصبه عشرين عاما، خدم خلالها المأمون وأخاه المعتصم، وفي عهد الأخير ضعفت السلطة العباسية ولم يبق منها إلا الاسم [٤].

اتصل ابن طولون بالقادة الأتراك المتنفذين في الدولة العباسية ببغداد وخاصة باكباك أهم القواد الأتراك [٥] وفي شهر رمضان عام ٢٥٤هـ/٨٦٨م اختاره باكباك ليحكم باسمه الفسطاط في مصر[٦]، ثم استخلفه على مصر كلها في نفس العام، وبعد عامين استقل ابن طولون في حكم مصر عن الدولة العباسية[٧].

---

(١) ابن خياط، تاريخ، ج ١، ص ٤٦٥؛ اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٤٤٢؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، ج ١، ص ١٢٦ ؛ البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٥، ص ٢٧٠.

(٢) حمد يوسف، بيت المقدس، ص١٣٢

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٢، ص ٢٣٠؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ج ١، ص ٨٢

(٤) ابن العبري، تاريخ مختصر، ج ١، ص ٨٢عارف العارف، المفصل، ص١٢٥

(٥) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٥٠٣؛ الطبري، تاريخ، ج ٥، ص ٣٨٧.

(٦) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٥٠٣

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص ٢٣٨؛ أبو الفداء، المختصر، ج ١، ص ١٧٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢٠، ص ٤٦؛ ابن خلدون، تاريخ، ج ٤، ص ٣٨٥؛ ابن تغردي بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ١.

ظهرت ثورة عيسى بن شيخ الربعي سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م[١] التي أفرزت تداعياتها ومحاولات القضاء عليها صراعا بين قياديين من الأتراك وهم أحمد ابن طولون، وأماجور التركي والي دمشق حيث استطاع الثاني القضاء على ثورة ابن شيخ في فلسطين والأردن، فهرب الأخير إلى بلاد أرمينيا [٢]، وبذلك أصبح أماجور بعد هروب ابن شيخ واليا على فلسطين و الأردن ودمشق[٣] وكان كل من ابن طولون وأماجور يطمع في السيطرة على منطقة الأخر[٤].

توجه أحمد بن طولون في مطلع عام ٢٦٥هـ/٨٧٨م بقوات عسكرية كبيرة و كثير من المتطوعين فاستولى على فلسطين ومن ضمنها بيت المقدس وقبل أن يصل دمشق توفي أماجور التركي فسيطر عليها تم بدأت تسقط المدن الشامية واحدة تلو الأخرى[٥] ، حتى تمكن من السيطرة على الشام كاملة[٦]، مستغلا انشغال الدولة العباسية بثورة الزنج[٧]معتبرا تلك المناطق جزءا متمما لولايته فعمل على تنصيب العمال والولاة من قبله، وفي عام

---

(١) تقلد حكم فلسطين و الأردن و دمشق، و رفض دفع الخراج بل تعدى ذلك واستولى على أموال الخراج المرسلة من مصر للخلافة العباسية قدرت بحوالي ٧٥٠ ألف دينار أثناء حكم الخليفة المعتمد، فأرسل المعتمد لأحمد بن طولون أن ينهي ثورة ابن شيخ فتحجج بضعف الحالة الاقتصادية المصرية وعدم قدرته على تمويل الأموال، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٤٧، ص ٣١١؛ ابن خلدون، تاريخ، ج ٤، ص ٣٨٧

(٢) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٥٠٦؛ الكندي، ولاة مصر، ج ١، ص ٦٥ ؛ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ٦، ص ١٩٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢٤

(٣) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج ١، ص ٨٣

(٤) ابن خلدون، تاريخ، ج ٤، ص ٣٨٧

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ١٢٨؛ ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ١، ص ٣٥٦.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص ٢٧٧؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج ٢، ص ٨٢٧-٨٢٨؛ زبدة الحلب، ج ١، ص ٤٦؛ ابن خلدون، تاريخ، ج ٣، ص ٤٢٣.

(٧) ظهرت فتنة الزنج سنة ٢٥٥هـ زمن الخليفة العباسي المهتدي، بعد خروج قائد الزنج العلوي أحمد بن عيسى بن زيد الذي انتسب إلى زيد بن علي عن الخلافة العباسية، والتفاف عبيد أهل البصرة من الزنج إلى جانبه، وأقام دولة ولأبنائه من بعده بنواحي البصرة أيام الفتنة إلى أن انقرضت على يد المعتضد سنة٢٧٠هـ. النويري، نهاية الأرب، ج ٢٥، ص ٧٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١٩، ص ١٣؛ ابن خلدون، تاريخ، ج ٣، ص ٣٥٢

٢٧٠هـ/٨٨٣م توفي أحمد بن طولون تاركا حكم مصر وفلسطين وجنوب الشام لابنه خمارويه[١]

جمع ابن طولون بين المهارة الحربية ومجالات العلم المختلفة فنشأ على الخير و الصلاح ومحبته للعلماء وحفظه القرآن الكريم وكان من أطيب الناس صوتا به [٢].

أعلن والي جند الرملة محمد بن رافع الثورة على خمارويه وبايع الخلافة العباسية سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣ حيث دعا فيها للموفق العباسي [٣]، مما أدى لصراع كان لفلسطين نصيب منه فقد وقعت معركة الطواحين[٤] على نهر أبي فطرس[٥] بين قوات الخليفة العباسي الموفق و خمارويه بن طولون سنة ٢٧١هـ/٨٨٤م، والتي كان النصر فيها حليف خمارويه، الأمر الذي جلب معه الهدوء إلى المناطق الجنوبية من الشام[٦].

ولما قتل خمارويه تولى ابنه جيش الملقب بأبي عساكر، الذي لم تقبله كل من مصر والشام، فثار عليه الجميع وقتلوه ولم تستمر ولايته إلا تسعة أشهر فقط، وعين الثوار بعده أخاه أبا موسى هارون بن خمارويه سنة٢٨٢هـ/٨٩٦م[٧]، الذي حل النزاع مع الخلافة العباسية مقابل أن يدفع هارون للخلافة ٤٥٠ ألف دينار سنويا[٨].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص ٢٧٧؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج ١، ص ٨٣ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج ٣، ص ٤٢٢

(٢) ابن سمعون، أمالي، ج ١، ص ٣٣٥؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٢، ص ٢٣٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢٠، ص ٤٦

(٣) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج ١، ص ٨٣

(٤) منطقة قرب الرملة من أرض فلسطين، الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٥

(٥) يبعد نهر أبي فطرس(العوجا) عن مدينة الرملة نحو ١٢ ميل، اليعقوبي، البلدان، ج ١، ص ٣٩؛ الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٣١٥

(٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٥١، ص ١٧٣؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج ٣،ص ١١١٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٤٩

(٧) الطبري، تاريخ، ج ٥، ص ٦١٤؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ١٥١؛ الذهبي، سير أعلام، ج ١٣، ص ٩٦؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢١، ص ١٤٥.

(٨) الطبري، تاريخ، ج ٥، ص ٦٢٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٢، ص ٣٩٨ .

لم تطل فترة حكم أبي موسى هارون فقد قرر المكتفي بالله العباسي القضاء على سلطان الأسرة الطولونية، فأرسل قائده محمد بن سليمان الكاتب بقوة كبيرة بلغت عشرة آلاف جندي[١] استطاع من خلالها استعادة الشام ومصر للخلافة العباسية [٢]، وبذلك انتهى الحكم الطولوني لمدينة القدس في عام٢٩٢هـ/٩٠٥م لتعود تحت الحكم العباسي[٣]

خامسا: القدس في العهد الإخشيدي(٣٢٣-٣٥٨هـ/٩٣٤-٩٦٩م)

ظن بنو العباس بأنهم نجوا من ثائر يناصب دولتهم العداء في كل من الشام ومصر بعد قضاءهم على أبناء طولون وقوادهم، وقضوا على ثورة الزنج، وما كانوا يظنون أن تظهر لهم في الحال دولة أخرى على أنقاض الطولونيين لا تقل عنها قوة وبئسا، فقد ظهرت لهم دولة بني طغج الإخشيدية[٤].

ولي أبو بكر محمد بن طغج بن جف مؤسس الأسرة الإخشيدية[٥] على الرملة سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م زمن الخليفة العباسي المقتدر[٦]، وعندما تولى الخليفة العباسي القاهر بالله ولاه على مصر سنة ٣٢١/٩٣٢م، كقائد بارز في مواجهة الفاطميين الذين أخذوا بتهديد حدود مصر الغربية، وتمكن من ردهم عن مصر، ثم توسعت حدود دولته في عهد الخليفة الراضي بالله بن المقتدر حتى شملت بلاد الشام ومصر والحجاز سنة ٣٢٣هـ/٩٣٤م، وأصبحت القدس ضمن أملاكه [٧].

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٥،ص٦٥٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج٦،ص٤٢٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١،ص٩٩

(٢) الكندي، ولاة مصر، ج ١، ص ٧٥٠-٧٦؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٦؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢٢، ص ٩؛ ج٢٥، ص ٣٣٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ١٠

(٣) سيد العفاني، تذكير النفس، ج١، ص٢٢١؛ خليل سركيس، تاريخ القدس، ص ١٠٨

(٤) الكندي، ولاة مصر، ج ١، ص ٨٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ١٢٣

(٥) معنى كلمة الإخشيذ ملك الملوك ،ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٥٣، ص ٢٨٥؛ ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ٧، ص ١٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢٥، ص ١١٢،٣٠؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٥٣؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج ١، ص ٣٩٨

(٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٥٨

(٧) المسعودي، التنبيه والإشراف، ج ١، ص ٧٢؛ الكندي، ولاة مصر، ج ١، ص ٨٧-٨٨؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٥، ص ١٨٠؛؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٥٦ ؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج ١، ص ٨٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٢٥

اتصفت العلاقة بين الدولة العباسية والإخشيدية بالحسنة حتى عام ٣٢٧هـ/٩٣٨م، حيث أخذت بالتراجع وذلك لتعيين الخليفة الراضي العباسي محمد بن رائق أمير الأمراء على بلاد الشام، لإضعاف نفوذ ابن طغج، فحدثت بينهم عدة حروب[١]، وقفت فلسطين إلى جانب محمد بن طغج، واضطر الطرفان إلى توقيع اتفاقية بينهما عام ٣٢٨هـ/٩٣٩م نصت على أن تكون فلسطين ومصر مع الإخشيد و منطقة الأردن مع محمد بن رائق[٢].

بدأت الدولة الإخشيدية تسير في طريق الضعف والانحلال خاصة في السنوات العشر الأخيرة، حيث تزايد الخطر الفاطمي على مصر، وتعرضت الشام لخطر الغزو من قبل القرامطة في سنوات ٣٥٢هـ/٩٦٣م و ٣٥٣هـ/٩٦٤م و ٣٥٧هـ/٩٦٧م حيث وصلت حدود سيطرتهم مدينة دمشق وصولا إلى مدينة الرملة وقراها حتى شملت معظم أرض فلسطين[٣].

حاول الإخشيديون في عهد الحسن بن عبيد الله بن طغج وقف هجمات القرامطة، لكن تلك المحاولات انتهت بالفشل سنة ٣٥٧هـ/٩٦٨م، حين فرضوا إتاوة مالية على أهل الرملة مما أدى إلى فرار الحسن منها وتحصنه في مدينة القدس، وأجبر على دفع الإتاوة للقرامطة مقدارها ثلاثمئة ألف دينار يؤديها لهم كي يتقي غاراتهم المتكررة [٤].

يمكن القول بأن الإخشيديين اهتموا بمدينة القدس وعمروا المدينة وكانوا ينظرون للمدينة بتبجيل واحترام حتى أنهم أوصوا بأن يدفنوا فيها، فدفن فيها محمد بن طغج الإخشيد،

---

(١) الكندي، ولاة مصر،ج١ص٨٩؛ ابن سمعون، أمالي،ج١، ص٨٨؛ ابن العبري، تاريخ مختصر،ج١، ص٩٥

(٢) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة،ج ١، ص ٨٣

(٣) ابن الوردي، تاريخ، ج ١، ص ٢٨٣؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٣، ص ٣٦٠ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٢٥٤؛ زيدان كفافي، القدس، ص ١٢٣-١٢٤

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٦١؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٣٥؛ خليل عثامنة، فلسطين، ص٢٥٩

وعلي بن الإخشيد، وكافور الإخشيدي، وكان أكثر أمرائهم يخصصون بعض من أوقاتهم لزيارة القدس و الإقامة فيها للعبادة و الراحة[١].

سادسا: القدس في العهد الفاطمي(٣٥٨-٤٦٣ هـ/٩٦٩- ١٠٧١)

أقام أبو محمد عبيد الله المهدي الدولة الفاطمية العلوية في المغرب سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م[٢]، وفي سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م، أرسل المعز لدين الله قائده الشهير جوهر الصقلي إلى مصر، فتمكن من فتحها، وضمها للدولة الفاطمية[٣]، ولم يدخل المعز في طاعة الخلفاء العباسيين، بل ادعى الخلافة لنفسه[٤]، بقوله: (نحن أفضل من بني العباس، أنا من ولد فاطمة بنت رسول الله) وكان الخليفة في بغداد يومئذ المطيع لله العباسي، فلم يقره على عمله، وراح الاثنان يتنازعان[٥].

وبعد ضم مصر أرسل جوهر[٦] بدوره القائد الشهير جعفر بن فلاح الكتامي[٧] باتجاه بلاد الشام، حيث وصل إلى الرملة فتمكن من السيطرة عليها، وأسر واليها الإخشيدي الحسن بن عبيد الله بن طغج وأرسله إلى مصر [٨] ثم حمل إلى المغرب[٩]، وبعدها سيطر على بيت

---

(١) الكندي، ولاة مصر، ج ١، ص ٩١؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ١٣، ص ١١٨؛ ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ٧، ص ١٨؛ ابن الوردي، تاريخ، ج ١، ص ٢٨٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ٢١١؛ محمد محاسنة، تاريخ مدينة القدس، ص١٤٣

(٢) أبو الفداء، المختصر، ج١،ص١٩١؛ الذهبي، العبر، ج٢،ص١٩٩؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٥٥

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٣٧٥؛ ابن خلدون، تاريخ، ج ٤، ص ٤٠٩-٤١٠؛ ابن تغري بردي، مورد اللطافة، ج ١، ص ٢٧٠

(٤) الكندي، ولاة مصر، ج ١، ص ٩١؛ ابن سمعون، أمالي، ج ١، ص ٨٩،١٠٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ٣٠

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ٣٢؛ عارف العارف، المفصل، ص ١٣٠

(٦) القائد أبو الحسن جوهر بن عبد الله المعروف بالكاتب الرومي، الذي احتل مصر وأقام فيها الدعوة لصالح الفاطميين للمزيد انظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٣٧٥-٣٧٦

(٧) هو أبو علي جعفر بن فلاح الكتامي أحد أهم القادة الفاطميين في بلاد الشام قتل في دمشق على يد القرامطة ٣٦٠هـ، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٣٦١

(٨) ابن القلانسي، تاريخ، ج ١، ص ١؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٣، ص ٢٠٥ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٣١٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢٦، ص ٢٣٠؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج ١، ص ١٢٢

(٩) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢٦، ص ٢٣٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ٣٢

المقدس وباقي المدن الفلسطينية وضمها للدولة الفاطمية سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م، وبذلك انتهت الدولة الإخشيدية[١].

ولما تولى المنصور الحاكم بأمر الله سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م[٢]، الذي حكم البلاد حوالي ٢٥عاما[٣]، وكان بداية حكمه صغيرا في السن[٤] فاختير برجوان الخادم وصيا عليه[٥] فثار المفرج بن دغفل الطائي على الدولة الفاطمية، فنزل الرملة ٣٨٦/٩٩٦م ونهب أهلها، فأرسل إليه برجوان وصي الحاكم، جيش ابن الصمصامة بن عليان[٦] ، فحاربه واسترد الرملة منه، وهرب المفرج الطائي من بين يديه ، ثم ثار ثانية، مستغلا قيام تمرد بمدينة صور في عام ٣٨٧هـ/٩٩٧، فملك الرملة وما والاها، فأرسل الحاكم يسترضيه وابنه حسانا ولكنه غدر بهما وقام بوضع السم للمفرج فمات[٧].

لم ينسى حسان موت والده[٨] فعقد تحالفا يضم بني طي بقيادته و صالح بن مرداس أمير بني كلاب وسنان بن عليان، للقضاء على الحكم الفاطمي في الشام و تقسيمها فيما بينهم على أن تكون فلسطين كلها من نصيب حسان بن مفرج الطائي[٩]، وحانت الفرصة لحسان عندما هرب من الديار المصرية ناظر ديوان الزمام، الوزير أبو القاسم الحسن بن علي

---

(١) الذهبي، سير أعلام، ج ١٦، ص ٢٢٤؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج ١، ص ١٨٦ ؛شوقي شعث، القدس الشريف، ص١٧؛ ؛ صلاح الدين البحيري وأخرون، المدخل، ص٦٥

(٢) ابن القلانسي، تاريخ، ج ١، ص ٣٠؛ القلقشندي، مآثر الإنافة، ج ٢، ص ١١٧

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص ١٢٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ١٩٦؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج ١، ص ٥٢٤

(٤) ابن البطريق، التاريخ المجموع، ج٢، ص١٦٤؛ محمد عنان، الحكام بأمر الله، ص ٨٦-٨٧

(٥) الأستاذ أبو الفتوح الذي عهد إليه الخليفة العزيز بالله الفاطمي في الوصاية على ابنه الحاكم وكان من الثقات عنده، ابن القلانسي، تاريخ، ج ١، ص ٣٠؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٧٠

(٦) القائد أبو الفتح ، جيش بن محمد بن صمصامة، أمير دمشق، اتصف بكثرة سفكه للدماء وكثير الظلم، شديد في المعاملة مع الناس،ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق،ج١١،ص٣٤٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢٧،ص١٩٦

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٤٨٢-٤٨٣

(٨) ابن القلانسي، تاريخ، ج ١، ص ٤٩

(٩) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٦٩

المغربي، حيث قتل الحاكم أبوه و عمته و أخيه محمد في فوره من فوراته [١]وقد سعى المغربي بكل ما أوتي من قوة لإقناع حسان بالهجوم على الدولة الفاطمية[٢]

وأخيرا تحقق طموح المغربي بأن ثار التحالف، فزحفوا على مدينة الرملة واستولوا عليها وقتلوا حاكمها[٣]، وفي سياق مناهضتهم للفاطميين عملوا على استدعاء أمير مكة الشريف الحسن بن جعفر المعروف بأبي الفتوح إلى فلسطين وعندما اقترب من الرملة استقبله العرب وقبلوا الأرض بين يديه، وسلموا عليه بأمير المسلمين، وتم تنصيبه على الرملة ٤٠١هـ/١٠١٠م ولقب الراشد بالله[٤]، ودخلت القدس حينئذ في طاعته[٥].

لم تطل فترة حكم أبي الفتوح على الرملة، بحيث أغرى العزيز الفاطمي آل الجراح الطائيين بالأموال[٦] و العفو عما ارتكبوه من أخطاء مقابل تخليهم عن مساندة أبي الفتوح، ونجحت في ذلك حيلة الفاطميين، منهية ثورة أبو الفتوح الذي رجع إلى مكة بعد عامين من تنصيبه حكم الرملة[٧]، فرجعت القدس مرة أخرى تحت طاعة الفاطميين.

استمر آل الجراح الطائيين في موالاتهم للفاطميين، إلى أن ثبتوا أركانهم في أغلب بلاد الشام[٨] حينها طلب حسان بن المفرج زعيم آل جراح من الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي، بمنحه الألقاب السلطانية وتوسيع إقطاعه، ليشمل نابلس و القدس، مقابل الطاعة والولاء له، فوافق مكرهاً على ضم نابلس لإقطاعه في حين رفض إعطاءه مدينة القدس[٩].

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢٨، ص١٣؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٣١؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٣ ، ص٢١٠

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص ٣٥٦

(٣) ابن العديم، بغية الطلب، ج٥، ص ٢٢٣٩-٢٢٤٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢٨، ص١٣

(٤) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٥، ص ٢٢٤٠؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٦٣١

(٥) عارف العارف، المفصل، ص ١٣٥

(٦) الذهبي، سير أعلام، ج١٥، ص ١٢٩

(٧) ابن العديم، بغية الطلب، ج٥، ٢٢٤٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢٧، ص٩؛ السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٧٣

(٨) ابن تغري بردي، ،مورد اللطافة،ج ١، ص ٢٧٨، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ٢٤٨

(٩) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ١٥٧

وهنا يظهر تمسك السلطة الحاكمة بمدينة بيت المقدس، وعدم التفريط فيها مهما كانت الظروف لمكانتها وأهميتها في قلوب المسلمين، ومركزيتها من بين المدن الفلسطينية.

اتسمت العلاقة بين حسان والفاطميين بالطاعة والتفاهم لأن الظاهر الفاطمي اتبع سياسة التقرب من زعماء وحكام القبائل العربية –خاصة– الطائية منها لقوتها وتأثيرها، ولكن تلك العلاقة لم تستمر طويلا حيث ولى الظاهر الفاطمي أنوشتكين الدزبري[١] أميرا على فلسطين[٢] لإضعاف حسان و التخلص منه، وكان الدزبري على قدر المسئولية فوسع نفوذه حتى شمل الشام جميعا [٣] فأعلن الأمراء الثلاثة حسان بن الجراح و صالح بن مرادس و سنان بن عليان الحرب عليه، حينها لم يستطع الدزبري مواجهة التحالف الثلاثي، فهرب إلى عسقلان، فانتهز حسان الفراغ السياسي وسيطر على الرملة وقتل أهلها ونهبها وسبى نساءها وصبيانها سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م [٤]، ثم توجه إلى عسقلان وفعل بها مثل الرملة من القتل والنهب في نفس العام بعد أن هرب الدزبري إلى مصر[٥].

أمام تلك التطورات لم تقف الدولة الفاطمية في مصر مكتوفة الأيدي تجاه ما يجري فقام الظاهر سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م بتجهيز جيشٍ قوامه سبعة آلاف مقاتل للقضاء على حسان وتحالفه واستعادة السيطرة الفاطمية على الشام[٦] بقيادة أنوشتكين الدزبري، الذي ودعه الظاهر بنفسه[٧]، و منحه لقب أمير الأمراء[٨]

---

(١) عينه الظاهر الفاطمي نائبا عنه في دمشق وأصبح نائبا على الشام في عهد المستنصر بن الظاهر، تميز بالشهامة والحنكة العسكرية توفي سنة ٤٣٣هـ، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٤٨٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٣٤

(٢) الدزبري لقب بكثير من الألقاب ت ٤٣٤هـ ؛ ابن القلانسي، تاريخ، ج ١، ص ٥٥؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٦١، ص ٤٦١؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٧٠

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٧٠

(٤) ابن العديم، زبدة الحلب، ج ١، ص ١٢٧

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٦٩

(٦) النويري، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٣٠

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٦٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٣٠؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ١٧٨

(٨) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ١٦٠

التقى جيش التحالف بالقوات الفاطمية بقيادة أنوشتكين في الأقحوانة[١]، في أواخر ربيع الثاني ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩ م، هُزِم فيها ابن الجراح وتحالفه هزيمة ساحقة قتل على إثرها صالح وولده الأصغر وأرسلت رأسيهما إلى مصر[٢]، أما حسان بن الجراح فهرب إلى شمال الشام، ودخل في خدمة الروم[٣].

وبهذا الانتصار الساحق استعاد الدزبري كل المدن التي فقدتها الدولة الفاطمية[٤] وتعتبر معركة الأقحوانة من المعارك الفاطمية الهامة في بلاد الشام حيث تم القضاء على التحالف، وتثبيت النفوذ الفاطمي في الشام، والدليل على ذلك فترة الهدوء التي تمتعت بها المنطقة حتى ظهور عنصر جديد على الساحة المتمثل في الأتراك السلاجقة.

سابعا: بيت المقدس من العهد السلجوقي حتى سقوطها بيد الصليبيين (٤٦٣ هـ –٤٩٢هـ/١٠٧١–١٠٩٩م):

يرجع نسب السلاجقة إلى طغرل بك التركي، الذي استولى على بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م[٥]، ولقب بالسلطان ركن الدين أبي طالب طغرل بك بن ميكائيل بن سلجوق[٦].

استنجد الخليفة العباسي القائم بأمر الله بالسلاجقة الأتراك لتخليصه من ثورة أبو الحارث أرسلان التركي المعروف بالبساسيري[٧]، الذي سيطر على مقاليد الحكم في بغداد، ودعي له على كثير من المنابر العراقية والأهواز ونواحيها وخطب فيها باسم الخليفة

---

(١) الأقحوانة ضيعة على شاطىء بحيرة طبرية ، الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٣٤

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٦٩؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج ٥، ص ٢٢٤١؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج ١، ص ١٣١ ؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج ١، ص ٤٨٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٣٠؛ ا؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ١٧٨

(٣) أبو الفداء، المختصر، ج ١، ص ٢٦٢؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٢٥٩

(٤) النويري، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٣١

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ٦٦

(٦) المقريزي، السلوك، ج١، ص١٤٠

(٧) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٣٠، ص٢٠؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج ٥، ص ٢٤٨

الفاطمي[١] فتمكن القائد السلجوقي طغرل بك من القضاء على ثورة البساسيري بعد عدة مواجهات، وبعد هذا الحدث بدأت قوة السلاجقة تظهر على حساب أملاك الدولة العباسية[٢]

توجهت أنظار السلاجقة إلى بلاد الشام، وكانت فيها قوتين منافستين لهم، القوات الفاطميون والقائد أتسز بن أوق الخوارزمي الذي اتسعت أملاكه على حساب الفاطميين فاستولى على مدينة الرملة ثم توجه لبيت المقدس وفيها عساكر الفاطميين، فاحتلها بطريقة سلمية إذ عمل على تأمين سكانها والمحافظة على ممتلكاتهم وأرزاقهم و منع التعدي عليها من قبل قواته العسكرية ، ثم سيطر على معظم أرض فلسطين، وذلك سنة ٤٦٣هـ – ١٠٧١ م ولكي يؤمن ظهره خطب للخليفة العباسي و السلطان السلجوقي ألب أرسلان [٣].

أرسلت الدولة الفاطمية جيشا إلى فلسطين بقيادة بدر الجمالي الذي استعاد الرملة وبيت المقدس سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٣إلى ممتلكات الفاطميين، و لكنه اضطر للعودة إلى مصر في العام التالي سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٤م، بعد أن استدعاه المستنصر الفاطمي بالعودة لسوء الأحوال الداخلية في مصر[٤]، استغل أتسز الخوارزمي خروج بدر من الشام واستولى على بيت المقدس و الرملة عام ٤٦٦ هـ/١٠٧٤م، ثم حاصر دمشق عدة مرات وتم له الاستيلاء عليها بأمان في ذي القعدة ٤٦٨هـ/١٠٧٥م، وأعلن الدعوة للعباسيين[٥].

تابع اتسز نشاطاته لتعزيز سيطرته على فلسطين، ومن المتعارف عليه أنه لابد لمن يسيطر على فلسطين أن يضم مصر إليها أو العكس، فدخل في صراع عسكري مع الدولة

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٩، ص ٣٩٩–٤٠٠ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٥، ص ٣٤٨؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج ١، ص ٤١٧

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد،ج٩، ص٤٠٠؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج ٣،ص ١٣٥١ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٦٦

(٣) ابن القلانسي، تاريخ، ج ١، ص ٦٤؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص ٣٩٠؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج١، ص ٨٤ ،٩٢ ، ١٠٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص ١٨٢؛ الذهبي، العبر، ج ٣،ص ٢٥٤؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ٣، ص ٨٧؛ ابن خلدون، تاريخ ،ج ٣، ص ٥٨٥

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص ٢٩٥؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج ١، ص ج١، ص٩٣، ٩٦؛ ابن الوردي، تاريخ، ج ١، ص ٣٦٥

(٥) ابن القلانسي، تاريخ، ج١، ص٦٦، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٧، ص٣٤٨؛ الذهبي، العبر ، ج ٣، ص ٢٦٨؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٣١٠

الفاطمية، حيث قام بغزو مصر سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٦م، لتأمين جبهته من الجهة الجنوبية، خاصة وأن بعض القادة العسكريين في الجيش الفاطمي أغروه بذلك ويسروا له أمر الحملة، لكن حملته تلك فشلت، وانسحب تتبعه القوات الفاطمية حتى الرملة بفلسطين وغنموا منه غنائم كثيرة [١].

ولما عاد اتسز إلى فلسطين، وجد أهلها و خاصة في القدس والرملة، قد تمردوا على سلطانه[٢] لأنهم لم يكونوا راضين عن حكمه، بسبب تعسفه وإزهاقه للأرواح، إضافة لسوء الأوضاع الاقتصادية في عهده، مما دفع أهل القدس لانتهاز فرصة هزيمته أمام الفاطميين فثاروا عليه[٣].

كانت تلك الثورة المقدسية ضد اتسز وأتباعه قاسية وشديدة ألحقت الأذى بأفراد أسرته وأتباعه كما نهبت أموالهم وممتلكاتهم[٤]، وعبثا حاول أتسز مفاوضتهم فلم يستجيبوا له، مما دفعه لحشد أتباعه وقواته ليعود مهاجمتها، فلم يستطع ففرض عليها الحصار، إلى أن دخلها بقواته العسكرية عنوة، وعامل سكانها معاملة قاسية، فقتل ثلاثة آلاف من أهلها ممن اعتبرهم مدبري الثورة والفتنة ضده، حتى أنه لم ينج من احتمى بالمسجد الأقصى[٥] .

اتخذت الخلافة الفاطمية زمام المبادرة لاستعادة نفوذها في فلسطين والشام، فأرسل بدر الدين الجمالي أمير الجيوش الفاطمية عسكرا من مصر لمحاربة اتسز، وتولى قيادته ناصر الدين الجيوشي[٦]، للهجوم على فلسطين سنة ٤٧١هـ/١٠٧٨م، فاحتلت قواته القدس ثم تقدمت نحو دمشق وحاصرتها، فاضطر اتسز الخوارزمي للاتصال بتاج الدولة تتش بن ألب

---

(١) ابن القلانسي، تاريخ، ج١، ص٦٦؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٧، ص٣٤٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٤١٢؛ أبو الفداء، المختصر، ج ١، ص ٢٨٠

(٢) ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٨٣؛ خليل عثامنة، فلسطين، ص٢٥٨

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٣١، ص ٣٥؛ الذهبي، سير أعلام، ج١٨، ص ٣١٩؛ عبلة المهتدي، القدس تاريخ، ص١١١

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤١٢؛ مصطفى الحياري، القدس، ص ٣٣

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٤١٢؛ ابن شداد، الأعلاق ، ج ١، ص ٩٦؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٣١، ص ٣٤؛ ابن خلدون، تاريخ، ج ٤، ص ٨٣

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ١٢٨

أرسلان والاستنجاد به لإنقاذه من الحصار[١]، فكانت تلبية تتش بن ألب أرسلان سريعة فدخل دمشق، وبذلك أُبْعد الخطر الفاطمي عن المدينة بفضله وانسحبوا أمامه كالمنهزمين[٢]، وسرعان ما قبض على اتسز وقتله مع بعض أفراد أسرته سنة ٤٧٢هـ/١٠٧٩م[٣].

امتدت حدود تتش بن ألب أرسلان لتشمل فلسطين ووسط بلاد الشام[٤]، وأقطع مدينة القدس لأحد قادته أرتق بن أكسب[٥]، وهكذا أصبحت فلسطين و جنوب بلاد الشام منطقتي نفوذ: الأولى سلجوقية وتشمل الجليل وطبريا ونابلس والقدس، والأخرى فاطمية وتشمل المناطق الساحلية.

بقي أرتق بن أكسب مسيطرا على القدس حتى وفاته٤٨٤هـ/١٠٩١م[٦]، فتولى الأمر من بعده ولديه سكمان وسيف الدين إيلغازي[٧]، وحكما معا بيت المقدس وفلسطين[٨]، ولما قتل تتش بن ألب أرسلان ٤٨٩هـ/١٠٩٥م، اقتسم ولداه مملكته، فنال ابنه رضوان مدينة حلب، بينما حصل دقاق على مدينة دمشق[٩].

---

(١) ابن القلانسي، تاريخ، ج ١، ص ٦٧؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ١١، ص ٣٥؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج ١، ص ٩٧

(٢) ابن الوردي، تاريخ، ج١، ص ٣٦٧

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٩٥؛ أبو الفداء، المختصر، ج ١، ص ٢٨١؛ الذهبي، سير أعلام، ج١٨، ص٣١٩ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢، ص ١٤٩؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٣، ص ٥٨٦

(٤) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج ١، ص ٩٧

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٤٤٣؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج ١، ص ٢٢٠؛ ابن خلدون، تاريخ، ج ٣، ص ٥٨٩

(٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ١٩١؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة ، ج ١، ص ٩٧؛ ابن الوردي، تاريخ، ج ٢، ص ٥

(٧) أبو الفداء، المختصر، ج ١، ص ٢٩٣

(٨) ابن القلانسي، تاريخ، ج ١، ص ٨١؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ١٧٩؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج ٣، ص ٢٢

(٩) ابن القلانسي، تاريخ، ج ١، ص ٧٨؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ١٧، ص ٣٠٤و ج١٨، ص ١٥٣؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج ١، ص ٢٣٠-٢٣١؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٩٦

فأصبحت فلسطين حسب ذلك التقسيم من نصيب دقاق وأبناء تتش ولاة عليها[١]، ولكن الخلاف نشب بين الأخوة رضوان و دقاق، حينما سيطر رضوان سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٥م، على تل باشر[٢] وأنطاكية[٣] وأخيرا توجه إلى بيت المقدس فتبعه دقاق وطغتكين[٤] وياغي سيان صاحب أنطاكية وحاصروه داخلها، فانهار جيش رضوان وساد التذمر داخل أفراده وانفصل عنه جناح الدولة[٥] فهرب إلى حلب وتبعه رضوان وياغي سيان، ورجعت القدس للأراتقة مرة أخرى[٦].

فاستغل الأفضل بن بدر الجمالي أمير الجيوش الفاطمية ذلك النزاع، واضمر التوجه إلى بيت المقدس لتخليصها من الأراتقة[٧] ، فسار إليها على رأس جيش جرار وكان بها سقمان وإيلغازي و جماعة من أقاربهما، فطلب منهما التسليم فرفضا، فحاصر المدينة ونصب عليها المجانيق[٨]، وحاصرهم أربعين يوما فتوجه أهل القدس بعد طول الحصار إلى الأفضل بن بدر الجمالي واتفقوا بتسليم المدينة إليه على أن يمنح أهلها الأمان فتم لهم ما أرادوا وفتحوا له الأبواب سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م[٩]، وذلك في زمن الخليفة الفاطمي المستعلي وأحسن الأفضل

---

(١) عبلة المهتدي، القدس تاريخ، ص١١١

(٢) تل باشر قلعة حصينة وكورة واسعة في شمالي حلب بينها وبين حلب يومان وأهلها نصارى أرمن، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٠

(٣) أنطاكية على ساحل البحر المتوسط بينها وبين الاسكندرونة ثمانية فراسخ، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨٢

(٤) طغتكين أبو منصور المعروف بأتابك تزوج ابنه دقاق وكان في خدمة دقاق مدة ولايته، مات سنة ٥٢٢هـ، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٥، ص٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ج٣٦ ص٧٤.

(٥) جناح الدولة حسين، عينه تاج الدولة تتش بتدبير أمر رضوان وهو صبي، وعندما تولى رضوان الحكم بعد موت أبيه أصبح أهم عماله ومدبر ودولته، ابن العديم ، بغية الطلب، ج ٦، ص ٢٨٠٦

(٦) ابن الأثير، الكامل،ج٩،ص١١؛ ابن العديم، زبدة،ج ١،ص٢٣٣؛ أبو الفداء، المختصر، ج ١، ص ٢٩٢

(٧) ابن القلانسي، تاريخ، ج ١، ص ٧٨؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج ١، ص ٢٣٣

(٨) ابن القلانسي، تاريخ، ج ١، ص ٨١؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج ٣، ص ٢٢.

(٩) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج ٣، ص ٢٢؛ محمد شراب، القدس، ص١٩٩

معاملة سقمان وأخيه إيلغازي وسمح لهما بالخروج من المدينة دون أن يتعرض لهم بسوء[١]، واستنابوا الفاطميون في القدس رجلا يعرف بافتخار الدولة[٢].

بقيت القدس مع الفاطميين لمدة قصيرة، حتى جاءت الحملة الصليبية، و حاصرت بيت المقدس ما يقارب الأربعين يوما ونصبوا عليها الأبراج لكي يدخلوا المدينة، انتهي الحصار باقتحام المدينة وقيامهم بعمل المجازر ضد أهل القدس لمدة أسبوع كامل حتى أنه لم يسلم من أختبئ بالمسجد الأقصى المبارك، بالإضافة لنهبهم كنوز المدينة من الذهب والفضة سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م، وعلى إثر ذلك استغاث أعيان وعلماء وفقهاء المدينة بالخلافة العباسية ، فلم تحرك الخلافة ساكنا لكثرة الخلافات في داخل الدولة العباسية[٣] وأكثر الشعراء تعبيرا على سقوط القدس وعدم استجابة المسلمين لرد العدوان قصيدة أبو المظفر الأبيوردي الذي قال في مطلعها[٤]:

مزجنا دمانا بالدموع السواجم[٥] فلم يبق منا عرضة للمراجم[٦]

(١) ابن خلدون، تاريخ، ج ٤، ص ٨٦ ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج ٣، ص ٢٢

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٦٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣٤، ص ١٦؛ ابن خلدون، تاريخ، ج ٥، ص ٢٥، ٢١٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ١٤٨

(٣) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة ، ج ١، ص ٩٧؛ ابن خلدون، تاريخ، ج ٤، ص ٨٦

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢، ص ١٥٦

(٥) سجمت العين الدمع والسحابة الماء تسجمه سجوما وهو قطران الدمع وسيلانه و الإبل التي تكثر ألبانها تسمى سجوم، ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٢٨٠

(٦) رجم الخيل للأرض بحوافرها، والشاعر يقصد اخلاء القدس من سكانها، المصدر نفسه، ج١٢، ص٢٢٧

الفصل الثاني:

الأوضاع الإدارية والاقتصادية في بيت المقدس

من بداية الحكم العباسي حتى

الغزو الصليبي(١٣٢-٤٩٢هـ/٧٥٠-١٠٩٩م)

المبحث الأول: الأوضاع الإدارية

المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية لبيت المقدس

أولا: الزارعة

ثانيا: الصناعة

ثالثا: التجارة

المبحث الأول: الأوضاع الإدارية:

للناحية الإدارية أهمية كبيرة تستحق البحث، للتعرف على المساحة التي شغلتها مدينة بيت المقدس من جند فلسطين والامتداد الطبيعي لقراها وبلداتها وموقعها بالنسبة للمدن المجاورة الذي أتاح تواصل سكانها مع المدن المجاورة.

أولا: مساحة المدينة وحدودها:

بيت المقدس أكبر مدن فلسطين مساحة[١] بل تفوقت على كثير من المدن الإسلامية، حيث قال المقدسي المعاصر لفترة الدراسة المتوفى سنة ٣٩٠هـ/١٠٠٠م : "ليس في مدائن الكور أكبر منها، و هناك مدن كثيرة أصغر منها كإصطخر[٢]وقاين[٣] والفرما[٤]"[٥].

وذكر مصطفى الدباغ على لسان المقدسي بأن حدود مدينة القدس أربعين ميلا[٦] وقد أكد الحميري المعلومة تلك بقوله: "الأرض المقدسة أربعون ميلاً في مثلها"[٧].

يحد المدينة من الجهة الشرقية، نهر الأردن المُسمى ب(الشريعة)[٨] ، ومن الجنوب مدينة الخليل، يفصل بينهما قرية سعير[٩] وما حاذاها، وهي من عمل القدس، ومن الشمال

---

(١) ابن ناصر القيسي، توضيح المشتبه، ج ٨، ص ٢٤٣

(٢) مدينة إصطخر مدينة جليلة كبيرة جميلة كثيرة الأسواق والمتاجر وبناؤها بالطين والحجارة والجص وهي أقدم مدن فارس وأكبر كورها مساحة ، ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ج ١، ص ٥٠-٥١، الإصطخري، المسالك والممالك، ج١، ص٣٩، المقدسي، أحسن التقاسيم، ج١، ص٢٨٣، الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٤٠٦

(٣) قاين احدى مدن بلاد فارس تقع بين نيسابور وأصبهان ونسب إليها خلقا كثيرا من أهل العلم والفقه الإدريسي، الإصطخري، المسالك والممالك، ج ١، ص ١٢٤، الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ١، ص ٤٢٨ ؛الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٠١

(٤) مدينة ساحلية على البحر المتوسط قديمة وهي أول المدن المصرية من جهة فلسطين، اليعقوبي، البلدان، ج ١، ص ٤٢؛ الإصطخري، المسالك والممالك، ج ١، ص ٢١؛ الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٥٥

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٥٣

(٦) بلادنا فلسطين، ج٨، ق٢، ص٨

(٧) الحميري، الروض المعطار، ج ١، ص ٤٦٨

(٨) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج ٤، ص ١٠٦؛ العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٨

(٩) قرية بين القدس والخليل، مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج ١٨، ص ٥٤

عمل مدينة نابلس يفصل بينهما قرية سنجل[١] وعزون[٢]، وهم من أعمال القدس، ومن الغرب قرية بيت نوبة، وهي من أعمال القدس، ومما يلي: مدينة غزة قرية عجور[٣]، وهي من أعمال غزة[٤].

يكتسب الموقع الجغرافي للمدينة المقدسة أهمية مركزية بالنسبة لفلسطين فهي تجمع بين ميزة الانغلاق وما يمنحه من حماية لها، وميزة الانفتاح وما تمنحه من إمكانية الاتصال بالمناطق والمدن الفلسطينية والبلاد المجاورة[٥].

ومما سبق فالمدينة تمثل العمود الفقري لأرض فلسطين[٦]، كما (وصفها ابن الأثير) بمثابة القلب من الجسد، وأم المدن الفلسطينية وقراها، بقوله عندما ذكر أرض فلسطين: "الكورة المعروفة فيما بين الاردن وديار مصر وأم بلادها بيت المقدس"[٧] تتوسط البحرين الميت والمتوسط، لتنعم بريح البحر وروح الجبل، تحتضنها الجبال الخضراء المشجرة، و تحميها من كل جانب [٨].

---

(١) قرية شمال مدينة رام الله، تقع على بعد ٣٨ كم على طريق القدس – نابلس، ينظر الدباغ، بلادنا فلسطين، ج٨، ق٢، ص ٢٧٩

(٢) تقع عزون شرق قلقيلية، وتبعد عن مدينة طولكرم ٢٤كم، ترتفع عن سطح البحر ٢٧٥م، للمزيد المرجع نفسه ج٣ ، ق٢، ص ٣٩٠ –٣٩١

(٣) تقع في الجهة الشمالية الغربية لمدينة الخليل، ترتفع ٢٧٥م عن سطح البحر، وهي بمنتصف الطريق بين قريتي دير الدبان و زكريا، المرجع نفسه، ج٥، ص ٢٦٩

(٤) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٨٣

(٥)عرفه علي، القدس العتيقة، ص١٧

(٦) المرجع نفسه، ص١٥

(٧) النهاية في غريب الأثر، ج ٣ ، ص ٤٧١

(٨) مؤسسة القدس، القدس المدينة والحكاية، ٢٠٠٥م، ص٨

ثالثا: التقسيم الإداري لبيت المقدس :

تبنَّى العرب المنهجية الإدارية التي كانت مطبقة في بلاد الشام البيزنطية قبل الفتح الإسلامي حيث قسمت بلاد الشام أربع مقاطعات، ومما يؤكد ذلك التقسيم حينما أراد ابو بكر الصديق – ﷺ– أن يفتح الشام، أرسل لكل جند[١] من الشام جيشا[٢]، فأبو عبيدة بن الجراح (حمص)، ويزيد بن أبي سفيان (دمشق)، وشرحبيل بن حسنة (الأردن)، وعمرو بن العاص وعلقمه بن مجزز (فلسطين)[٣] وهذا دليل على أن الشام كانت مقسمة إلى تلك الأقسام الأربعة فقط لا غير[٤].

وعن حدود جند فلسطين الجغرافية والإدارية، فإنها قسمت إلى ثلاثة أقسام إدارية فلسطين الأولى، والثانية، والثالثة، والذي يعنينا فلسطين الأولى أول أجناد الشام[٥] مما يلي مصر[٦] الممتدة حدودها الغربية على طول ساحل بحر الروم(البحر المتوسط)، من رفح جنوبا حتى اللجون شمالا[٧] و حدودها الشرقية من مدينة بيسان شمالا مرورا بالغور والبحر الميت ووادي عربة حتى مدينة أيله[٨] على البحر القلزم(الأحمر) والحدود المصرية جنوبا [٩]، وأهم

---

(١) تميزت بلاد الشام عن غيرها من الأقاليم بنظام الأجناد، وأطلق لفظ جند لأنه جمع كورا عدة وجمعها في وحدة واحدة، و سمي بذلك لأن الجنود كانوا يقبضون رواتبهم وأعطياتهم فيه، الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١٠٣؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ١٣٢

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٤٦، ص ٤٨٦

(٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٣٣٥؛ ج ٢، ص ٤٩١ ؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج ١، ص ٢٧٤

(٤) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج ١، ص ٢٧٤

(٥) الاصطخري، المسالك والممالك، ج ١، ص ٢٣؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، ج ١، ص ٦٦؛ الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١٠٣

(٦) اليعقوبي، البلدان، ج ١، ص ٣٩؛ العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٦٧

(٧) الاصطخري، المسالك والممالك، ج ١، ص ٢٣؛ ابن حوقل، صورة، ج١، ص١٧٠؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ١، ص ٣٥٤؛ الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٧٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى،ج ٤،ص ٩٢

(٨) اليعقوبي، البلدان، ج ١، ص ٣٩؛ الاصطخري، المسالك والممالك، ج ١، ص ٢٣–٢٤؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٧١؛ السمعاني، الأنساب، ج ١، ص ٤٣٠؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ١، ص ٣٥٤؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج ١، ص ٨٥

(٩) الاصطخري، المسالك والممالك، ج ١، ص ٥؛ السمعاني، الأنساب، ج ١، ص ٢٣٧؛ الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٣٧

المدن التي شملها جند فلسطين الأولى، بيت المقدس، والرملة، وعمواس، ونابلس، وغزة، وقيسارية، ويافا، وبيت جبرين، وعسقلان، ولد[١].

أما ما يتعلق بموظفي الجهاز الإداري لفلسطين فقد تولى أمر فلسطين خلال القرن ونيف من قيام الدولة العباسية خمسة عشر أميرا من خاصة البيت العباسي[٢]، وهذا دليل على المكانة الخاصة التي احتلتها فلسطين في السياسة العباسية الداخلية.

ولكن في الفترة الفاطمية، أُزيلت ظاهرة الجند، وحلت مكانها التجزئة، فَقُسمت فلسطين إلى وحدات إدارية منفصلة عن بعضها، وأصبح تعيين الولاة من قبل القاهرة مباشرة، فأصبح لبيت المقدس والٍ، وللرملة آخر، وثالثا على طبرية[٣] ولعل تلك التجزئة تهدف إلى إحكام السيطرة على أرض فلسطين.

ونظرا لأهمية مدينة بيت المقدس الدينية والإدارية، طلب حسان بن المفرج زعيم آل جراح من الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي، أن يوسع له في إقطاعه ليشمل القدس ونابلس، مقابل الولاء والطاعة له، فوافق على ضم نابلس لإقطاعه في حين رفض إعطاءه مدينة بيت المقدس[٤] وهذا دليل على تمسك الخلافة الفاطمية بمدينة بيت المقدس وعدم تخليهم عنها.

وقد استمر نظام التجزئة في عهد السلاجقة، فقد استولى أتسز بن أوق الخوارزمي على بيت المقدس سنة ٤٦٣ هـ – ١٠٧١ م وعين فيها نائبا عنه[٥]، وبعد اتخاذ الخلافة الفاطمية زمام المبادرة لاستعادة نفوذها في فلسطين سنة ٤٧١هـ/١٠٧٨م، احتلت قواتها بيت المقدس فطلب النجدة من تتش بن الب أرسلان(٦) الذي لبى الدعوة، وأبعد الخطر الفاطمي

---

(١) اليعقوبي، البلدان، ج ١، ص ٣٩؛ ابن خرذاذبة، المسالك والممالك، ج ١، ص ٧٥–٧٦

(٢) انظر خليل عثامنة، فلسطين، حيث أورد جدولا لأهم ولاة فلسطين في العهد العباسي، ص ٢٠١–٢٠٢

(٣) المقريزي، المقفى الكبير، ج ٢، ص ٣٠٣ ، ٤٢٢

(٤) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ١٥٧

(٥) ابن القلانسي، تاريخ، ج ١، ص ٦٤؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج ١،ص ٨٤ ،٩٢ ، ١٠٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص ١٨٢؛ الذهبي، العبر، ج ٣،ص ٢٥٤؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ٣، ص ٨٧؛ ابن خلدون، تاريخ، ج ٣، ص ٥٨٥

(٦) تاج الدولة أبو سعيد تتش بن ألب أرسلان بن داود السلجوقي سيطر على بلاد الشام، توفي سنة ٤٨٨هـ، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٩٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ١٥٥

عنها(١)، بعد أن تخلص من أتسز وسيطر على المدينة المباركة (٢)، التي أقطعها لأحد قادته يدعى أرتق بن أكسب(٣)، وبعد وفاة الأخير سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م(٤)، تولى الأمر من بعده ولديه سكمان وسيف الدين إيلغازي(٥)، فحكما معا بيت المقدس(٦).

ثم جاءت القوات الفاطمية بقيادة الأفضل بن بدر الجمالي سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م(٧)، لاستعادة بيت المقدس وضمها إلى ممتلكاتهم، فحاصرها الأفضل بقواته حتى سلم المقدسيين المدينة بعد إعطائهم الأمان(٨)، فعينت الخلافة الفاطمية نائبا عنها في المدينة يعرف بافتخار الدولة(٩)، ولكن لم يهنأ الفاطميين بالمدينة كثيرا حتى جاءت الحملة الصليبية الأولى سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م، محاصرة لأهلها ما يقارب الأربعين يوما، انتهى الأمر باقتحامها وإبادة أهلها وإباحتها أمام جنودهم فقتلوا سبعين ألفا من سكانها(١٠).

ومهما يكن من أمر، فقد أدى استيلاء الصليبيين على بيت المقدس إلى تغير البنى الإدارية في المدينة، حيث قامت القوات الصليبية بتفتيت المدينة وتقسيمها إلى مستوطنات، وكانت أولى تلك المستوطنات البيرة شمال مدينة القدس(١١).

---

(١) ابن القلانسي، تاريخ، ج ١، ص ٦٧؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ١١، ص ٣٥؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج ١، ص ٩٧

(٢) ابن الوردي، تاريخ، ج١، ص ٣٦٧

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٤٤٣؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج ١، ص ٢٢٠؛ ابن خلدون، تاريخ، ج ٣، ص ٥٨٩

(٤)ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ١٩١؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج ١، ص ٩٧ ؛ ابن الوردي، تاريخ، ج ٢، ص ٥

(٥) أبو الفداء، المختصر، ج ١، ص ٢٩٣

(٦) ابن القلانسي، تاريخ، ج ١، ص ٨١؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ١٧٩؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج ٣، ص ٢٢

(٧) ابن القلانسي، تاريخ، ج ١، ص ٨١؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج ٣، ص ٢٢.

(٨) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج ٣، ص ٢٢؛ محمد شراب، القدس، ص١٩٩

(٩) النويري، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٦٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣٤، ص ١٦؛ ابن خلدون، تاريخ، ج ٥، ص ٢٥، ٢١٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ١٤٨

(١٠) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج ١، ص ٩٧؛ ابن خلدون، تاريخ، ج ٤، ص ٨٦

(١١) سعيد البيشاوي، الاستيطان الفرنجي، ص ٦، ٨

رابعا: أهم قرى وبلدات مدينة بيت المقدس:

إن من الضرورة بمكان ذكر القرى والبلدات التابعة لبيت المقدس؛ لكونها جزأً لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي لمدينة بيت المقدس، فضلا عن ذلك فقد عاش أو نُسب إلى قرى المدينة عدد كبير من أبنائها، كما هاجر إليها عدد كبير من المتصوفين الذين وجدوا في جبالها مقصدهم من الخلوة والعبادة، ولذلك قام الباحث بجمع ما توفر لديه من معلومات حول أهم تلك القرى والبلدات التابعة للمدينة المباركة وهي كالآتي.

تعتبر سلوان أهم قرى مدينة بيت المقدس(١)، وقد تميزت بكثرة بساتينها(٢)، حتى قيل عنها جنانا(٣)، شيد فيها الكثير من العمارات(٤)، وقد أوقفها عثمان بن عفان- ﷺ-على فقراء بيت المقدس(٥)، فيها عين اشتهرت بكثرة مياها(٦)، فيزورها الكثير من الناس ويستحموا بها لأنها تشفي أصحاب الأوصاب(٧) والأمراض المزمنة(٨) وذوي الأحزان(٩)، وقد أوقفت عليها أموالا طائلة(١٠).

---

(١) خسرو، سفرنامه، ج ١، ص ٥٧

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٧

(٣) الحموي، معجم البلدان، ج ٣،ص ٢٤١؛ج ٤، ص ١٧٨ ؛ القزويني، آثار البلاد، ج ١، ص ٦٤

(٤) خسرو، سفرنامه، ج ١، ص ٥٧

(٥)الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٤١؛ القزويني، آثار البلاد، ج ١، ص ٦٤

(٦) الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٤١؛ ج ٤، ص ١٧٨ ؛القزويني، آثار البلاد، ج ١، ص ٦٤

(٧) الموصب: كثير الأوجاع، ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٧٩٧؛ مصطفى وأخرون، المعجم الوسيط، ج٢، ص١٠٣٦

(٨) خسرو، سفرنامه، ج ١، ص ٥٧

(٩) القزويني، آثار البلاد، ج ١، ص ٦٤

(١٠) خسرو، سفرنامه، ج ١، ص ٥٧

والبيرة، قرية من عمل بيت المقدس(١) و من قرى المدينة طور زيتا(٢) يقع شرق وادي سلوان(وادي جهنم)(٣) ويطل على المسجد الأقصى وقد مات فيه الآلاف من الأنبياء(٤)، ومنه رفع عيسى عليه السلام(٥).

كذلك الرميلة احدى قرى بيت المقدس التي نسب إليها أبو القاسم مكي بن عبد السلام المقدسي الرميلي المحدث والذي قتله الصليبيين يوم دخولهم بيت المقدس سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م(٦)، والعازرية قرية ببيت المقدس بها قبر العازر الذي أحياه عيسى عليه السلام(٧) تقع شرق جبل الزيتون(٨) ومن قراها عين كارم التي اشتملت على أراضٍ واسعة مبانيها الكثيرة التي أوت الفلاحين (٩)،ومن قراها قرتيا بفتح القاف والراء والياء المشددة(١٠).

ومار سمويل ويقال صمويل والمار بالسريانية تعني (القس) وصمويل اسم رجل من الأحبار وهي بليدة من نواحي بيت المقدس(١١)، و يبرود أيضا من قرى بيت المقدس(١٢)، وإليها ينسب الحسين بن عثمان اليبرودي المحدث المتوفي سنة ١٠٤هـ/٧٢٢م(١٣) والتي تقع

---

(١) ابن ناصر القيسي، توضيح المشتبه، ج ١، ص ٦٨٠

(٢) الماوردي، النكت والعيون، ج ٦، ص ٣٠٠؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٧، ص ١٢١؛ ابن الجوزي، فضائل القدس، ج ١، ص ١؛ النويري، نهاية الأرب، ج ١، ص ٣٠٣

(٣) العيني، عمدة القاري، ج ٦، ص ٢٧؛ ج ١٩، ص ١٩٣

(٤) الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٨

(٥) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٤٧، ص ٤٨١؛ النويري، نهاية الأرب، ج ١٨، ص ٨٧؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج ١، ص ٤٦؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٨ ص ٥٥٥

(٦) الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٧٣

(٧) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ١، ص ٣٦١؛ معجم البلدان، ج ٤، ص ٦٧

(٨) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ١، ص ٣٦١

(٩) ابن عثمان، القدس والخليل، ص٣٦

(١٠) الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٢٠

(١١) المصدر نفسه، ج ٥، ص٣٩– ٤٠

(١٢) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٤٢٧

(١٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ١٤، ص ١٠٠؛ الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٢٧؛ ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ٢، ص ٤٣٠

في شمال المدينة (١)، ومن قراها ترياق والتي اشتهر أهلها بعمل الترياق ونسبوا إليه(٢) وأهم أبنائها سلامة بن ناهض المقدسي الترياقي(٣)

وقرية الشويكة(٤) و بيت خيران(٥)، ومنها الساهرة التي اعتقد الناس أنها ستكون أرض المحشر فيأتي إليها الناس من جميع أنحاء العالم، ويستقروا بها، وهي منطقة منخفضة بها أبنية كثيرة(٦). ومن قراها صدر (٧)، وصوبا(٨) وهي قرية صغيرة مساحتها ١٦ دونم، لعل اسمها من الكلمة الأرامية sobeba بمعنى الحافة(٩)، وقرية عابود(١٠)، وبلدة عاموص بالقرب من بيت لحم(١١).

وياقين من قرى بيت المقدس كان بها مقام النبي لوط عليه السلام، وعن سبب تسميتها بذلك لما خرج النبي لوط –عليه السلام– من أريحا، ورأى العذاب قد نزل بقومه، سجد في موضع القرية وقال: أيقنت أن وعد الله حق فسميت بذلك(١٢)، ومنها قرية العنب(١٣)تسمى أيضا شنا(١٤) تقع في شمال القدس(١٥).

---

(١)الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٢٧

(٢) ابن القيسراني، المؤتلف والمختلف، ج ١، ص ٤٠؛ السمعاني، الأنساب، ج ١، ص ٤٦٢

(٣) ابن القيسراني، المؤتلف والمختلف، ج ١، ص ٤٠؛ ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ٣، ص ٤٢٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢١، ص ١٨٤؛ الزبيدي، تاج العروس، ج ٢٥، ص ١١٤

(٤) الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٧٤؛ الزبيدي، تاج العروس، ج ٢٧، ص ٢٣٨

(٥) الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤١١

(٦) خسرو، سفرنامه، ج ١، ص ٥٦

(٧) الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٩٧

(٨) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٣٢

(٩) مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، ج٨، ق٢، ص١٣٥

(١٠) الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٦٤

(١١) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٧١

(١٢)المصدر نفسه، ج ٥، ص ٤٢٦

(١٣) ابن سمعون، أمالي، ج ١، ص ٢٤٠؛ خسرو، سفرنامه، ج ١، ص ٥٥؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ج ٤، ص ٨٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج ١٤، ص ١٢٩

(١٤) خسرو، سفرنامه، ج ١، ص٥٥؛ المقدسي، البدء، ج٤، ص٨٨؛ النويري، نهاية الأرب ، ج١٤، ص

(١٥) مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، ج٨، ق٢، ص ٤٧

ومنها بيت خيران بفتح الخاء وسكون الياء وفتح الراء(١)، كذلك بلدة العماني (بفتح العين والميم المشددة)(٢)، وقرية عينون(٣)(٤) من قرى بيت المقدس(٥).

و كذلك من قراها صدر(٦) وجيب(٧) وبيت جبرين(٨) وبيت لقيا(٩)

مما سبق يتضح الآتي :-

١- أن مدينة بيت المقدس تقع على بقعة جغرافية واسعة شملت الكثير من القرى والبلدات المجاورة لها وهذا يدل على أهمية المدينة من بين المدن الفلسطينية.

٢- نتيجة لكثرة القرى والبلدات التي تتبع مدينة بيت المقدس تميزت المدينة بكثافة سكانية عالية فاقت غيرها من المدن الفلسطينية حتى أن تلك الكثافة العالية لفتت انتباه الرحالة الفارسي ناصر خسرو الذي زار المدينة في الخامس من رمضان سنة ٤٣٨هـ الموافق ١٦ مارس ١٠٤٧م، حيث قدر سكانها عشرون ألف نسمة(١٠). وبناء على ذلك الرقم الذي لم يشمل النساء و الصبيان، فإنه يمكن تقدير عدد سكان مدينة بيت المقدس حوالي ٨٠٠٠٠ نسمة إذا اعتبرنا أن متوسط الأسرة الفلسطينية أربعة أشخاص.

٣- أن تلك القرى التابعة للمدينة نظرا لتربتها الخصبة وأراضيها الزراعية الكثيرة، شكلت مصدرا اقتصاديا هاما لمدينة بيت المقدس، حيث تميزت تلك القرى بكثرة أراضيها الزراعية.

---

(١) السمعاني، الأنساب، ج ٢، ص ٤٢٩؛ السيوطي، لب اللباب، ج ٢، ص ٣٥٩

(٢) السمعاني، الأنساب، ج ٤، ص ٢٣٦

(٣) عينون بفتح العين وسكون الياء، من المدن المقدسية التي اشتهرت بجودة عنبها، وإليها ينسب عبد الصمد بن محمد ابن أبي عمران أبو محمد العينوني المقرىء، والذي توفي بعينون سنة ٢٩٤هـ/٩٠٧م، السمعاني، الأنساب ج٤ ص٢٧١؛ الذهبي، معرفة القراء الكبار ج١ ص٢٦٣؛ ابن الأثير، اللباب، ج ٢، ص ٣٧٠

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٣٤٤؛ ابن زنجويه، الأموال، ج ٢، ص ٣٥٩؛ البلاذري، فتوح البلدان، ج ١، ص ١٣٥؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٤، ص ٣٤٦

(٥) السمعاني، الأنساب، ج ٤، ص ٢٧١

(٦) ابن الأثير، اللباب، ج ٢، ص ٢٣٦

(٧) ابن ناصر القيسي، توضيح المشتبه، ج ٢، ص ٢١٥

(٨) ابن حبان، الثقات، ج٧، ص٥٢٤

(٩) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج ١، ص ٤٣؛ العليمي، الأنس الجليل، ج ٢ ص ٤٢

(١٠) سفرنامه، ج ١، ص ٥٥

٤- فضلا عن ذلك فإن المدينة المباركة كان لها بالغ الأثر في الحياة العلمية التي تميزت به عن غيرها من المدن الفلسطينية والأقطار الإسلامية فقد نُسب الكثير من علماء المدينة إلى القرى والبلدات المحيطة بها.

المبحث الثاني: النشاط الاقتصادي لبيت المقدس وقراها:

تعددت و تنوعت أشكال النشاط الاقتصادي في مدينة بيت المقدس فترة الدراسة، ويمكن إجمالها بثلاثة أشكال وهي كالآتي:

أولا الزراعة :

فيما يتعلق بالإنتاج الزراعي فقد ذُكِرَ بأن الرزق مكفول لسكان بيت المقدس لقول النبي عليه الصلاة والسلام "ضمنت لمن سكنك ألا تعوزه أيام حياته خبز البر و الزيت فيه ولا تنقضي الأيام والليالي حتى أنزلك في ذروة كرامتي..." (١).

وقد قسم المقدسي بلاد الشام إلى أربعة صفوف، وعدَّ بيت المقدس من مزروعات الصف الثاني فقال عنه "مشجر ذو قرى وعيون و مزارع، يقع فيه من البلدان، بيت جبرين، و إيلياء، ونابلس إلخ..."(٢)

(١) المنهاجي، إتحاف الإخصا، ج١، ص ١٣٢

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٧١

وأكثر الأدلة على أهمية الزراعة في الحياة الاقتصادية لبيت المقدس وكل أرجاء فلسطين، تلكم الأعداد الكبيرة من الفلاحين التي انضمت إلى المبرقع(١) المدعو(أبو حرب)(٢) في ثورته(٣)عام(٢٢٦– ٢٢٧هـ/ ٨٤٢ م) والذين قدرت أعدادهم حسب بعض الروايات بمائة ألف(٤) ومع أن تلك الأعداد المهولة التي كانت عامل قوة لثورة أبو حرب إلا أن ارتباطهم بأرضهم و فلاحتها والعمل على حراثها، حولهم لعامل ضعف في ثورته، فحينما جاء وقت عمارة الأرض وحراثتها تركه أصحاب الأراضي وذهبوا إلى مزارعهم ولم يبقَ معه إلا ألف أو ألفين فكان من اليسير على رجاء بن أيوب الحضاري هزيمته والقضاء على ثورته(٥)

وعند الحديث عن مزروعات مدينة بيت المقدس فهي كثيرة الخيرات جمع الله – سبحانه وتعالى– فيها فواكه الأغوار والسهل والجبال والاشياء المتضادة كالأترج(٦) ،

---

(١) هو أبو حرب المبرقع اليماني، أمر الناس بالمعروف ونهاهم عن المنكر، وأخذ يحرض الناس على الخلافة العباسية فاستجاب له الكثير من الفلاحين الفلسطينيين، ابن الجوزي، المنتظم ج ١١ ص ١١٨

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ١٨، ص ٩٤؛ ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ٨، ص ٣٦٢١؛ الذهبي، سير أعلام، ج ١٠، ص ٣٠٢؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج ٨، ص ٣٦٢١

(٣) قيل أن سبب خروج المبرقع على الدولة العباسية أن بعض الجند أراد النزول في داره وهو غائب عنها، فمانعته زوجته عن دخول البيت فضربها بسوط معه فصدته بذراعها فأصاب ذراعها فأثر فيها فلما رجع أبو حرب إلى منزله شكت إليه ما فعل بها وأرته الأثر الذي بذراعها من ضربه السوط فأخذ أبو حرب سيفه ومشى إلى الجندي وهو غير منتبه فضربه حتى قتله ثم هرب ولبس على وجهه برقعا كيلا يعرف فسمي بالمبرقع ، انتهت تورثه سنة ٢٢٧هـ. زمن الخليفة المعتصم العباسي، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٦٦، ص١٣٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص١١٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٦٩؛ النويري، نهاية، ج٢٢، ص١٨٧

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١١، ص ١١٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٣٠٢

(٥) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٦٦، ص ١٣٦–١٣٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١١، ص ١١٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص ٧٠ ؛ ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ٨، ص ٣٦٢١؛ الذهبي، سير أعلام، ج ١٠، ص ٣٠٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٢٩٥

(٦) هو ثمر يشبه الليمون في حموضته، وكذلك بذوره حامضة الطعم، وإذا ما أكل مباشرة يجفف الحلق، وقشره يمنع السوس، مقوي للقلب، ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج ١، ص ١٤

والنارنج(١)، واللوز، والرطب والجوز(٢)، والموز وهو على مقدار الخيار عليه طبقة رقيقة يقشر عنه ثم يؤكل له عفوصة(٣) وحلاوة (٤).

وفيما يتعلق بأشجار الأترج والنارنج، يقول المسعودي المتوفي حوالي سنة ٣٣٢هـ/٩٤٤م: "شجر النارنج والأترج المدور جلب من أرض الهند بعد الثلاثمائة، فزرع بعُمان ثم نقل إلى البصرة والشام حتى كثر في دور الناس بفلسطين"(٥)، وفي عصر المقدسي أكد انتشار زراعة الأترج والنارنج بفلسطين، وهو يقول إنهما بفلسطين أحسن منهما في غيرهما (٦).

أكد الله –سبحانه وتعالي– في كتابه العزيز أهمية الزيتون وكثرة غراسه في مدينة بيت المقدس بقوله (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ)(٧) والزيتون كما ذكر المفسرون يعني الجبل الذي عليه بيت المقدس(٨)

فالزيتون في طليعة الأشجار المغروسة بكثافة كبيرة على سفوح المدينة وحوافها(٩) وعلى جانبي التلال الصخرية الممتدة حول أطراف المدينة وكذلك كثرت زراعة أشجار الزيتون

---

(١) شجرة مثمرة دائمة الخضرة يصل حجمها بضعة أمتار أوراقها جلدية خضرة لامعة لها رائحة عطرية وأزهارها بيض عبقة الرائحة تظهر في الربيع والثمرة لبية تعرف كذلك بالنارنج عصارتها حمضية مرة، وقشرة الثمرة تستعمل دواء أو في عمل المربيات ، إبراهيم مصطفى وأخرون، المعجم الوسيط، ج ٢، ص٩١٢– ٩١٣

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٥٥؛ الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٦٩؛ القزويني، آثار البلاد، ج ١، ص ٦٣

(٣) العفوصة تعني المرارة، ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٥٥

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ٥٥، ١٨٦؛ الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٦٩.

(٥) مروج الذهب، ج ١، ص ١٦٧

(٦)أدم متز، الحضارة الإسلامية، المجلد الثاني، ص ٣٠٦

(٧) سورة التين، آيه ١

(٨) البكري، معجم ما استعجم، ج ٣، ص ٨٩٨؛ السمعاني، تفسير، ج ٦، ص ٢٥٣؛ البغوي، تفسير، ج ٤، ص ٥٠٤؛ ابن تميم المقدسي، مثير الغرام، ص٧٨، العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٦١.

(٩) ابن حوقل، صورة الأرض، ج١، ص١٧٢؛ الحميري، الروض المعطار، ج ١، ص ٤٦٨؛ الإدريسي، نزهة المشتاق ، ج ١، ص ٣٦١

في الجبال المحيطة بها(١) وقد لفتت كثرة الأشجار المنتشرة في مدينة بيت المقدس بشكل عام، والأشجار الموجودة فوق جبل الزيتون بصورة خاصة أنظار كثير من الرحالة الذين زاروها في تلك الحقبة(٢)، فضلا عن ذلك كانت تزرع أشجاره في كثير من القرى المجاورة للمدينة(٣)، وعلى طول الوادي الممتد ما بين القدس ومدينة الخليل حيث يتخلل الوادي الكثير من السهول المليئة بأشجار الزيتون (٤).

كذلك من الأشجار المثمرة في بيت المقدس، أشجار الكروم التي كانت منتشر في المدينة بكثرة حتى سمي أحد حصون بيت المقدس باسم حصن العنب(٥)، كما ورد ذكرها عند ابن مدينة بيت المقدس صاحب كتاب أحسن التقاسيم بعد أن وصف كبر أسواقها وعفة سكانها بقوله "وعنبها خطير"(٦) والاصطخري من الرحالة الذين زاروا المدينة في القرن الرابع الهجري وتحدث عن شهرة جبال بيت المقدس وسائر جبال فلسطين بزراعة كروم العنب(٧) ، ونخص بالذكر من تلك المناطق التي كانت تزرع بالكروم المنطقة التي تقع إلى جهة الغربية من وادي قدرون، والتي ذكرها العليمي بقوله "بظاهر مدينة القدس الشريف من كل جهة كروم بها أنواع الفواكه من العنب"(٨)

كما تميزت مدينة بيت المقدس بزراعة عدة أنواع من شجر العنب المختلفة أهمها الدوروي و العينوني، وكانت طريقة تحضيرهما التجفيف ويباعا على شكل زبيب(٩).

---

(١) الاصطخري، المسالك والممالك، ج ١، ص ٢٣؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج ١، ص ١١١؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ١، ص ٣٦١؛ الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٤٦، ٤٢٧

(٢) الاصطخري، المسالك والممالك، ج ١، ص ٢٣؛ خسرو، سفرنامه، ج ١، ص ٥٥

(٣) الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٢٧

(٤) ابن الجوزي، فضائل القدس، ج ١، ص ١؛ القزويني، آثار البلاد، ج ١، ص ١١١؛ العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٢٦،على السيد علي، القدس، ص ١٩٤

(٥) الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٦٥

(٦) المقدسي، ج ١، ص ١٥٤

(٧) المسالك والممالك، ج ١، ص ٢٣

(٨) الأنس الجليل، ج ٢، ص ٥٩

(٩) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج١، ص ١٦٣

وكانت طبيعة مزروعات بيت المقدس الجبلية كما وصفها ناصر خسرو تنبت جميعها بصورة بعلية(أي تعتمد على مياه الأمطار في الري(١) كما أشار إلى وجود قرية من قرى المجاورة لبيت المقدس تدعى قرية العنب(٢)، وهذا دليل على كثرة شجر العنب المنتشرة في أراضيها(٣)، علاوة على ذلك أطلق على جبل طور زيتا جبل الخمر من توابع مدينة بيت المقدس(٤) لكثرة أشجار العنب التي زرعت فيه(٥).

كذلك زرعت أشجار الجميز في مدينة بيت المقدس(٦)، فضلا على زراعتها في جميع أرض فلسطين(٧) المناطق الجبلية منها و السهلية على حد سواء(٨).

كما اشتهرت مدينة بيت المقدس أيضا بزراعة قصب السكر، فقد ذكر المقدسي الذي عاش في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي أن قصب السكر كان من خيرات بيت المقدس بحيث يتخذون منه ناطف أي عصير[٩].

وأحاطت أشجار التفاح بمدينة بيت المقدس من الجهة الجنوبية خاصة التفاح الأحمر[١٠]، كما شاهد ناصر خسرو على بعد فرسخين من القدس أربع قرى بها عين وحدائق وبساتين كثيرة تسمى الفراديس، لجمال موقعها وكثرة أشجارها وتنوعها[١١].

---

(١) سفرنامة، ص ٥٥

(٢) قرية العنب: هي قرية أبو غوش تقع على بعد ثلاثة عشر كيلو مترًا الى الغرب من القدس وعرفت بالعهد الإسلامي باسم قرية العنب، الدباغ، مصطفى، بلادنا، ج ٨، ق ٢، ص ١١٢-١١٣

(٣) خسرو، ناصر: سفر نامة، ص ٥٥؛ الدباغ، مصطفى، بلادنا، ج ٨، ق ٢، ص ١١٢-١١٣

(٤) مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٢٥٥؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٦٨، ص ١١٠؛ العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٦١

(٥) الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٠٢

(٦) شجر تشبه ثماره التين، يثمر ثلاث أو أربع مرات في السنة، ابن سينا، القانون في الطب، ج ١، ص ٤٢٥؛ ابن البيطار، الجامع لمفردات، ج ١، ص٢٢٩

(٧) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٨٦

(٨) الاصطخري، المسالك والممالك، ج ١، ص ٢٣

(٩) أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٦٧

(١٠) الحميري، الروض المعطار، ص ١٢٣

(١١) خسرو، سفرنامه، ج ١، ص ٧٠

كذلك وجدت أشجار التين بكثرة[١]، وخاصة في أرض تُعرف بالبقعة في الجهة الغربية للمدينة[٢]، و شجر التين من الأشجار المثمرة المشهورة بالمدينة[٣]، فضلا عن انتشار زراعته في دير المصلبة في شمال المدينة، وهو دير رومي قديم البناء حيث وصف ذلك الدير بأنه (محكم الصنعة، مُونق البقعة، في بحيرة من أشجار التين) [٤].

ومن الأشجار المزروعة في بيت المقدس الخرنوب (الخروب) [٥] ولكثرة أشجاره استخدمه المقدسيين كعصير(٦)، فضلا عن وجود شجرة خروب على جبل طور زيتا، وتسمى تلك الشجرة خروبة العشرة، ولا يعرف ما السبب في تسميتها بذلك ولكن من المهم أنها اشتهرت بهذا الاسم بين الناس والله أعلم بحقيقة تسميتها[٧].

ومن الأشجار التي ارتبطت بكرامات أهل الصوفية ما ذكره محمد بن المبارك الصوري[٨] الذي رافق إبراهيم بن أدهم[٩] في احدى طرق بيت المقدس وعندما حانت وقت القيلولة جلسوا تحت شجرة رمان ثم صلوا تحتها عدة ركعات فسمعوا صوتا يخرج من تلك الشجرة تقول أكرمنا يا أبا اسحاق بأن تأكل منا شيئا، فرفض ذلك وبعد إلحاح محمد بن المبارك التقط ابن أدهم رمانتين لكل واحد منهما رمانة وكانت تلك الشجرة طعمها حامض وقصيرة الحجم، ولكن بعد عودتهما فإذا هي شجرة عالية ورمانها حلو، فضلا على أنها تثمر

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٥٥

(٢) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٥٩

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٥٥؛ الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٦٩، القزويني، آثار البلاد، ج ١، ص ٦٣

(٤) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج ١، ص ١١١

(٥) الخروب من الأشجار القديمة في المدينة، حيث ذكرت زمن سيدنا سليمان عليه السلام، الطبري، تاريخ ، ج ١، ص ٢٩٦؛ ابن سمعون، أمالي، ج ١، ص ٣٢٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢ ص ٣١

(٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٦٧

(٧) مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، ج٨، ق٢، ص٢٤

(٨) محمد بن المبارك بن يعلى القرشي الصوري أبو عبد الله، من العباد الثقاة، توفى سنة خمس عشرة وكان ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب ج٩ ص٣٧٥

(٩) أبو إسحق إبراهيم بن أدهم ابن منصور، أحد مشاهير العباد وأكابر الزهاد، قال عنه النسائي ثقة مأمون، سير أعلام، ج٧، ص٣٨٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص١٣٥

في كل عام مرتين، حتى سموها رمانة العابدين لكثرة من يأتي للراحة تحت ظله[١]. والذي يهمنا من تلك الكرامة فائدتان الأولى أن بيت المقدس زرعت فيها أشجار الرمان والفائدة الثانية و الأهم أن المدينة لكثرة خيرتها كانت هناك من الأشجار التي لم تكن حكرا لأشخاص محددين بل يأكل منها كل من يأتي المدينة من عابري السبيل كالعباد والزهاد وغيرهم من الزوار.

و أهم مزروعات جبال فلسطين و التي انتشرت في كل المدن الجبلية بما فيها القدس مثل شجر المشمش، والتوت، والكمثرى[٢] ، والبلوط، والسرو، والكينا (الكاليبتوس)، والسدر، وغيرها من الأشجار التي زرعت في جبال فلسطين[٣].

وعمل أهل مدينة بيت المقدس في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي إلى جانب الزراعة في تربية الحيوانات حتى أنها تميزت عن غيرها من المدن في إنتاج الجبن[٤].

وأخيرا اشتهرت مدينة بيت المقدس في تربية النحل وجودة عسلها الذي يرعى على زهور الزعتر[٥]. إن تربية النحل الذي رباه أهل بيت المقدس والذي تغذى على أزهار الزعتر خير دليل على المساحة الواسعة التي شغلتها مزارع الزعتر في المدينة المباركة.

أما عن المملكة النباتية الطبية البرية التي تميزت بها بيت المقدس، حيث طبيعة المدينة الواسعة التي وصلت حدودها لأربعين ميل كما ذكرنا سابقا، أنتجت نوعا من الأدوية تميزت به عن غيرها، وهو من الأدوية المشهورة في بيت المقدس سمي الترياق[٦][٧] ولكثرة

---

(١) اليافعي، مرآة الجنان، ج ١، ص ٣٥٠؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج ٢، ص ٣٣٩-٣٤٠

(٢) الكمثرى هو الإجاص ابن منظر، لسان العرب، ج٥، ص١٥٢

(٣) رفيق النتشة وآخرون، تاريخ فلسطين وجغرافيتها، ص١٥

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٦٣

(٥) المصدر نفسه، ص ١٦٨

(٦) الترياق كلمة فارسية معربة، وتقال أيضا بحرف الدال درياق، وهو ما يستعمل لدفع السم من الأدوية والمعاجين، وقد حرمه واعتبره نجسا لما يقع فيه من لحوم الأفاعي والخمر وإن لم يكن فيه شيء من ذلك فلا بأس، ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص٣٢

(٧) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٦٤

انتشاره دعيت احدى قرى المدينة باسم ترياق وأهم المنتسبين إليها سلامة بن ناهض المقدسي الترياقي المحدث[١].

وبيت المقدس ذائعة الصيت في شهرتها بنباتاتها منذ العهود القديمة حيث ورد زمن سيدنا سليمان عليه السلام أنه ما من يوم إلا و ينبت في بيت المقدس شجرة فيأتيها ويسألها عن اسمها فتذكر اسمها وفائدتها فإن نبتت لغرس غرسها، وإن نبتت لدواء استخدمت للطب وغيرها من الفوائد التي تميزت بها نباتات المدينة المباركة[٢].

وبقيت تلك النباتات تجذب إليها كل صاحب معرفة بالأعشاب، حيث تختلف فوائد نباتاتها وأشكالها على مدار الفصول الأربعة، وخاصة في فصل الربيع تظهر فيه الأزهار مختلفة الألوان، والتي تستوقف بجمالها وحسنها عقول الناس، وكل من يهتم بالأعشاب يأتي إليها، ويأخذ من تلك الأزهار ما يعود عليه بالنفع[٣]، كذلك نبتت في المدينة أزهار عديدة منها أزهار شقائق النعمان[٤] والأقحوان[٥] والبهار[٦].

وقد خلبت المدينة بجمالها البرَّاق الألباب، ولم تكتفِ بلفت أنظار المهتمين بالأعشاب، بل أثارت دهشة العباد والزهاد حتى أنه سمع أحد الزوار فقير يقول عن مدينة بيت المقدس: "سبحان من جمع فيك المحاسن وكساك هذه الحلل الفاخرة، وجعلك تحتوي على كنوز الدنيا والآخرة فقلت له يا سيدي أما فضله وبركته، فقد صدَّق العيان فيها الخبر، وقام بها الدليل والبرهان وتواتر بها الأثر، لكن ما كنوز الدنيا؟ فقال: ما من زهرة تراها إلا ولها في النفع والضرّ خواصّ، يعرفها أهل الاختصاص فقلتُ: لعلّ تُظهر للعيان شيئا مما عرفت يزداد

---

(١) ابن منظور، الأنساب، ج ١، ص ٤٦٢؛ القيسراني، المؤتلف والمختلف، ج ١، ص ٤٠ ؛ابن الأثير، اللباب، ج ١، ص ٢١٤

(٢) الطبري، تاريخ، ج ١، ص ٢٩٦؛ السيوطي، الدر المنثور، ج ٦، ص ٦٨٢

(٣) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج ١، ص ٤٦

(٤) نبات سمي بذلك لحمرته على التشبيه بشقيقة البرق، وإنما أضيف إلى النعمان لأنه حفظ أرضا كانت تكثر فيه تلك النبتة، ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص١٨١

(٥) الأقحوان من نباتات الربيع من عريض الورق رفيع العيدان له زهر أبيض، ويسميه العرب القراص، ويسميه الفرس البابونج والبابونك الأزهري، تهذيب اللغه ج٥ ص٨٢؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص١٧١

(٦) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٢٥

به اليقين تبصرة، وتكون هذه الجلسة معك على صبح النجاح مسفره. فأخذ بيدي ومشى خطوات إلى جهة من جهات الحرم. ومدّ يده وأخذ قبضة من ذلك الكلأ، وقال: هل معك خاتم أو درهم؟ فقلت نعم. فأخرجت درهما مما معي. فعركه بذلك الكلأ، فعاد كالدينار في صفرته. ثم أخذ حشيشة أخرى، وعركه بها. فعاد أبيض، أنقى مما كان، وقال: هذه رموزا احتوت على تلك الكنوز، ولم يترك نبيّ الله سليمان شيئا من المواهب التي منحه الله إياها، والمنافع التي وصلت إليه من الإنس والجنّ على اختلاف صورها ومعناها، إلا وأودعه في هذا الحرم"[١]

ويبدو أن المسجد الأقصى المبارك نال محاسن تلك الأزهار حتى أنه فاق المدينة بجمال ازهاره وكثرة وورودة، فإذا جلس إنسان في أي موضع منه، يشعر بأنه في أجمل الأمكنة وأبهاها، ولهذا قيل إن الله سبحانه و تعالى نظر إليه بعين الجمال ونظر إلى المسجد الحرام بعين الجلال، فالمسجد الحرام في غاية الابهة والوقار والهيبة، والمسجد الأقصى غاية في البهجة والسعة والمنظر الحسن[٢]

ومن النباتات البرية المنتشرة في بيت المقدس والقرى المحيطة بها نبات عرف باسم حاشا وقد عرفه شجارو الأندلس وعامتها بصعتر الحمير[٣].

وكذلك من النباتات الطبية في بيت المقدس أمذريان ينبت كثيرا في داخل المسجد الأقصى وفي مدينة بيت المقدس، ولكبر حجمه يتوهم الإنسان بأنه شجر حتى يمعن النظر فيه، و هي شجرة حادة الرائحة، تنفع من أورام الجوف، وتخفف من مرض الكبد، و لها تأثير قوي في معالجة أمراض الجسم المختلفة[٤]

ومن الأشجار الطبية الأخرى التي تحدث عنها التميمي[٥] وكانت تنبت كثيرا على جبال بيت المقدس شجر القندول: وهو شجر كبير الحجم ذات شوك حاد منتظم على

---

(١) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج ١، ص ٤٧؛ اللقيمي، تهذيب موانح الأنس، ص١١٢-١١٣

(٢) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٢٦

(٣) ابن البيطار، الجامع لمفردات، ج ٢، ص ٢٤٩

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٧٦

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن سعيد التميمي وكان مقيما في القدس ونواحيها في المائة الرابعة للهجرة له معرفة جيدة بالنبات، وأعمال الطب، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج ١، ص ٥٤٦-٥٤٨

أغصانها وقضبانها يشبه شوك أم غيلان[١] ، يزهر في شهر مارس وهو أصفر اللون في صورة العصافير رؤوسها وأجنحتها ، وأهم فوائده: يخفف آلام المفاصل، ويفيد في تخفيف أوجاع النقرس، إضافة لأهميته في أمراض الكلي والمثانة ويعين على الجماع، وقد ينفع شمه والاستنشاق به أوجاع الرأس ويشفي من الزكام والنزلات والصداع [٢].

كذلك انتشرت نبتة زوفا يابس على جبال بيت المقدس وهي حشائش تنفرش أغصانها على وجه الأرض في طول الذراع أو أقل ولها ورق وأغصان ، ولها رائحة طيبة وطعم مر وتجمع في أيام الربيع [٣]واما النبتة المسماة بكف مريم الحجازية وهي نبتة منبسطة على الأرض مستديرة، صلبة الأغصان، شديدة الخضرة، زهرها دقيق يميل إلى الصفرة[٤].

وذكر ابن أبي الدنيا المتوفى عام ٢٨١هـ/٨٩٤م نبات طبي سمي الأَفتِيمونِ[٥] الذي يشبه في قوته نبات الحاشا، وهو عبارة عن بذورٌ وزهرٌ وقضبان صغار، زرع بكثرة في مدينة برقة ومدينة بيت المقدس[٦]، لونه أحمر، وأجود أنواعه شديد الحمرة حاد الرائحة، طعمه طيب، ونظرا لأنه حراق لابد من شرب الماء معه حتى يخفف حرقته[٧]، وتستخدم تلك النبتة في الأدوية بعد أن يتم طبخها[٨].

---

(١) أم غيلان: شجرة حجازية، ومنابتها بطون الأودية، وهي أعظم الأشجار شوكا وأصلبها عودا، وورقها قليل، ولها شوك كثير(تلك الأوصاف أقرب لنبات السدر) ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٥٣٢

(٢) ابن البيطار، الجامع لمفردات، ج ٢، ص٣٩٢- ٣٩٣

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٨١

(٤) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٣٧

(٥) الإفْتِيمُون: اسم يوناني، وهو نبات صلب شبيه بالزعتر وله رؤوس دقيقة خفيفة لها أذناب تشبه الشعر، وإذا شرب منه مع العسل و الملح وقليل من الخل أخرج البلغم، ابن البيطار، الجامع لمفردات، ج ١، ص ٥٥

(٦) ابن أبي الدنيا، مقتل علي، ج ٢ ص ٤٦٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج ١١، ص ٢١٢

(٧) ابن أبي الدنيا، مقتل علي ج ٢، ص ٤٦٩-٤٧٠ ؛ ابن سينا، القانون، ج ١، ص ٣٥٦

(٨) ابن أبي الدنيا، مقتل علي، ج ٢، ص ٤٧٠

وهناك نبات أبو النوم ذو الزهرة الحمراء ذات الشريط الأسود المتقطع والذي ينمو بريا في أودية مدينة بيت المقدس، وعلى سفوح جبالها، وبين حوائط مبانيها، وعلى جدران الكنائس وفوقها بكثرة[١].

وأخيرا فيما يتعلق بالنباتات الطبية المنتشرة بصورة كبيرة في مدينة بيت المقدس وجبال الخليل تلك النبتة التي تعرف بالكيننفشة كما ذكرها التميمي بأنها حشيشة متشابكة العيدان صلبة لونها داكن، طعمها مُر جدا، قليلة الورق، وهو مع قلته يميل إلى الدقة والنحافة، وأطراف قضبانها تشبه البابونج، وأهم فوائدها إذا أكلت وتعرض الإنسان للسع العقارب، فإن لسعته لم تؤثر به ولا يشعر بأي ألم[٢].

أما فيما يتعلق بالأكل الصحي فعُرف عند أهل بيت المقدس سمكة تسمى ديسقوريدوس، تلك السمكة إذا طبخت وأُكِلَ الأسود منها (أي حوصلتها) أزال عسر الهضم وأوجاع البطن، وإذا شكل من حدقتها[٣] شياف[٤] يصلح في علاج الجفون المتورمة، وإذا أحرق بقشوره إلى أن يسقط عنه القشر، يزيل البهاق، ويلمع الأسنان، ويزيل الكلف عند النساء[٥]

وفيما يتعلق بالأهمية الاقتصادية للقرى المجاورة لمدينة بيت المقدس فهي مكملة لاقتصاد المدينة، فالمدينة تستهلك أنواع المنتجات الزراعية المختلفة من القرى المحيطة التابعة لها.

---

(١) ميخائيل مكسي، القدس، ص ١٢

(٢) ابن البيطار، الجامع لمفردات، ج ٤، ص ٤٢٧

(٣) الحدقة : سوادها الأعظم المستدير وسط العين، فعندما يقال تكلمت على حدق القوم أي بمعنى تكلمت و هم ينظرون، لسان العرب، ج١٠، ص٣٩؛ إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج١، ص١٦١

(٤) يقصد به وضع مجموعة نباتات طبية وتطحن مع بعضها البعض فتسمى شيافا ابن سينا، القانون في الطب، ج ٣، ص ٥٣٤؛ ابن البيطار، الجامع لمفردات، ج ١، ص ١٦٧

(٥) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٦١

فقد ذكر الرحالة الفارسي ناصر خسرو(٤٨١ هـ/ ١٠٨٨ م) إلى وجود إحدى القرى القريبة من بيت المقدس تدعى قرية العنب[١]، وفي تلك القرية عين ماء عذب يخرج من الصخر وبنيت أحواض وعمارات في القرية، حيث توجه (خسرو) منها إلى مدينة بيت المقدس في رحلته[٢] تميزت تلك القرية بكبر حجم العنبة الواحدة فضلاً عن حجم العنقود، فقد ذُكر أن وزن حبة عنب مجلوبة من القرية عشرة دراهم، وإن العنقود منها يملأ السلة[٣] وهذا يشير إلى جودة العنب المزروع في القرية. ولجمال عنب تلك القرية ولمعانه تغنى ابن الرومي[٤] بذكر عنبها قائلا: [٥]

وحبة من العنب من المنى متخذه

كأنها لؤلؤة في وسطها زمرده

وكذلك اشتهر أحد حصون بيت المقدس بزراعة العنب المسمى بحصن العنب من نواحي أراضي بيت المقدس [٦] وعين يبرود قرية أخرى من قرى بيت المقدس تقع إلى الشمال من المدينة وهي ذات أشجار وكروم وزيتون وسماق[٧]

وكما كانت القرى المجاورة لبيت المقدس في مختلف الجهات تمثل المناطق الزراعية التي اعتمدت عليها المدينة في الوفاء باحتياجاتها من الغذاء وخاصة في المنطقة الممتدة ما بين بيت المقدس وبيت لحم والخليل تقدر بستة فراسخ اشتملت على قرى كثيرة و زروع و حدائق و شجر بري لا يحصى من عنب و تين و زيتون و سماق، و على فرسخين من بيت

---

(١) قرية العنب: هي قرية أبو غوش، تقع على مسافة ثلاثة عشر كيلو مترًا الى الغرب من مدينة بيت المقدس، و قد عرفت بالعهود الإسلامية باسم قرية العنب، ابن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ ج ٤ ص ٧١٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج ١٤، ص ١٢٩؛ الدباغ، مصطفى، بلادنا، ج ٨، ق ٢،ص ١١٢-١١٣

(٢) سفرنامه، ج ١، ص ٥٥

(٣) الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ج ١، ص ٧١٧

(٤) هو علي بن العباس بن جريج أبو الحسن المعروف ب ابن الرومي صاحب الديوان في الشعر وهو شاعرا مشهورا مطيقا، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص٧٤

(٥)الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ج ١، ص ٧١٧

(٦) الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٦٥

(٧) الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٢٧

المقدس أربع قرى بها عين وحدائق وبساتين كثيرة تسمى الفراديس[١]، فضلا عن ذلك تميزت قرية تقوع احدى القرى التابعة للمدينة بجودة عسلها حتى ضرب به المثل[٢]

كذلك قرية عين كارم من قرى بيت المقدس الشريف التي تشتمل على أراضي كثيرة العمال، تنوعت آثارها ما بين الأراضي العامرة المستغلة في الزراعة والأراضي البور المتروكة، وقد اشتملت أرضها على الأراضي السهلية و الأراض الصخرية، كما تشمل أيضا آثار بنيان بأراضيها وبساتين ذات أشجار رمان وغير ذلك ممن يستقي من عين مائها، وأشجار زيتون رومي وخروب وتين وبلوط، كما يوجد بها دوالي العنب العتيقة الرومية[٣] .

وذكر خسرو وجود قرية سلوان الغنية بالبساتين حيث قال "وحين يسير السائر من المدينة جنوبا مسافة نصف فرسخ[٤] وينزل المنحدر يجد عين ماء تنبع من الصخر تسمى عين سلوان وقد أقيمت عندها عمارات كثيرة ويمر ماء هذا العين بقرية شيدوا فيها عمارات كثيرة وغرسوا بها البساتين"[٥].

ولكثرة خيرات القرى والأحياء التابعة لمدينة القدس تم وقف الكثير من تلك القرى لصالح الزوار الذين يقدمون إلى زيارة مسجد خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، وكان يقدم للضيوف الذين يصل عددهم في بعض الأيام إلى خمسمائة من المسافرين والزائرين، يقدم لكل واحد منهم رغيفا مستديرا وطبقا من العدس المطبوخ بالزيت وزبيبا[٦]. وفي هذه إشارة إلى الاكتفاء الذاتي لكل ما تحتاجه للمدينة من المزروعات والثمار، وتقديم قراها يد العون للمدن المجاورة المتمثلة في مدينة خليل الرحمن.

إضافة لذلك فإن أطراف المدينة وحولها كثير من التلال والأودية المزروعة زروعا جيدة، التي أمدت سكانها من مزروعات حيث ينبت فيها القمح و التين والزيتون، كما زرعت

---

(١) خسرو، سفرنامه، ج ١، ص ٧٠

(٢) الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٧

(٣) ابن عثمان، القدس والخليل، ص٣٦

(٤) أي على بعد ٢٧٧٢م، على حساب أن الفرسخ كما ذكرنا سابقا يساوي ٥٥٤٤م .

(٥) سفرنامه، ج ١، ص ٥٧

(٦) المصدر نفسه، ص ٧٣

بأنواع كثيرة من الأشجار، ورغم أنه لا يوجد بالقرب منها عيون جارية، فإن الخصب في مزروعاتها كثير، والأسعار فيها مناسبة[١]. وإلى جانب تلك الأشجار زرع شجر الخرنوب[٢] في قراها[٣]فحينما خرج إبراهيم بن أدهم من بيت المقدس إلى احدى قراها ونفذ طعامه في الطريق أكل الخروب[٤].

ثانيا: الصناعة في المدينة:

عمل سكان بيت المقدس بتقطيع الأحجار من المحاجر الموجودة في داخل مدينة بيت المقدس والتي اعتبرها المقدسي من عجائب المدينة المقدسة حيث قال "ومن العجائب بإيليا مغارة بظاهر البلد عظيمة سمعت بعض العلماء وقرأت في بعض الكتب أنها تنفذ إلى قوم موسى وما صح لي ذلك وأنها مقاطع للحجارة"[٥]. ربما كانت تستخدم تلك المحاجر للقيام بعملية الترميم المطلوبة وخاصة وأن بيت المقدس تكثر فيها الزلازل بين الفينة و الأخرى، وربما صدرت الحجارة إلى لبلاد الشام، فلا يستبعد أن تكون كثير من القصور التي سيدت في الشام يعود أصل حجارتها لمدينة القدس.

وكان يستخرج من هذه المحاجر أنواع كثيرة من الألوان المختلفة، ومعروف أن حجارة القدس من أحسن الحجارة و أجملها وأقواها، -لا سيما- النوع المعروف بالحجر المزي الصلب أحمر اللون[٦]

---

(١)المصدر نفسه، ص ٥٥؛ عارف العارف، المفصل، ص ١٤٠-١٤١

(٢) يقال له الخروب وهو شجر ينبت في جبال الشام ، ويسميه صبيان العراق القثاء(الخيار) الشامي، وهو حلو يؤكل ، وثمره طويل كالخيار الصغير، ويتخذ منه سويق ، ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٣٥٠-٣٥١

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٦٣

(٤) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ج ٧، ص ٣٧٣

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٦٨

(٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٦٨؛ عارف العارف، تاريخ القدس، ص ٢٢٩

فاقت جودة حجارة بيت المقدس والأدوات المستخدمة لتقطيع الحجارة الكثير من المدن الإسلامية، فالحجارة المقدسية تمتاز باللين فهي سهلة التشكيل تقطع بشكل مربع ولجودة أدوات التقطيع تخرم الأحجار كما يخرم الخشب[١].

وعرف أهل مدينة بيت المقدس الصناعات الخفيفة التي ارتبطت بمراسم الحج المسيحية، حيث تتدفق أعداد كبيرة من الحجاج الغربيين على المدينة[٢]، ومن هذه الصناعات الحفر على خشب الزيتون، فقد كان لأبناء القدس مهارة كبيرة في تلك الصناعة حيث أتقنوها، فكانوا يحفرون على خشب الزيتون أشكالا متنوعة وبإتقان عجيب فيصنعون كثيرا من أدوات الزينة والهدايا ذات الرموز الدينية التي تستهوي كثيرا من الغرب الأوروبي[٣]

كذلك يعتبر الزيت من الصناعات التي انتشرت بين سكان بيت المقدس والمناطق المجاورة لها، فقد ارتبط إنتاج زيت الزيتون بوفرة أشجاره، إذ كان أهل بيت المقدس يعصرون الزيت ثم يصدرونه إلى باقي الأقاليم فقد وصف خسرو كثرة الزيت بمدينة بيت المقدس بقوله"وفيها أرباب عائلات يملك الواحد منهم خمسين ألف من زيت الزيتون"[٤]،أي ما يساوي ٤٢٠٠تنكة زيت[٥]، ويقوم سكان بيت المقدس بحفظ الزيت في الآبار والأحواض[٦].

ولكثرة أشجار الزيتون كان يعصر ويصدر إلى البلدان الأخرى[٧] علاوة على ذلك كان يرفع جزء من ذلك الزيت إلى بيت المال ففي عهد المأمون (١٩٨-٢١٨/٨١٣-٨٣٣) كان نصيب فلسطين من مجمل الزيت الذي رفع إلى بيت مال المسلمين ثلاثمائة ألف دينار و ثلاثمائة ألف رطل من زيت الزيتون [٨]. تلك الكميات الهائلة من مكاييل الزيت التي فرضت على فلسطين تدل على كثرة صناعته فيها.

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ٢٨٨

(٢) خسرو، سفرنامه، ج ١، ص ٥٥

(٣) عارف العارف، تاريخ القدس، ص٢١٢

(٤) سفرنامه، ج ١، ص ٥٦

(٥) عارف العارف، المفصل، ص ١٤١

(٦) خسرو، سفرنامه، ج ١، ص ٥٦

(٧) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٦٣

(٨) ابن خلدون، مقدمة، ج ١، ص ١٨٠- ١٨١

فضلا عن ارتباط إنتاج استخدام الزيت في صناعة الصابون[١] التي استوعبت عدداً لا بأس به من سكان المدينة، وكان الصابون عادة يصدر إلى المدن والبلاد المجاورة مثل يافا التي كانت بها تجارة كبيرة للصابون، فالصابون لم يكن يُصنع فيها، بل كان يَرِد إليها من مدينة بيت المقدس، ومنها يصدر إلى مصر والبلاد المختلفة، و صناعة الصابون كانت معروفة منذ قديم الأزمان، والراجح أنه كان لأهل الرملة دراية واسعة في صناعة الصابون، فقد استعان أهل بيت المقدس بأهل الرملة للعمل في صناعة الصابون، وربما استعان أهل بيت المقدس بسكان الرملة لكثرة مصانع الصابون بالمدينة والتي استوعبت كل الأيدي العاملة ولذا لجأ أهالي القدس إلى الاستعانة بأهالي الرملة لما لهم من خبرة ودراية [٢]

ومن الصناعات التي تميزت بها مدينة بيت المقدس عن غيرها من المدن الفلسطينية، صناعة الشمع ففي أكتوبر من كل عام يكون عيد للنصارى في كنيسة القيامة، فيأتي النصارى من كل حدب وصوب لبيت المقدس، ويسرج الشمع فيها[٣]، وكان الشمع المقدسي مرغوبا لدى الأجانب والحجاج المسيحيين حيث تباع منه كميات كبيرة في الأعياد المسيحية المختلفة، و من المتعارف عليه أنهم يوقدون كثيرا من القناديل و الشموع داخل بيوتهم، لذلك نجدُ أعداداً كبيرة من الحجاج المسيحيين الذين زاروا المدينة يأخذون بعضا من تلك الشموع معهم، تبركا بأنها صنعت في المدينة المباركة، أو لإشعالها في كناسهم في الغرب الأوروبي[٤]

ولم يقتصر استخدام الشمع على النصارى، فالمسلمون أناروا به المسجد الأقصى، فقد دهش ناصر خسرو عند مشاهدته لشمعة كبيرة الحجم في داخل المسجد حيث قال: بعد أن ذكر كثرة القناديل المستخدمة لإضاءة المسجد "ورأيت هناك أيضا شمعة كبيرة جدا طولها سبع أذرع وقطرها ثلاثة أشبار"[٥].

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٦٣

(٢) المصدر نفسه ١٦٣؛ على السيد علي، القدس، ص ١٩٩

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ٢٤٧

(٤) الموسوعة الفلسطينية، ج٢، ص ٢٠٠-٢٠٣؛ عارف العارف، تاريخ القدس، ص ٢١١

(٥) سفرنامه، ج ١، ص ٦٧

هذا بالإضافة إلى أن القدس اشتهرت ايضا بصناعة الزجاج، وكذلك صناعة الحصر و القناديل و الأقداح[١] و الثريات والبزاقات[٢] وغيره الكثير إضافة إلى صنع فتائل القناديل من القش[٣].

كذلك وجدت صناعة المربى التي تعتمد على ثمار العنب، وصناعة الدبس هذا إلى جانب أنهم كانوا يجففون العنب ويأكلونه زبيبا، كما صدروا الزبيب الدوري والعينوني إلى خارج فلسطين[٤]،واشتهرت أرض بيت المقدس باستخدام الخرنوب في الصناعة، فقد أشار المقدسي إلى أن سكان القدس والمناطق المحيطة بها كانوا"يصنعون من الخرنوب" شرابا"[٥].

ولعل تحول فلسطين إلى ولاية إسلامية بعد الفتح الإسلامي لها كان سبباً في انصراف أصحاب الكروم إلى تحويل ثمار العنب إلى فاكهة مجففه(زبيب) نظرا إلى تحريم شرب الخمر في الشريعة الإسلامية[٦].

وكانت تصنع في بيت المقدس في القرن الرابع الهجري السبح[٧] لكثرة من كان يزور المسجد الأقصى، ولا تزال هذه الصناعة رائجة ومزدهرة إلى يومنا هذا[٨].

كذلك من الصناعات الزجاجية والمعدنية الرائجة في مدينة بيت المقدس زمن المقدسي المرايا و القناديل، والإبر[٩]

وأما الخشب فيؤتى إلى بيت المقدس من غابة كثيفة واقعة على بعد ثلاثة أميال من الخليل إلى الشمال وعلى تل منتصب في وسط سهل متسع يقع على يسار المسافر إلى

---

(١) القدح: هو الإناء الذي يؤكل فيه ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٥٥٦

(٢) البزقات هي وسيلة من وسائل الإضاءة القديمة وهي نوع من المسارج التي تضيء بواسطة الزيت و الفتيلة، المنهاجي، إتحاف الإخصا، ص ٢٤٥

(٣) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٨٠-٢٨١

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٦٣

(٥) أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٦٧

(٦) خسرو، سفرنامه، ج ١، ص ٥٥؛ عثامنة، فلسطين، ص ٢٩٣

(٧) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٦٤

(٨) أدم متز، الحضارة الإسلامية، المجلد الثاني، ص ٣٦٨

(٩) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٦٣

القدس، ولا يبعد عن الطريق إلا قليلا، وفي هذه الغابة تنبت أشجار الصنوبر بكثرة، ومن هذه الأشجار ينقل المقدسيون الخشب الذي يحتاجون إليه من أجل البناء و الوقيد، فقد تم استيراد الصنوبر من حصن التينات[١] منبع ومقطع أخشاب الصنوبر الذي يحمل أخشابه إلى جميع بلاد الشام[٢]

ويبدو أن أهل بيت المقدس عملوا في تربية الحيوانات فتميزت بصناعة الجبن[٣]. بناءً على تللك المعطيات يتبين أن النشاط الاقتصادي في بيت المقدس فترة الدراسة كان متنوعا ومتعددا، الأمر الآخر أن حرفة الزراعة المهنة الأساسية والتي تفرعت عنها الصناعة.

ثالثا: التجارة في مدينة بيت المقدس :

١ – أهم المنتجات التجارية:

شهدت مدينة بيت المقدس نموا سكانيا مطَّرِدا وصل عدد سكانها من الذكور حسب ناصر خسرو عشرين ألفا[٤]، هذا النمو السكاني الذي ارتبط في الغالب بكثرة الزائرين إليها حتى أنها لم تخلو كل يوم من غريب[٥]، سواء من المشرق أو المغرب وما صحبه من هجرات، وكثيرا من زوارها يستقروا فيها حتي الوفاة[٦]، كذلك فإن المدينة فيها كل حاذق وطبيب ومأوى كل لبيب[٧]، كل هذه العوامل كان لها نتائجها المباشرة في ازدهار الحياة التجارية، وكثرة الأسواق فيها[٨]والتي كانت تموج بالحركة والنشاط وتكتظ بأصناف البضائع المختلفة[٩].

---

(١) يقع على البحر المتوسط قرب مدينة المصيصة القريبة من أنطاكية وهو عبارة عن ميناء يصدر منه أخشاب الصنوبر، ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ج ١، ص ١٤٨؛ الحموي، الحموي، البلدان، ج ٢، ص ٦٨

(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٢، ص ٦٤٦

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٦٣

(٤) سفرنامه، ج ١، ص ٥٦

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٥٤

(٦) خسرو، سفرنامه، ج ١، ص ٥٦

(٧) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٥٤

(٨) خسرو، سفرنامه، ج ١، ص ٥٦

(٩) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٦٣

هذا إلى جانب اشتغال الكثير من أهل بيت المقدس في عصر الزيتون وحفظه في الآبار والأحواض لكثرة إنتاجية أشجار الزيتون المنتشرة في بيت المقدس ثم بعد ذلك تصدير ذلك الزيت إلى أطراف العالم المختلفة[١]، علاوة على ذلك وجود تلك الكميات الكبيرة من زيت الزيتون أدى إلى انتعاش صناعة الصابون وتصديرها للخارج[٢].

استكمالاً لما مضى فإن مدينة بيت المقدس بما لديها من مكانة دينية عند المسلمين والمسيحيين على حد سواء، فإنها كانت أهم مدن الشام التي تجري فيها معاملات تجارية مع الخارج، ففي الخامس عشر من سبتمبر من كل عام، يعقد فيها سوق تجارية كبيرة يلتقي الحجاج المسلمون القادمون بعد الحج للزيارة و المباركة مع الحجاج المسيحيين الذين يحجون إلى كنيسة القيامة في بيت المقدس، فتشهد الأسواق حركة تجارية نشطة لبيع المواد المصنعة في المدينة وخاصة صناعة الأصبغة، و الصابون، والحصر، الزيت، والنسيج، و السكر، والجبن وغيرها، إضافة إلى الفواكه و الثمار والحبوب والاشنان "ورق نبات يغسل به الميت" والأغنام وغيرها من منتوجات المدينة[٣].

وقدم المقدسي قائمة لأهم المنتجات التي صدرتها بيت المقدس منها القطن و قضم قريش [٤] الذي ليس له نظير في البلدان الأخرى، ومن الأقمشة التي انتشرت في أغلب أرض فلسطين المُلاحم[٥] والفوط[٦]، ومن المنتجات التجارية التي لاقت رواجا بين الحجاج المسيحيين، و الذين تدفق أعداد كبيرة منهم على المدينة المباركة[٧]، الحفر على خشب الزيتون، فقد كان لأبناء القدس مهارة كبيرة في تلك الصناعة حيث أتقنوها، فكانوا يحفرون

---

(١) خسرو، سفرنامه، ج ١، ص ٥٦

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٦٣

(٣) زيدان كفافي و آخرون، القدس، ص٨٥-٨٦

(٤) قضم قريش : ويقال فم قريش وهو حب الصنوبر الصغار، يجفف ثم يطبخ، ابن سينا، القانون، ج١، ص ٤٦٣؛ ابن البيطار، الجامع لمفردات ، ج ٤، ص ٢٧٠

(٥) نوع من الثياب مكون من الصوف والقطن مجتمعين أو من الحرير والقطن، ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٥٣٨، نلاحظ أن المادة الأساسية المشتركة في ذلك النوع من الثياب هي القطن تلك النبتة التي كانت تشتهر بزراعتها وصناعتها مدينة بيت المقدس.

(٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٦٣

(٧) خسرو، سفرنامه، ج ١، ص ٥٥

على خشب الزيتون أشكالا متنوعة وبإتقان عجيب فيصنعون كثيرا من أدوات الزينة والهدايا ذات الرموز الدينية التي تستهوي كثيرا الحجاج فيقبلوا على شرائها [١].

مما سبق يتبين المنتجات التجارية اعتمدت بالدرجة الأولى على المزروعات بأنواعها المختلفة وبعض المنتجات الصناعية، كذلك تنوع المنتجات التجارية في المدينة وزيادة بعض المنتجات عن حاجة السكان فصدرت للخارج.

٢- أسواق مدينة بيت المقدس:

تميزت مدينة القدس بالأسواق ذات الأنشطة المتعددة في تلك الفترة فقد وصفت بأنها كثيرة الأسواق حسنة العمارات[٢]، فيها صناع كثيرون، ولكل جماعة من أصحاب تلك الحرف سوق خاصة بهم[٣]، إضافة لذلك فقد أشارت المصادر إلى أن تلك التقسيمات كانت قديمة زمن الروم واستمرت بعد الفتح الإسلامي للمدينة المقدسة "الأسواق الثلاثة المجاورة بالقرب من باب المحراب المعروف بباب الخليل وهي من بناء الروم... فالأول منها وهي الغربي سوق العطارين... والذي يليه هو الأوسط ازدهر ببيع الخضروات وعرف بذلك، والذي يليه سوق القماش، وقد ذكر المسافرون أنهم لم يروا مثل هذه الأسواق الثلاثة في الترتيب والبناء في البلدان، وأن ذلك من المحاسن التي اتصفت بها مدينة بيت المقدس"[٤]

ومما زاد جمال وحسن أسواق المدينة أن أرضيتها كانت مبلطة بالحجارة، فقد سووا الجهات الجبلية والمرتفعات وجعلوها مسطحة بحيث تغسل الأرض وتنظف حينما تنزل الأمطار [٥].

وكذلك روي عن سلامة ابن قيصر، وكان عمر بن الخطاب - ﷺ- جعله إماما للناس بالمسجد الأقصى - أن عمر - ﷺ- لما فتح بيت المقدس وقف على رأس سوق

---

(١) عارف العارف، تاريخ القدس، ص٢١٢

(٢) الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٦٨

(٣) خسرو، سفرنامه، ج ١، ص ٥٦

(٤) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٥٠

(٥) خسرو، سفرنامه، ج ١، ص ٥٦

البزازين[١] فقال: لمن هذا الصف؟ فقيل له بأنه للنصارى. ثم وقف على الصف الغربي فقال: لمن الصف الغربي؟ فقالوا للنصارى. فأشار بيده هذا لهم وهذا لهم يعني للنصارى – وهذا لنا مباح – أي يقصد السوق الأوسط الذي بين الصفين[٢].

ومن الأسواق المهمة التي عرفت في بيت المقدس سوق الزيت، حيث يباع فيها زيت الزيتون والذي سبق الإشارة إلى كثرته و انتشاره فيها[٣]، ولم يكن الزيت الذي يباع في بيت المقدس مقتصر على إنتاجها، وإنما كان تجار نابلس يبيعون زيتهم في المدينة المباركة إضافة إلى الرملة منذ زمن بعيد [٤]

تعتبر الأسواق المكان الأساسي للتجارة وتسويق المنتجات الصناعية والزراعية التي تنتجها بيت المقدس، لذلك ليس من المستغرب أن تتنوع وتكثر أسواق المدينة[٥].

ومن الأساليب التجارية التي وجدت في بيت المقدس إقامة سوق للبيع والشراء في يوم من أيام السنة، ففي بداية الخلافة العباسية زمن الخليفة المنصور، كان يقام في مدينة بيت المقدس، سوق كبيرة في منتصف أكتوبر من كل سنة يؤمها التجار من مختلف الأمم[٦] يبدو أن ذلك السوق من الأسواق السنوية التي تعقد بشكل دوري في المدينة و التي لا تزال معمول بها في أيامنا هذه.

كذلك هنالك الكثير من الأماكن المقدسة التي تجذب الزوار إليها والمرتادين، وفيما يتعلق بالمسلمين فأطهر وأهم الأماكن المقدسة التي تهوي إليها أفئدة الناس من كل مكان مكة والمدينة إضافة إلى بيت المقدس التي يقوم الناس بتقديس الحجة بها –فضلا– عن وجود أحد

---

(١) البز نوع من الثياب ويطلق أيضا على أمتعة البيت الخاصة، بالإضافة لذلك يقال عن الثياب المجموعة عند التاجر باسم بازار، المناوي، التعاريف، ج ١، ص ١٢٨

(٢) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٥٠

(٣) خسرو، سفرنامه، ج ١، ص ٥٦؛ العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٥٤، ٣٠٤

(٤) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٣٥٦

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٥٣

(٦) بيان الحوت، فلسطين القضية، ص ١٠٨

المساجد التي تشد إليها الرحال بها[١] وارتباطها برحلة الإسراء والمعراج[٢]، وحث الرسول – ﷺ– الناس إلى زيارتها[٣].

ومع أن مدينة القدس لم تكن تقع على طريق تجاري رئيسي، إلا أنه وجدت بها أسواق تجارية عدة، تقدم خدماتها إلى سكان المدينة والمناطق المحيطة بها، كانت تلك الأسواق مقسمة حسب أنواع السلع التي كانت تتعامل بها، حيث قال المقدسي عن أسواقها بأنها جمعت خيري الدنيا والآخرة "فمن كان من أبناء الدنيا وأراد الآخرة وجد سوقها ومن كان من أبناء الآخرة فدعته نفسه إلى نعمة الدنيا وجدها"[٤] لعل المقصد من قوله ذاك أنه لم تقتصر أسواق مدينة بيت المقدس على بيع السلع الغذائية المتنوعة فقط، بل تعدى الأمر ذلك بأن تكون فيها مجالس وعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

تلك المزايا جذبت إليها الناس منذ عهد طويل، ويذكر ناصر خسرو في القرن الخامس الهجري، أنه في وقت الحج كان الناس، الذين لا يستطيعون الذهاب إلى مكة من سكان الشام وأطرافها، يقصدون بيت المقدس، ويضحون ضحية العيد كما هي العادة، وكان يجتمع بها في بعض السنوات الآلاف يحملون أبناءهم ويؤدون السنة[٥]. مما سبق يتضح أنه نظرا لارتباط المسلمين بمدينة بيت المقدس لعدة شعائر دينية أهمها رحلة الإسراء والمعراج وأنها القبلة الأولى نجد المسلمين يأتون أليها بالآلاف كما ذكر ذلك خسرو يضحون أضحية العيد فيها، فلابد لتلك الأعداد أن تحسن الحالة الاقتصادية للمدينة بصورة عامة وأسواقها بشكل خاص.

كما استورد أهل بيت المقدس لحوم الخراف من عمَّان، وكانت سوق خاصة بتلك السلعة تذبح بها الخراف، حتى يفي بحاجة أهل بيت المقدس والزوار من الحجاج، وخاصة

---

(١) البخاري، صحيح، ج ١، ص ٣٩٨؛ مسلم، صحيح، ج ٢، ص ١٠١٤

(٢) مقاتل، تفسير، ج ٢، ص ٢٤٦؛ الواقدي، فتوح الشام، ج ١، ص ١٢

(٣) الطبراني، المعجم الكبير، ج ٢٣، ص ٤١٦؛ ابن الجوزي، تاريخ بيت المقدس، ج ١، ص ٤؛ ابن تميم المقدسي، مثير الغرام، ص ١٩٦

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٥٤–١٥٥

(٥) خسرو، سفرنامه، ج ١، ص ٥٥

تلك الأعداد الكبيرة التي تحدث عنها خسرو تصل إلى الآلاف من الزائرين يأتون إلى المدينة في شهر ذي الحجة من كل عام[١].

إضافة إلى شهرة أسواقها بصناعة الحصر حتى بلغت كمية الحصر المصنوعة كما ذكر المقدسي إلى ثمانمائة ألف ذراع [٢]، تلك السلعة كان يحتاجها زائر المسجد الأقصى من أجل افتراشها للصلاة أو للتجارة، الأمر الذي أدى إلى ازدهار صناعتها[٣].

كما امتازت الأسواق التجارية في مدينة بيت المقدس بشموليتها على منتجات صناعية وزراعية مختلفة، كتجارة الفواكه والخضروات وبعض الصناعات التي تميزت بها بيت المقدس كما ذكر ذلك المقدسي الجبن والقطن وزبيب العينوني والدورى غاية والتفاح وقضم قريش الذي لا نظير له، والمرايا وقدور القناديل والأبر[٤]، والترياق والسبح[٥] والعسل[٦]، والفول النابت الذي يباع مع الزيتون و العدس و الترمس المملح وعصير الخروب المسمى ناطفا وكذلك وعصير القصب والزلابية التي تباع في الشتاء المصنوعة من العجين[٧]، ومقاطع الحجارة المنتشرة في المدينة والتي اعتبرها المقدسي من عجائب المدينة[٨] ونتيجة لكثرة خيراتها تلك فالأسعار بها رخيصة [٩].

ومن الأدلة على متانة وقوة أسواق مدينة القدس عدم تأثرها بالأحداث العابرة كما شاهد ذلك ابن العربي عندما ظهرت ثورة ضد والي القدس(أثناء حكم الأراتقة) ورموا بعضهم بالنشاب، ومع ذلك فالأسواق لم تتوقف، وذكر ذلك مستغربا" ولو كان بعضُ هذا في بلادنا

---

(١) المصدر نفسه، ص ٥٥؛ شوقي شعث، القدس الشريف، ،ص ٦٢

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦١– ١٦٤؛ خسرو، سفرنامه، ج ١، ص ٥٥ – ٥٨

(٣) أدم متز، الحضارة الإسلامية، المجلد الثاني، ص ٣٦٨

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٦٣

(٥) المصدر نفسه، ص ١٦٤

(٦) المصدر نفسه، ص ١٦٨

(٧) المصدر نفسه، ص ١٦٧

(٨) المصدر نفسه، ص ١٦٨

(٩) المصدر نفسه، ص ٥٥

لاضطرمت نارُ الحرب في البعيد والقريب، ولانقطعت المعايش وغُلِّقت الدكاكين وبطل التعامل لكثرة فضولنا وقلّة فضولهم"[١].

إضافة لذلك كانت الأسواق مكاناً لبث الأوامر السلطانية وحدوث أي طارئ للمدينة "ما نسميه في أيامنا الدعاية والإعلان" ومثال على ذلك عندما دخل اتسز مدينة بيت المقدس سنة ٤٦٣ هـ – ١٠٧١ م، أول عمل قام به الأمير التركماني بعد دخول المدينة أن بعث رجالا إلى أسواق البلد وأحيائها للنداء بمنح الأمان لجميع سكانها[٢].

مما سبق يتضح أن مدينة بيت المقدس قد عرفت ظاهرة التخصص لبيع سلع محددة، وكان لتلك الظاهرة فوائد إيجابية منها: التسهيل والتيسير على الناس في الوصول إلى أي سلعة يريدونها بكل يسر وسهولة دون الحاجة إلى عناء البحث عنها بين السلع المنتشرة في المدينة، الأمر الآخر التيسير على الدولة في مراقبة تلك الأسواق وبضائعها ومدى صلاحية منتجاتها من خلال وضع مسؤول من أفضل أبناء الحرفة أو الصنعة التي تباع في السوق وأهم مميزات ذلك الشخص أن يكون "خبيرا بصناعاتهم، بصيرا بغشوشهم وتدليساتهم، مشهورا بالثقة والأمانة، يكون مشرفا على أحوالهم، ويطالعه بأخبارهم، وما يجلب إلى سوقهم من السلع والبضائع، وما تستقر عليه الأسعار إلخ"[٣].

إضافة لتلك الفوائد التي ذكرناها حول فائدة التخصص في الأسواق، كان التاجر الطماع لا يستطيع أن يزيد في سعر السلعة خوفا من جيرانه المنافسين له في السلعة نفسها، وفي هذه الحالة تقل احتمالية حدوث عمليات الاحتكار التي تحدثت غالبا في الأسواق متعددة المنتجات، علاوة على ذلك يستطيع المشتري أن يختار أجود السلع التي يحتاجها في مدة زمنية قصيرة لوفرة المنتجات وتقارب المحلات التي تبيع نفس السلعة.

---

(١) أحكام القرآن، ج ٤، ص ٧

(٢) ابن القلانسي، تاريخ، ج ١، ص ٦٤؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج ١،ص ٨٤ ،٩٢ ، ١٠٧؛ الذهبي، العبر، ج ٣،ص ٢٥٤؛ ابن خلدون، تاريخ،ج ٣، ص ٥٨٥؛ مصطفى الحياري، القدس، ص ٣١

(٣) الشيرزي، نهاية الرتبة، ج ١، ص ١٠

٣- المكاييل والموازين في القدس

و فيما يتعلق بموازين ومكاييل فلسطين أهمها: المد[١] الذي تميزت به بيت المقدس حتى إن مدها يعادل قفيز صور، والقفيز[٢]، والويبة[٣]، والكيلجة[٤]، والمكوك[٥][٦].

إضافة لتلك الموازين فهناك أحد موازين بيت المقدس المتعلقة بوزن الزيت وهو الرطل[٧] حيث قال الشاعر عمرو بن أحمر الباهلي [٨]

لها رِطْلٌ تكيلُ الزيتَ فيه وفلاّحٌ يسوقُ بها حِمارا

٤- النقود والسكة في القدس

عندما ضرب بيت المقدس زلزال شديد عام (١٣٠هـ/٧٤٨م) ونتج عنه تصدع عدة جوانب من المسجد الأقصى ولا سيما الجهة الشرقية والغربية على حد سواء، طلب أهل بيت المقدس من الخليفة أبو جعفر المنصور بإصلاح المسجد الأقصى المبارك من الأضرار التي لحقت بالمسجد نتيجة ذلك الزلزال، فأمر الخليفة بضرب ما كان على أبواب المسجد من ذهب وفضة نقودا لينفقوها على إصلاحه وترميمه[٩].

---

(١) المدي يتسع ل ٤٥ رطلا ، وهذا المقدار يعادل ١٨,٣٦٠ كيلو جراما أو ٢٣,٢٤٠ لترا ، عبد الله المنيع، تحويل الموازين، ص٢٤

(٢) تقديره على المشهور ٧٨ كيلو جرام و٣٥٠ جرام، المرجع نفسه ، ص ٢١

(٣) مقدار الويبة ٨ .٦٩٠ كيلو جراما، المرجع نفسه، ص ٢٥

(٤) مقدار الكيلجة يعادل كيلو جرام و ٥٣٠ جراما، المرجع نفسه، ص ٢٣

(٥) المكوك يعادل ٤ كيلو و ٥٩٠ جرام ، المرجع نفسه، ص ٢٤

(٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٦٤.

(٧) الرطل المقدسي يعادل ٨٠٠ درهم، وأن الدرهم يساوي ٣,١٧ جراما، عبد الله بن سليمان المنيع، تحويل الموازين، ص ١٤، ١٧؛ وبناء عليه ٨٠٠ × ٣,١٧ = ٢٥٣٦ جرام أي ٢كيلو و٥٣٦جرام

(٨) الأزهري، تهذيب اللغة، ج ١٣، ص ٢١٧؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٢٨٥؛ الزبيدي، تاج العروس، ج ٢٩، ص ٧٨

(٩) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج ٣، ص٤٤٤- ٤٤٥؛ الذهبي، سير أعلام، ج ٢، ص ٤٦٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٨، ص٢٩- ٣٠

وبحلول عام ٢١٢هـ/٨٢٧م وما بعدها تعددت دور الضرب في المدن والأقاليم الإسلامية قاطبة، وذلك زمن الخليفة العباسي المأمون الذي يرجع له الفضل الكبير في كتابة اسم القدس على النقود لأول مرة بدلا من اسمها القديم (إيليا) واتخذوا من مدن عكا وطبرية والرملة وغزة إضافة للقدس مدنا لضرب النقود في فلسطين [١]

٥- المياه التي اعتمد عليها أهل المدينة في حياتهم اليومية:

فيما يتعلق بمصادر التي اعتمدت عليها مدينة بيت المقدس، فإنها إحدى المشاكل الأساسية التي شكلت تحديا كبيرا لسكانها، ولكن وجدت مصادر بديلة لتزويدها بالمياه لعل أكثرها أهمية مياه الأمطار التي تعتبر أهم الموارد الأساسية للمدينة المباركة حيث قال خسرو "بيت المقدس مدينة مشيدة على قمة الجبل ليس بها ماء غير الأمطار"[٢]، وقد أكد الحموي ما ذكره خسرو بقوله "ويشرب أهل المدينة من ماء المطر"[٣]

كذلك وجد أهل المدينة المباركة طرق أخرى مكنتهم من تعويض قلة المياه عن طريق تجمعيها في صهاريج وخزانات "ليس ببيت المقدس أمكن من الماء ... قل دار ليس بها صهريج أو أكثر" [٤] وبالمجمل فإن المدينة اتصفت بانعدام المياه الجارية بحيث لا توجد بها إلا العيون كما أشار بذلك ابن حوقل "وليس ببيت المقدس ماء جار سوى عيون" [٥].

فالعيون تعد المصدر الثاني للمياه، وأهم العيون على الإطلاق عين سلوان [٦]. ، التي حظيت باهتمام الرحالة والمؤرخين والجغرافيين العرب فقد وصفها الرحالة العرب، بأنها عين

---

(١)الموسوعة الفلسطينية، ج٢، ص١٤١

(٢) سفر نامة، ص ٥٦

(٣) معجم البلدان، ج ٥، ص ١٦٨؛ الحميري، الروض المعطار، ج ١، ص ٦٨

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم ج ١ ص ١٥٦؛ القزويني، آثار البلاد، ج ١، ص ٦٣

(٥) ابن حوقل، صورة، ص ١٧١

(٦) عين سلوان :تقع تلك العين في أراضي قرية سلوان، إلى جانب عين أم الدرج وعلى عدة أمتار منها، وتستخدم مياهها لري الحقول والبساتين المجاورة، مصطفى الدباغ، بلادنا، ج ٨، ق ٢، ص ١٥١-١٥٢؛ عارف العارف، المفصل، ٤٣٧-٤٣٨

عذبة، تسقي المزروعات[١]، ويتبرك بها الناس[٢] ويأتيها الناس للاستشفاء من الأمراض والآلام[٣] وقد شيدت فيها عمارات كثيرة[٤]

و قد قيل أن ماء زمزم أصله من عين سلوان[٥] بل تعدى الأمر بأن اعتبروها من الجنة كما ورد عند ابن الجوزي "من أتى بيت المقدس فليأت محراب داود، فليصل فيه وليسبح في عين سلوان فإنها من الجنة"[٦].يبدو تلك الألقاب والمسميات والهالة الدينية التي حظيت بها تلك العين يرجع لأهميتها في قلوب أهل القدس لاستفادتهم منها في الري والشرب، والأمر الآخر كثرة الخيرات التي تحيط بها لذلك عدُّوها من الجنة.

وفيما يتعلق بوديان المدينة فإنها تشرف على ثلاثة وديان صعبة المسالك من ثلاث جهات : فمن الشرق: وادي جهنم حيث يقال بأن الذي سماه بذلك عمر بن الخطاب – ﷺ– [٧] ووادي سلوان، وهو يمتد على طول جنوبي القدس حتى الطرف الجنوبي الشرقي[٨]والجنوب وادي هنوم أو الربابة، وهو يتصل شرقا بوادي قدرون، ثم يسير نحو الغرب، بمحاذاة جنوب المدينة، وقد شكل هذا الوادي الحدين الجنوبي والجنوبي الغربي للمدينة ومن الجهة الغربية وادي الروث أو وادي القمامات، وهو يمتد من ملتقى وادي الربابة جنوب المدينة، ثم يتجه شمالا فاصلا بين جبل صهيون من جهة الجنوب الغربي وتلال أوفل وجبل موريا من جهة الشمال الشرقي[٩]

وأما عن البرك فهي تعد من مصادر المياه المهمة التي تعتمد عليها مدينة بيت المقدس، حيث وجدت برك داخلية وأخرى خارجية، وأشار المؤرخون المسلمون إلى وجود

---

(١) الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٤١

(٢) القزويني، آثار البلاد، ج ١، ص ٦٤

(٣) خسرو، سفرنامه ج ١، ص ٥٧

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٧

(٥) الغزالي، سر العالمين، ج ١، ص ٩٩

(٦) ابن الجوزي، فضائل القدس، ج ١، ص ٧

(٧) الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٤٧٥؛ خسرو، سفرنامه، ج ١، ص ٥٧؛ ابن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، ج ٤، ص ٨٨

(٨) الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٨؛ العيني، عمدة القاري ج ٦ ص ٢٧

(٩) ياسين سويد، حروب القدس، ص ١٣

ثلاث برك فيها: بركة بني إسرائيل[١] وهي أكثر برك بيت المقدس شهرة تقع في شمالي المسجد الأقصى بجانب باب الأسباط ومنظرها جميل حتى اعتبرت من العجائب لكبر حجمها[٢]وبركة سليمان، وبركة عياض[٣]وقد أشير إلى أنه يوجد حمام إلى جانب كل بركه [٤].

وكانت تلك البرك الثلاث بمثابة خزانات مياه ضخمة يستفيد منها أهل بيت المقدس وقت الحاجة للمياه، وفيما يتعلق ببركة بني إسرائيل استمر وجودها حتى عهد العليمي، ويبدو أن البركتان الأخريان لم يبقى لهما وجود[٥] ربما يعود ذلك لإيجاد أهل مدينة بيت المقدس وسائل و طرق جديدة للاستفادة من مياه الأمطار بديلا عن تلك البرك لكن المصادر لم تذكر سبب إزالة تلك البرك والاستغناء عنها.

وبالإضافة إلى البرك هناك الآبار التي وجدت في المدينة أهمها بئر أيوب[٦] الذي تعود نسبته إلى سيدنا أيوب عليه السلام وهو بالقرب من عين سلوان إلى الأسفل منها[٧]

وقد أكد المقدسي كثرة الآبار المنتشرة في المدينة المقدسة، حتى أنه وجد في المسجد الأقصى وحده عشرين جبا (بئر)، فضلا على أنه لا تخلو حارة مقدسية أو قرية من قراها إلا وفيها بئر أو أكثر[٨]

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٥٦

(٢) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٥٩

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٥٦،١٦٠؛ الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٦٨؛ القزويني، آثار البلاد، ج ١، ص ٦٣؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج ١، ص ٤٥

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٥٦؛ الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٦٨

(٥) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٥٩

(٦) الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٤١.

(٧) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٥٨

(٨) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٥٦

الفصل الثالث: الأوضاع الاجتماعية في بيت المقدس

المحور الأول: التركيبة السكانية لبيت المقدس

أولا: العرب أهم الفرق الإسلامية بالمدينة المباركة

ثانيا: المسيحية في بيت المقدس

ثالثا: اليهود في بيت المقدس

المحور الثاني: العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس

المحور الثالث: علاقة أهل بيت المقدس بالولاة والحكام

المحور الرابع: أثر الأزمات والكوارث على سكان المدينة

المحور الخامس: الأعياد والمناسبات الإسلامية والمسيحية

المحور السادس: لباس أهل بيت المقدس

المحور السابع: مأكولات المقدسيين

المحور الثامن: عادات الدفن في المدينة وأهم مقابرها

الأوضاع الاجتماعية:

امتازت بيت المقدس بتعدد العناصر السكانية فيها، فبعد قضاء الرومان على اليهود سنة ١٣٥م، ومنعوهم من الرجوع إلى القدس، حل مكانهم أقوام مختلطة من يونان وسوريين (عرب) ورومان[١] وحينما فتح العرب المسلمين سنة ١٦هـ/٦٣٧م بيت المقدس، دخل معظم سكان المدينة من العرب في الدين الإسلامي الحنيف، متفوقين على غيرهم من الأجناس، إضافة لتدفق المسلمين إليها من شتى بقاعهم للإقامة فيها وممارسة شعائرهم الدينية، والتعرف على معالمها وتفقد شؤونها[٢]. وهناك بالإضافة للمسلمين طوائف أخرى مثلت الأقلية مثل النصرانية، واليهودية[٣]، والأنباط [٤]، والقبط[٥]

وفيما يلي تفاصيل تلك الأجناس والبداية مع غالبية السكان من المسلمين

المحور الأول: التركيبة السكانية لبيت المقدس

أولاً: الوجود العربي الإسلامي في المدينة المباركة

سكن العرب الكنعانيون فلسطين منذ قديم الزمان[٦]وقد ازداد الوجود العربي في فلسطين أثناء الاحتلال الروماني وخاصة تلك القرون الثلاثة الأخيرة التي سبقت التحرير الإسلامي لها، وكانوا يسموا بلاد الأنباط في جنوب فلسطين بلاد العرب الصخرية[٧].

---

(١) المسعودي، التنبيه والإشراف ج ١ ص ٤٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ٢٥٠؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ج ١، ص ١١-١٣،ص٣٤-٣٥؛ أبو الفداء، المختصر، ج ١، ص ٢١،ص٥٦

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٥٤خسرو، سفرنامه، ج ١، ص ٥٦، رفيق النتشة وآخرون، تاريخ فلسطين، ص٣١

(٣) خسرو، سفرنامه، ج ١، ص ٥٥

(٤) ابن سلام، الأموال، ج ١، ص ١٩٦، ٢٠٣؛ ابن زنجويه، الأموال، ج ٢، ص ١١، ٣٧؛ الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار، ج ١، ص ٦٩؛ المتقي الهندي، كنز العمال ج ٥ ص ٢٨٠

(٥) ديمتري رزق، قصة الأقباط في الأراضي المقدسة، ص٣١

(٦) المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ٢٢٧؛ ابن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، ج ٣، ص ٢٧، ٦٣؛ البغوي، تفسير، ج ٢، ص ٢٠؛ ابن خلدون، تاريخ، ج ٢، ص ٣٠

(٧) ابن الأثير، جامع الاصول، ج ١١، ص ٧٢٥؛ السيوطي، الديباج، ج ٥، ص ٥٤٠؛ جواد علي، المفصل، ج١، ص ١٦٦-١٦٧

وعندما جاء الفتح الإسلامي لم يشعر أهل بيت المقدس وفلسطين بأن العرب الفاتحين أغراب[١] فضلا عن عدم مقاتلة العرب المسلمين للسكان حتى يكسبوا ودهم إضافة لأنهم عرب مثلهم، واقتصر القتال مع الرومان فقط، تلك الموهبة السياسية التي تبناها الخليفة عمر بن الخطاب – ﷺ–، وقناعته بأنه في وسعه التعاون مع السكان ضد حكامهم الرومان[٢].

وأكثر الأسباب أهمية في قَبول أهل بيت المقدس للفاتحين العرب أن المذهب الأريوسي[٣] كان منتشر في كل أرجاء فلسطين، لذلك عندما اقترب المسلمين من سكان فلسطين وجدوهم مهيئين من الناحية الدينية للاعتراف بمبدأ التوحيد الذي يرى في إبراهيم وموسى وعيسى رسلا من عند الله وأنبياء قد سبقوا النبي محمد –ﷺ– [٤] ويرجع (فيليب حتى) أن من الأسباب التي جعلت أهل فلسطين يقفون ضد الرومان كونهم أجانب محتلين وغاصبين لأرضهم، فقد أذاقوهم صنوف التعذيب والاضطهاد[٥]

في حين تجد المسلمين العرب الذين اتبعوا سلوك متسامح مع أهل مدينة القدس، الأمر الذي جعل أهل المدينة يرحبون بهم، والفاتحين بدورهم منحوا السكان المحليين حرية العبادة، كما خففوا عنهم عبء الضرائب، ومن هنا وعلى عكس العصور السابقة، فقد ساد الوئام بين الطرفين ودخل الكثيرون منهم في الإسلام [٦].

الخلاصة يمكن القول بأن الفتح الإسلامي لم يكن بدءاً للوجود العربي في فلسطين، بل تأكيداً له، وهذا الوجود العربي في القدس وما حولها في فلسطين، وفي مشارف الشام جميعاً هو الذي يسر مهمة الفتح الإسلامي لهذه البلاد.

---

(١) إلياس شوفاني، الموجز، ص١٦٥

(٢) فيليب حتى، العرب تاريخ، ص ٦٢؛ عبد الحميد الكاتب، القدس، ص٥٤–٥٥

(٣) المذهب الأريوسي أحد الفرق النصرانية التي نسبت إلى مؤسسها أريوس بن اصطفانوس الرومي، وكان قسيسا بالإسكندرية آمن بالتوحيد، وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق ونبي مرسل كسائر الأنبياء عليهم السلام، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٢٥٣؛ ابن تيمية، الجواب الصحيح، ج ٤، ص ٨٤–٨٥

(٤) روجيه جارودي، فلسطين أرض، ص١٢٠–١٢١

(٥) فيليب حتى، العرب تاريخ، ص ٦٢

(٦) الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٤٤٩؛ إلياس شوفاني، الموجز، ص١٦٥

١ – استقرار العرب في بيت المقدس:

توالى وصول العرب إلى بيت المقدس واستقرارهم بها، إذ كانت الأمداد العربية تصل تباعا لتعزيز الوجود العربي الإسلامي بها هذا من جهة، ومن جهة أخرى شعور المسلمين بالأجر العظيم لمن يتوجه إلى المدينة المباركة، وبناء عليه أصبحت مدينة بيت المقدس محط أنظار المهاجرين العرب إليها حتى نزلها العرب جيلا بعد جيل، شملت تلك الهجرات الصحابة والتابعين وتابعي التابعين الذين استقروا فيها واتخذوها مقاما لهم ولذريتهم إضافة إلى الزيارة المستمرة التي لم تنقطع من الفتح العمري لمدينة بيت المقدس حتى الاحتلال الصليبي(١).

٢ – أهم القبائل العربية التي سكنت بيت المقدس:

لخم: قبيلة نزلت باليمن والشام(٢) و استقرت في معظم أرجاء فلسطين(٣)،وكان لبيت المقدس نصيب كبير من تلك القبيلة(٤) وأهم الشخصيات اللخمية التي سكنت بيت المقدس وقراها، سليمان بن أحمد بن أيوب الحافظ أبو القاسم الطبراني صاحب المصنفات الكثيرة كالمعجم الكبير والمعجم الأوسط والسنة والنوادر وغيرها من المصنفات (٥) وصهبان ابن عبد الجبار بن مالك اللخمي أبو طلاسة(٦) وغيرهم الكثير.

جذام: شكلت جذام مع لخم غالبية سكان فلسطين(٧) وغالبية سكان بيت جبرين احدى القرى التابعة لمدينة بيت المقدس من قبيلة جذام(٨) وأهم الشخصيات الجذامية في مدينة بيت المقدس أبو الحسين محمد بن كامل الجذامي النضري، من كبار المحدثين(٩).

---

(١) ضياء الدين المقدسي، فضائل بيت المقدس، ج١، ص٦٨؛ العليمي، الأنس الجليل، ج١، ص٢٨٤–٢٨٥؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ج ٥، ص ٩٩

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٤، ص ٢٠٦

(٣) اليعقوبي، البلدان، ج ١، ص ٣٩

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ٥٩

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ٥٩

(٦) ابن حبان، الثقات، ج ٤، ص ٣٨٣

(٧) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج ٤، ص ٣٦٩

(٨) اليعقوبي، البلدان، ج ١، ص ٣٩

(٩) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٥، ص١١٦–١١٧؛ السمعاني، التجبير، ج٢ ص٢١٣ – ٢١٦

بنو الدار: تعتبر قبيلة بنو الدار أحد بطون لخم وفيهم كثرة بمدينة بيت المقدس وضواحيها[١] وكان لتميم بن أوس الداري ذرية كثيرة في المدينة[٢] إضافة لذلك فإن تميم الداري وذريته حصلوا على احدى قرى بيت المقدس تدعى بيت عينون بموجب كتاب النبي-ﷺ- له ولعقبه من بعده[٣].

بنو كنانة: انتشرت قبائل بنو كنانة في جميع أرجاء فلسطين[٤]، و جزءا مهما من مقاتلين تلك القبيلة نزلوا مدينة بيت المقدس وسكنوها، فذكر منهم الصحابي المشهور واثلة بن الأسقع[٥].

الأنصار : لم يشكل الأنصار قوة عسكرية ذات شأن في فتوح بلاد الشام، ولذا كان وجودهم في مدنها قليلا، اقتصر على فئة من الصحابة أرسلوا إليها أيام خلافة عمر بن الخطاب - ﷺ- كبعثة تعليمية تفقه أهل الشام بدين الله، وثم اختيار ثلاثة مراكز لذلك الهدف دمشق وحمص ومدينة بيت المقدس[٦]، ومن تلك الشخصيات التي استقرت بمدينة بيت المقدس عبادة بن الصامت، وسلامة بن قيصر وفيروز الديلمي، وهؤلاء جميعا أعقبوا فيها[٧].

وأهم الشخصيات الأنصارية التي ارتبط اسمها بالمدينة المباركة شداد بن أوس بن ثابت الذي نصحه النبي -ﷺ- بالتوجه إلى مدينة بيت المقدس بعد أن ضاقت به الحال[٨]، وبشره بأنه سيكون له و ذريته شأن في تلك المدينة المباركة[٩] و كانت الرجفة التي وقعت في

---

(١) ابن القيسراني، المؤتلف والمختلف، ج ١، ص ٦٢

(٢) أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٢، ص ٨٢؛ ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ٢، ص ٢٣٢؛ السمعاني، الأنساب، ج ٢، ص ٤٤٣

(٣) ابن زنجويه، الأموال، ج ٢، ص ٣٥٩؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ١١، ص ٦٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٣، ص ١٢٨

(٤) اليعقوبي، البلدان، ج ١، ص ٣٩

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٤٠٧

(٦) خليل عثامنة، فلسطين، ص٦٧

(٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٤٠٢؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٢، ص ٧٩٤، ٨٠٨، ج٣،ص ١٤٠٥؛ ضياء الدين المقدسي، فضائل بيت المقدس، ج ١، ص ٩٢

(٨) ضياء الدين المقدسي، فضائل بيت المقدس، ج ١، ص ٦٨

(٩) النووي، تهذيب الاسماء، ج ١، ص ٢٣١

المدينة سنة ١٥٨هـ/٧٧٥م، لها تأثير مدمر على الأنصار حيث توفي الكثير منهم، فقد وقع منزل شداد أوس على من فيه ولم يبق منهم إلا ابنه محمد الذي قطعت رجله تحت الردم وأخته، وعندما جاء الخليفة العباسي المهدي في زيارة لمدينة بيت المقدس أتوه بمحمد بن شداد بن أوس وأبناء أخته وأعطى كل واحد منهم ألف دينار[١].

بنو كندة: استقروا بنو كندة في مناطق مختلفة من أرض فلسطين[٢]، وكندة هو ثور بن عفير بن عدي بن الحارث [٣] ومن أشهر أبناء تلك القبيلة ثور بن يزيد الكندي الذي توفي في مدينة بيت المقدس سنة ١٥٥هـ/٧٧٢م[٤]، والذي قيل عنه بأنه كان قدريا[٥].

ومن القبائل الأخرى التي سكنت بيت المقدس، **الأزد**[٦] ، و **بنو فتيان** أحد بطون أشجع منهم معقل بن سنان الأشجعي الفتياني، وعرفت جموعهم التي استقرت بمدينة بيت المقدس بالفتيانيين[٧]

و **الحضارمة** [٨] **والأوصاب** احدى بطون حمير[٩]، **وبنو عقيل** اشتهر منهم إبراهيم بن أبي علبة العقيلي المتوفي سنة ١٥٢هـ/٧٦٩م[١٠]، **وبنو شيبان** منهم الحافظ العالم الجوال المعروف بابن القيسراني محمد بن طاهر بن علي أحد أبناء بيت المقدس[١١].

---

(١) الذهبي، سير أعلام، ج ٢، ص ٤٦٣؛ تاريخ الإسلام، ج ٨، ص٢٩- ٣٠ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١، ص ٣١١

(٢) اليعقوبي، البلدان، ج ١، ص ٣٩

(٣) ابن الأثير، اللباب، ج ٢، ص ٣٠٧

(٤) ابن حبان، مشاهير، ج ١، ص ١٨١

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٤٦٧؛ ابن قتيبة، المعارف، ج ١، ص ٥٠٥

(٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٣، ص ١٩٨؛ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج ٥، ص ٥٧٢

(٧) الزبيدي، تاج العروس، ج ٣٩، ص ٢١٥

(٨) ابن حبان، الثقات، ج ٣، ص ١٦٨؛ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج ٣، ص ٦٢

(٩) ابن حبان، الثقات، ج ٥، ص ٥١٧

(١٠) ابن حنبل، مسند، ج ٢، ص ٢٥٣؛ ج ٤، ص ٢٥٣

(١١) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص١٢٤٢- ١٢٤٥

٣- الموالي:

الموالي، لها معانٍ كثيرة أكثرها شهرة بين الناس بأنها تعني العبد والمملوك الذي يمن عليه صاحبه بأن يفك رقبته فيعتقه، ويصير المملوك بذلك مولى لعاتقه، وله أن يختار غير سيده مولى له إن اشترط ذلك، إضافة لذلك إذا كانوا ضعفاء عقدوا تبعيتهم لمن هو أقوى منهم من الأفراد والقبائل(١).

وفي عهد بني أمية تميزت بكثرة مواليها، تلكم الموالي التي كانت محل إعجاب الخلفاء العباسيين، حيث ذكرهم الخليفة المهدي بالنبل والإخلاص لدولة بني أمية، وذلك عند توجهه إلى بيت المقدس محدثا كاتبه أبو عبيدة الأشعري(٢).

وعندما زار أبو جعفر المنصور بيت المقدس وجد بها الليث بن سعد، فأعجب الخليفة أبو جعفر المنصور من رجاحة عقله وسعة علمه، فقال الحمد لله الذي جعل من رعيتي مثلك، ثم طلب منه المنصور أن يلي حكم مصر، فتعلل بأنه ضعيف، فضلا عن أنه رجل من الموالي(٣)، ومن الموالي الذين سكنوا بيت المقدس أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن إسحاق مولى ثقيف سكن بيت المقدس وحدث بها وكان صدوقا وغيرهم الكثير(٤).

٤- القادمون إلى بيت المقدس من العباد والزهاد والعلماء وغيرهم:

تميزت فترة الدراسة بأنها شهدت قدوم أعداد كبيرة من المسلمين القادمين إلى بيت المقدس للعيش فيها والاستقرار بها، وقد تعددت أصنافهم وأهدافهم في التوجه إلى المدينة فمنهم العلماء والفقهاء والعباد المتصوفة وكبار الزهاد وأصحاب المنافع الأخرى ، فقد أجمل ذلك المقدسي بقوله "وفيها كل حاذق وطبيب وإليها قلب كل لبيب ولا تخلو كل يوم من

---

(١) ابن خلدون، مقدمة، ج ١، ص ١٣٦

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٢، ص ٢٤٦، ٢٤٧؛ ج٥٩، ٢٥١؛ النويري، نهاية الأرب، ج ١، ص ٣١٦؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج ١، ص ٦٠

(٣) الفسوي، المعرفة والتاريخ ج ١ ص ٩؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٥٠، ص ٣٦٦؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١١، ص ٣٠٨

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٤، ص ٩٢

غريب"[١] وأهم العوامل التي جذبت أنظار المسلمين إليها من سائر بقاع الأرض وجود أحد المساجد التي تشد الرحال إليها(لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إلى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ -ﷺ- وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى)[٢]

و لمن يقيم في بيت المقدس له من الأجر و الثواب ما يعادل المرابط في سبيل الله[٣]. وروي عن ذي الأصابع أنه قيل للنبي -ﷺ- أي البلاد تأمرنا بالبقاء فيها من بعدك فقال عليك بمدينة بيت المقدس عسى الله أن يرزقك ذرية تتعبد فيها[٤]. هذا دليل على أهمية وفضل من يقطن المدينة المباركة ويصلي بمسجدها. وهناك الكثير من الأحاديث لا للحصر التي شجعت الجموع الغفيرة من المسلمين ومن شتى المعمورة بالتوجه إلى المدينة المباركة.

وعندما توجه ناصر خسرو إلى مدينة بيت المقدس، ذكر أن أحد أهم أسباب توجه المسلمين لمدينة القدس هو الدافع الديني وخاصة سهل الساهرة الذي يُعْتَقد بأنه ساحة القيامة وأرض المحشر حيث قال "أنه سيكون ساحة القيامة والحشر ولهذا يحضر إليه خلق كثيرون من أطراف العالم ويقيمون به حتى يموتوا فإذا جاء وعد الله كانوا بأرض الميعاد يصلي بها الناس ويرفعون بالدعاء أيديهم فيقضي الله حاجاتهم اللهم تقبل حاجاتنا واغفر ذنوبنا وسيئاتنا وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين"[٥]. وفيما يتعلق بأسماء الوافدين إلى مدينة بيت المقدس فسيتم ذكر بعضهم في الفصل الرابع بإذنه تعالى.

٥- الأحوال الدينية والمذهبية والطائفية

وفيما يتعلق بالحالة الدينية لأهل فلسطين بما فيها بيت المقدس فقد ذكرهم محمد كرد علي على لسان المقدسي في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي أن مذاهبهم مستقيمة

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٥٤

(٢) البخاري، صحيح البخاري، ج ١، ص ٣٩٨؛ مسلم، صحيح مسلم، ج ٢، ص ١٠١٤

(٣) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٢٨

(٤) ضياء الدين المقدسي، فضائل بيت المقدس، ج ١، ص ٦٨

(٥) خسرو، سفرنامه، ج ١، ص ٣٠٨

أهل سنة وجماعة [١] ولكن هناك بعض المذاهب الإسلامية التي نشأت في المدينة وهي كالآتي:

أ- الكرامية:

نسبت الكرامية إلى محمد ابن كرام[٢] ولقب بشيخ الكرامية[٣] وهو من العباد الذين سكنوا بيت المقدس، قليل العلم[٤]، و الأدب وأكثر كتبه المصنفة من تأليف مأمون بن أحمد السلمي أحد تلاميذه [٥]

وقد نسب إليه جواز وضع الأحاديث على الرسول -ﷺ-[٦] يروي الأحاديث الواهية المكذوبة ، كما قال ابن حبان :"خذل حتى التقط من المذاهب أرداها ومن الأحاديث أوهاها"[٧] سكن نيسابور[٨] وفيها انتشرت بدعته فأمر طاهر بن عبد الله بن طاهر بحبسه[٩] ، ثم أطلق سراحه فتوجه إلى الشام ثم رجع إلى نيسابور فحبسه محمد بن طاهر بن عبد الله [١٠]وطال حبسه فمكث في سجن نيسابور ثماني سنوات[١١] ، وبعد خروجه من السجن عام توجه إلى بيت المقدس[١٢]، و كان يجلس للوعظ في المدينة[١٣]. فأصبح لمذهب ابن كرام

---

(١) خطط الشام، ج٦، ص ٢٥٢

(٢) أبو عبدالله السجستاني محمد بن كرام بفتح الكاف وتشديد الراء العابد يقال إنه من بني تراب ومنهم من يقول محمد بن كرام بكسر الكاف وتشديد الراء، توفي عام ٢٥٥هـ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٢٠؛ الذهبي، سير أعلام، ج ١١، ص ٤٢٣ - ٤٢٤

(٣) الذهبي، سير أعلام، ج ١١، ص ٤٢٣ - ٤٢٤

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٢٣ - ٤٢٤

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٢، ص٩٧ - ٩٨

(٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٢٠

(٧) الذهبي، سير أعلام، ج ١١، ص ٤٢٣ - ٤٢٤، ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٢، ص٩٧ - ٩٨

(٨) السمعاني، الأنساب ج ٥ ص ٤٣-٤٤؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج ٢، ص ٣٠٤

(٩) ابن منظور، لسان الميزان، ج ٥، ص٣٥٤- ٣٥٥

(١٠) ابن الأثير، اللباب، ج ٣، ص ٨٩

(١١) الذهبي، سير أعلام، ج ١١، ص ٤٢٣ - ٤٢٤

(١٢) ابن الأثير، اللباب، ج ٣، ص ٨٩

(١٣)السمعاني، الأنساب، ج ٥، ص ٤٣-٤٤،

كبيرة بين أبناء مدينة بيت المقدس حتى وصلت أعدادهم عشرين ألفا، إضافة لوجود رباط لأتباعه في المدينة[١].

سمع أهل بيت المقدس من محمد بن كرام أحاديث كثيرة، ثم جاءه أحد الأشخاص فسأله ثلاث مرات عن حقيقة الإيمان فلم يجبه، ثم قال الإيمان قول بلا عمل فلما سمع أهل بيت المقدس ذلك حرقوا الكتب التي كتبوها عنه[٢] ونفاه حاكمها إلى الأغوار فمات بها ونقل جثمانه إلى بيت المقدس[٣] وقيل أنه مات بأرض بيت المقدس[٤] ليلا فحمل بالغداة ولم يعلم بموته إلا أقرب الناس إليه[٥] ودفن بالقرب من باب أريحا سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م[٦]، و هذا الباب لم يبقى له أثر لطول مدة بنائه واستيلاء الصليبيين على المدينة[٧] وهنا يستوقفنا أمر مهم وهو أن أهل القدس إذا علموا أن العالم أو الفقيه الذي يلقنهم ويعلمهم مهما بلغت قوة حجته وسعة علومه، بأنه محرف وصاحب بدعه لفظوه على الفور ومزقوا العلوم التي أخذوها عنه، لأن أهل بيت المقدس متمسكون بكتاب الله وسنة نبيه محمد -ﷺ-.

وقد بلغت ضلالات وبدع معتنقي ومنظري الكرامية الآلاف وسيقتصر الباحث على ذكر البعض منها[٨].

أول تلك الضلالات قول الكرامية أن أمة الاسلام تشمل كل من أقر بشهادتي الاسلام لفظا، وقالوا كل من قال لا إله الا الله محمد رسول الله فهو مؤمن حقا وهو من أهل ملة الإسلام، سواء كان مخلصا فيه أو منافقا مضمر الكفر فيه، ولهذا زعموا أن المنافقين في

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٥٥، ص ١٣٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٢٠

(٢) ابن منظور، لسان الميزان، ج ٥، ص٣٥٤- ٣٥٥

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٢٠

(٤) السبكي، طبقات الشافعية، ج ٢، ص ٣٠٤

(٥) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٥٥، ص ١٣٠

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٢، ص٩٧ - ٩٨

(٧) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٦

(٨) عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٢٠٣

عهد رسول الله كانوا مؤمنين حقا، وكان ايمانهم كإيمان جبريل وميكائيل والانبياء والملائكة مع اعتقادهم النفاق وإظهار الشهادتين[١].

ومن البدع التي وقع بها (ابن كرام) أن الإيمان قولا بلا عمل لا حاجة للقلب والجوارح بالإيمان، وقال ابن كرام الإيمان قول باللسان وان اعتقد الكفر بقلبه فهو مؤمن[٢] وأعجب من هذا كله أن ابن كرام وصف الله سبحانه وتعالى بالثقل وذلك انه قال في كتاب عذاب القبر في تفسير قول الله عز و جل (إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ)[٣] انها انفطرت من ثقل الرحمن عليها[٤]، وأن النبي تجوز منه الكبائر سوى الكذب [٥].

ثم إن ابن كرام وضع في الفقه حماقات منها قوله: صلاة المسافر تكبيرتان من غير ركوع ولا سجود ولا تشهد ولا سلام، إضافة لذلك قوله بصحة الصلاة في ثوب كله نجس وعلى أرض نجسة، و قوله بأن غسل الميت والصلاة عليه سنتان غير مفروضتين، وإنما الواجب تكفينه ودفنه، كذلك قوله بصحة الصلاة المفروضة والصوم المفروض والحج المفروض دون نية [٦].

كان لعلماء مدينة بيت المقدس دور كبير في التصدي للكرامية وأتباعهم والنصح لأهل المدينة بترك بدعهم، ومن أهم تلك الأمثلة على دعوة علماء بيت المقدس لترك ضلالات الكرامية أنه كان في بيت المقدس رجل يقال له هجام يحبهم ويحسن الظن بهم فنهاه الفقيه أبو الفتح نصر بن إبراهيم، فلما كان بعد ذلك رأى هجام في المنام كأنه دخل رباطهم فرأى كأن حائطه كله نبات النرجس فاستحسنه فمد يده ليتناول منه شيئا فوجد أصوله في

---

(١) عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٩

(٢) ابن منظور، لسان الميزان، ج ٥، ص ٣٥٤؛ الذهبي، سير أعلام، ج ١١، ص ٤٢٣ – ٤٢٤

(٣) سورة، الانفطار آية ١

(٤) عبد القاهر، الفرق بين الفرق، ص ٢٠٦

(٥) الذهبي، سير أعلام، ج ١١، ص ٤٢٣ – ٤٢٤؛ السبكي، طبقات الشافعية ، ج ٢،ص ٣٠٤

(٦) عبد القاهر، الفرق بين الفرق، ص ٢١٢

العذرة[١] فقص رؤياه على الفقيه نصر فقال هذا تصديق ما قلت لك إن ظاهرهم حسن وباطنهم خبيث[٢]

ب- : القدرية:

القدرية أولئك الذين ينكرون القدر ويقولون إن الذي يجري في هذا الكون ليس بقدر وقضاء الله سبحانه وتعالى، وإنما يحدث بفعل العبد دون سابق تقدير من الله عز وجل[٣]، وبذلك أنكروا الركن السادس من أركان الإيمان، لأن أركان الإيمان ستة: الإيمانُ بالله، وملائكتِهِ، وكتبِه، ورسلِه، واليومِ الآخرِ، والإيمانِ بالقدرِ خيره وشره، كُلِّه من الله-سبحانه وتعالى-[٤].

وقد شبه النبي -ﷺ- القدرية بالمجوس فعن ابن عمر - ﷺ- عن النبي -ﷺ- قال "القدرية مجوس هذه الأمة فان مرضوا فلا تعودهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم"[٥]. والسبب في تسمية القدرية بالمجوس لأنهم يزعمون أن الإنسان يخلق فعل نفسه، ولم يكن ذلك بتقدير من الله سبحانه وتعالى، لذلك أثبتوا خالقين مع الله كالمجوس الذين يقولون: إن الكون له خالقان النور والظلمة النور خالق الخيرات والمنافع والظلام خالق الشرور[٦].

ومن أهم رؤوس القدرية في مدينة بيت المقدس أبو خالد ثور بن يزيد الكلاعي [٧] ولد في مدينة حمص[٨] وعندما علم أهلها بأنه قدريا أخرجوه وأحرقوا داره[٩]، فارتحل إلى مدينة بيت المقدس إلى أن مات بها سنة ١٥٥هـ/٧٧٢ [١٠]، في خلافة أبو جعفر المنصور وهو

---

(١) العذرة، هو الغائط الذي يلقيه الإنسان، ابن منظور، لسان العرب ج٤ ص٥٥٤

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٥٥، ص ١٣٠

(٣) صالح بن فوزان الفوزان، كتب المناهج والفرق، ج٢، ص٢٣

(٤) السبكي، طبقات الشافعية، ج ١، ص ١١٦

(٥) البيهقي، سنن البيهقي، ج ١٠، ص ٢٠٣

(٦) عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ج ١، ص ٢٦٩

(٧) العيني، عمدة القاري، ج ١١، ص ١٨٧؛ ابن حبان، الثقات، ج ٦، ص ١٢٩

(٨) ابن قتيبة، المعارف، ج ١، ص ٥٠٥

(٩) العيني، عمدة القاري، ج ١١، ص ١٨٧

(١٠) ابن قتيبة، المعارف، ج ١، ص ٥٠٥؛ ابن حبان، الثقات، ج ٦، ص ١٢٩

بضع وستين سنة[١]، وكان جد ثور شهد معركة صفين مع معاوية – ﷺ– وقتل يومئذ فكان ثور إذا ذكر عليا – ﷺ– قال لا أحب رجلا قتل جدي[٢] وكذلك رمي بالقدر مكحول أبو عبد الله الدمشقي مولى امرأة من هذيل[٣]، وقيل أنه كان قدريا ثم رجع عنه[٤]. إضافة لذلك فإنه لم يسلم من القدرية الزهاد العباد في بيت المقدس مثل أبو يعقوب المغربي حتى كان يقول الوجود واحد وهو الله ولا أرى الواحد[٥]. ومما سبق يتضح أن القدرية لم تجذب إليها المقدسيين كما هو الحال مع الكرامية التي بلغ مرتاديها الآلاف.

ت– : القرامطة:

ظهرت فرقة القرامطة على يد رجلا ظهر في الكوفة سنة ٢٧٨هـ، يتسم بالزهد دعي قرمط وقيل اسمه حمدان ولقبه قرمط و زعم أنه داعية لأهل البيت المنتظر[٦]، قبض عليه عامل الكوفة وحبسه فهرب من حبسه، واتخذ من مدينة بيت المقدس قبلة في صلاته وفريضة الحج، و الصلاة أربع ركعات قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها[٧]، ويوم الجمعة والاثنين والاثنين والخميس يوم استراحة لا عمل فيه، والصوم في السنة يومان، والخمر حلال، ولا غسل من الجنابة إلخ من المعتقدات الفاسدة[٨].

وفي سنة ٣١٦هـ/٩٢٩م، هجمت القوات القرمطية على مدينة بيت المقدس ودمرت كنيسة القيامة[٩]، ثم تلا ذلك هجوم أخر سنة ٣٦١هـ/٩٧٢م على المدينة المباركة، لتحرير قبلتهم كما يدعون، وذلك زمن المعز لدين الله الفاطمي، وكان وليا على المدينة أبو اليمن قزمان بن مينا القبطي، الذي استطاع أن يحمي أموال الحكومة المصرية بأمانة فائقة أثناء

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٤٦٧

(٢) ابن قتيبة، المعارف، ج ١، ص ٥٠٥؛ ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ٤٦٧

(٣) البخاري، التاريخ الكبير، ج٨، ص ٢١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٧، ص٤٨٠

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٧ ص٤٨٠

(٥) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ج ٢ ص ٢٤٢ – ٣٤٣

(٦) ابن خلدون، تاريخ، ج ٣، ص ٤١٩

(٧) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢٠، ص ٢٣٤

(٨) الطبري، تاريخ ، ج ٥، ص ٦٠٣

(٩) ظفر الإسلام خان، تاريخ فلسطين القديم، ص ١٦٢

هجوم القرامطة على المدينة، وفي عام ٣٦٣هـ/٩٧٤م استطاعت الدولة الفاطمية إخراج القرامطة من المدينة[١]. لم يذكر المؤرخين اعتناق أي من أهل بيت المقدس المذهب القرمطي على الرغم من ارتباطهم بها في الحج والصلاة، ولعل السبب يعود لقسوة القرامطة ومذهبهم الذي يُنَظِر للشيعة.

ثانيا : النصارى في بيت المقدس:

اعتنق الامبراطور قسطنطين المسيحية سنة ٣١١م[٢] ثم أصبحت المسيحية ديانة الامبراطورية البيزنطية عام ٣٨٥م[٣]. واستمرت على هذا الحال إلى أن جاء الخليفة عمر بن الخطاب للمدينة فأخذ النمو العربي يزداد منذ اللحظة التي دخل فيها المسلمون المدينة، وفي نفس الوقت احتفظ المسيحيون بكنائسهم وبحرية أداء شعائرهم الدينية، وذلك وفق الوثيقة العمرية التي فرقت بين صنفين من الناس، الروم وأهل البلاد، وكان على الأولين الخروج وكان لأهل البلاد البقاء، مع ضمان الحرية الدينية، وسلامة الأرواح والأموال والكنائس[٤].

وبشكل عام فقد حظي النصارى باحترام كبير من قبل المسلمين في العهود الإسلامية المتعاقبة من العهد الراشدي حتى الغزو الصليبي، عدا تلك المعاملة في زمن الحاكم بأمر الله، ولعل السبب الذي جعل الحاكم بأمر الله الفاطمي ينقلب على النصارى وينتقم منهم، يعود إلى أن الوزراء والكتاب الذين استخلصهم للحكم من النصارى، وإسرافهم بالاستئثار بسلطانهم واستغلالها لمصلحتهم، وجمع الموظفين النصارى أموالا طائلة، واقتنائهم كثيرا من العبيد والجواري من المسلمين، فبدت الاقلية النصرانية عزيزة الجانب، وتقلص نفوذ الأكثرية المسلمة في البلاد[٥] وتعاظمت مكيدتهم للمسلمين، إضافة للحروب المتكررة بين الروم والمسلمين، كذلك اعتداء الروم على بعض جوامع المسلمين، فانتقم الحاكم منهم[٦].

---

(١) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج ١، ص ١٢٣ ميخائيل مكسي، القدس، ص ٥٣

(٢) أبو فداء، المختصر، ج ١، ص ٤٠؛ ظفر لإسلام خان، تاريخ فلسطين القديم، ص١٢٩

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٤١؛ هنري كتن، القدس، ص٢٢؛ محمد علي، خطط، ج٦، ص٤-٦

(٤) الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٤٤٩

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٤٧٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٠٤

(٦) عارف العارف، المفصل، ص ١٣٣

والخلاصة أن الحكم الإسلامي دخل مدينة بيت المقدس مصحوبا بالتسامح والسلام و النظام، وظلت الحياة عادية في المدينة المقدسة طيلة الأربعة قرون الأولى، وذلك لخلو المدينة المقدسة من اليهود[١].

أهم الطوائف المسيحية في بيت المقدس وهي كالآتي:

١- الأنباط[٢] :

لقد عرف العرب فلسطين (سورية الجنوبية) قبل الفتح الإسلامي، فهي أقرب أرض إلى بلاد الحجاز، حيث أكدت النصوص المكتشفة في الأردن أن معظم سكان فلسطين أيام الرومان كانوا عرب، إضافة إلى موجات المهاجرين السابقة قبل ثلاثة آلاف عام من جزيرة العرب، إضافة إلى قيام مملكة الأنباط جنوبي فلسطين في القرن الرابع الميلادي[٣]

شارك الأنباط في قوات تيطس التي حاصرت المدينة المقدسة عام ٧٠ ق.م حيث بلغت قواته ثمانين ألفا، ومن ضمن تلك القوات فرقة كاملة من متطوعي الأنباط العرب، وعندما رفض أهل مدينة القدس العودة إلى الهدوء، نصب مخيمه في شمال المدينة على بعد ألف وثلاثمائة متر من السور، وبعد حصار دام خمسة عشر يوما استطاع تيطس أن يدخل المدينة ويدمرها[٤]. وكان ذلك النصر بمساعدة ومشاركة الأنباط العرب، إضافة لذلك أن الأنباط الذين شاركوا حصار المدينة كمتطوعين ولم يكونوا جنودا رسميين مع تيطس، ولعل السبب في ذلك وجود مصالح تجارية انقطعت مع المدينة خلال الثورة.

استغل الخليفة عمر بن الخطاب وجود الأنباط في فلسطين فجمع الكثير منهم عند دخوله مدينة بيت المقدس لتنظيف المسجد الأقصى المبارك، فضلا عن كَنْسِ مدينة القدس من الأوساخ[٥]، ويمكن القول أن الأنباط بعد فترة مجيء العرب المسلمين قليلة جدا وذلك

---

(١) ميخائيل مكسي، القدس، ص ٥٠-٥١

(٢) الأنباط هم فلاحو بيت المقدس وما حولها، السيوطي، الديباج، ج ٥، ص ٥٤٠

(٣) روجيه جارودي، فلسطين أرض، ١١٩-١٢٠

(٤) ابن الوردي، تاريخ، ج ١، ص ٣٢؛ عارف العارف، المفصل،ص٥٩- ٦٥

(٥) ابن سلام، الأموال، ج ١، ص ١٩٦؛ ابن زنجويه، الأموال، ج ٢، ص ٣٧؛ الحميري ، الروض المعطار، ج ١، ص ٦٩-٧٠

يرجع بالدرجة الأولى إلى أن الأنباط بعد ذهاب دولتهم قد اختلطوا بغيرهم من سكان البلاد وذابوا بهم، وثانيا وبسبب هذا الاندماج فقد أخذ الأنباط يذكرون تحت أسماء أخرى، وكان أكثر اندماج للأنباط مع قبيلة جذام تلك القبيلة المعروفة على امتدادها الجغرافي مطابقا لامتداد الأنباط، وبذلك انضمت الأنباط تحت راية جذام[١].

٢- الأقباط :

ارتبط الأقباط المصريين بالأرض المقدسة منذ القدم[٢] ومن عادة القبط الاحتفاء بالحجاج العائدين من الأراضي المقدسة بالمشاعل والمدائح والأغاني ويسمونهم بالنخليين والمُقَدِسين، وذلك لأنهم يرجعون حاملين أغصان النخيل، واستمر الحج القبطي إلى مدينة بيت المقدس منذ الفتح الإسلامي حتى القرن الحادي عشر ما عدا فترات النزاع والمجاعات[٣].

وعندما سيطر الفاطميون على مدينة بيت المقدس سنة ٩٧٢م حسنت معاملتهم للنصارى[٤]، ففي نفس العام الذي سيطروا فيه على القدس قامت القوات القرمطية بالهجوم على مدينة بيت المقدس، وكان على المدينة الوالي أبو اليمن قزمان بن مينا القبطي فحفظ أموال الحكومة المصرية بأمانة فائقة أثناء ذلك الهجوم القرمطي[٥] وكان أبو اليمن قزمان يسكن في دير السلطان من أملاك القبط[٦] ومن خلال الفقرة السابقة يتضح المكانة الرفيعة التي حصل عليها الأقباط لدى الفاطميين في مدينة بيت المقدس وذلك بتعين احد أبنائها حاكما للمدينة المباركة، الأمر الأخر وجود أديرة خاصة بهم في المدينة لهو دليل على كثرة أعداد القبط بالمدينة.

---

(١) صالح الحمارنة، الناس والأرض، ص٦

(٢) سعيد البطريق، التاريخ المجموع، ج١، ص١٣٠؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ج ١، ص ٣٩؛ ديمتري رزق، قصة الأقباط، ص ١٤

(٣) النويري، نهاية الأرب، ج ١، ص ١٨٠؛ ابن الوردي، تاريخ، ج ١، ص ٧٨؛ ؛ ديمتري رزق، قصة الأقباط، ص ١٧-١٨؛ أدم متز، الحضارة الإسلامية، المجلد الثاني، ص ٢٨٣-٢٨٤

(٤) ابن الوردي، تاريج، ج١، ص٣٠٢؛ ابن تغري بردي، مورد اللطافة، ج١، ص ٢٧٢

(٥) ميخائيل مكسي، القدس، ص ٥٣

(٦) عارف العارف، المفصل، ص ١٣٠-١٣١

وكذلك من الامتيازات التي حصل عليها الأقباط بعد وفاة أرتق بن أكسب وتولي ولديه سكمان وإيلغازي حكم القدس[١] تعين والي نصراني مصري الأصل يدعى منصور التلباني على القدس[٢].

ثالثا: اليهود في بيت المقدس :

لقد ثار اليهود ضد الرومان مرات عديدة، كانت أشد ثورة باركوخبا[٣] سنة ١٣٥م، زمن الامبراطور الروماني هدريان فأرسل لهم جيشا كبيرا لإنهاء تلك الثورة وقد حاول قائد الجيش إيقاف الثورة بطرق سلمية، ولكن أهل مدينة القدس رفضوا ذلك العرض، فحاصرهم ثم استطاع أن يدخل إلى المدينة، عن طريق أحد ثغراتها فدمرها، وقتل غالبية اليهود فيها، وبيعت البقية في أسواق العبودية وتبعثروا في المناطق البعيدة من الامبراطورية الرومانية، ثم أعاد هدريان بناء مدينة القدس وأطلق عليها اسم إيليا، وأصدر مرسوم يمنع تواجد أي يهودي فيها، ومن يخالف تلك الأوامر يعاقب حتى الموت [٤]. ولم يكتفِ هدريان بمنع اليهود من دخول مدينة القدس بل منعهم من مجرد النظر إليها من بعيد مما اضطر اليهود إلى النزوح للأمصار البعيدة كاليونان والأندلس وشمال إفريقيا وغيرها[٥]

وعندما حل الإسلام ضيفا عزيزا على مدينة بيت المقدس، حرص أهل المدينة على عدم منح اليهود فرصة للعيش بها، وذلك من خلال المعاهدة الي عقدت بين الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب – ﷺ– وسكان المدينة، وكان المطلب الرئيسي لأهل المدينة ألا يسمح لليهود بالإقامة معهم [٦] .

---

(١) أبو الفداء، المختصر ، ج ١، ص ٢٩٣

(٢) ديمتري رزق، قصة الأقباط، ص ١٩.

(٣) أحد زعماء اليهودي يسمى سمعان باركوخبا(أي ابن النجم) زعم أنه مسيح اليهود المنتظر الذي سيخلصهم من ظلم الرومان، فأقبل الكثير من اليهود على دعوته، ميخائل مكسي، القدس، ص٤١

(٤) هنري كتن، القدس، ص ٢١–٢٢؛ ميخائيل مكسي، القدس، ص ٤١–٤٢

(٥) محمد علي، خطط الشام، ج٦، ص٢١١

(٦) الطبري، تاريخ ، ج٢،ص ٤٤٩

أما عن تاريخ اليهود في القدس، فانه لم يجرؤ أحد منهم طوال أيام الخلفاء الراشدين وأوائل خلفاء الدولة الأموية، على الاستيطان بمدينة بيت المقدس[١]، إلى أن تولى عبد الملك بن مروان الخلافة فأعاد بناء المسجد الأقصى وبنى قبة الصخرة عام ٧٢هـ/٦٩١م، واستقدم اليهود ليقوموا بأعمال الكنس والنظافة نضير إعفائهم من الجزية، فلما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة (سنة ٩٩/ سنة٧١٧) و قد شعر بسوء نية اليهود تجاه القدس، وكانوا يومئذ مكلفين بإنارة المسجد الأقصى، فأمر بفصل اليهود من هذه الأعمال[٢] وتعين بدلا منهم الرقيق كما تسميهم المصادر الإسلامية بالخمس [٣].

ثم عادوا مرة أخرى للمدينة مقتصرين بأعداد قليلة لا تتجاوز أعدادهم العشرة يعملون في خدمة المسجد الأقصى[٤] حتى مجيء الفاطميون واستيلائهم على مصر وسوريا(سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م) وبذلك خضعت القدس للمعز لدين الله الفاطمي، الذي اشتهر بعطفه الشديد على الأقليات من أهل الكتاب وخاصة اليهود فازدهرت في أيامه الطائفة اليهودية[٥]

وفي ظل حكم الخليفة العزيز الفاطمي(٣٦٤- ٣٨٦هـ/٩٧٥- ٩٩٦) تسلم عيسى بن نسطورس من مسيحي الأقباط منصب الوزير الأول واستناب اليهودي منشا بن إبراهيم الفرار على الشام مما جعل المسيحيين واليهود حكاما للدولة [٦] ولذلك ذكر المقدسي ضمن العيوب التي حلت بمدينة بيت المقدس "غلب عليها اليهود" وكان يقصد بذلك سيطرتهم على مقاليد الحكم[٧]

ولكن تلك السيطرة كانت مؤقتة فمن إيجابيات ومحاسن كتاب " سفرنامه " أن صاحبه أكد على عدم وجود أي تجمع يهودي في مدينة بيت المقدس، وليس لهم ملكية لأي أرض

---

(١) المنهاجي، إتحاف الإخصا، ج٢، ص٢٤٥

(٢) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٨٠ – ٢٨١

(٣) ابن تميم المقدسي، مثير الغرام، ص١٧٧؛ المنهاجي، إتحاف الإخصا، ص ٢٤٦

(٤) المنهاجي، إتحاف الإخصا، ج٢، ص٢٤٥

(٥) حسن ظاظا، القدس مدينة، ص ٣١

(٦) ابن القلانسي، تاريخ، ج ١، ص ٢٠-٢١؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٤٤٨؛ أبو الفداء، المختصر، ج ١، ص ٢٣٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٠٤؛ الذهبي، سير أعلام، ج ١٥، ص ١٦٨

(٧) أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٥٦

فيها، فضلا عن عدم وجود أي مستوطنة يهودية في المدينة[١] وهذا يؤكد القول السابق بأن السيطرة اليهودية على المدينة لم تكن ديمغرافية سكانية وإنما كانت سيطرة سياسية مرتبطة برأس السلطة السياسية الحاكمة.

و كان لليهود في كثير من الأحيان دور في النهب والقتل وزعزعة الأمن، فأينما وجدت خلافات تجدهم في المقدمة، مثلما حدث مع محمد بن إسماعيل الصنهاجي والي القدس زمن كافور الإخشيدي، الذي اضطهد بطريق المدينة وفرض عليه ضرائب باهظة، وقد طلب والي المدينة من البطريرك مقابلته فرفض ذلك، فما كان منه إلا أن أحرق أبواب كنيسة القيامة، وأسقط قبتها، ثم استطرد ابن البطريق عن دور اليهود في تلك الفتنة بقوله:"وهدم اليهود وخربوا أكثر من المسلمين، وعندما وجدوا البطريرك الذي كان مختفيا في بئر من آبار الزيت في كنيسة القيامة قتلوه ثم واحرقوه"[٢].

المحور الثاني: العلاقة بين المسلمين وأهل الذمة في بيت المقدس:

وفيما يتعلق بالعلاقات الإسلامية المسيحية في مدينة بيت المقدس خلال الحقبة العباسية، ذكر أحد زوار المدينة في القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي يدعى برنارد الحكيم، بعد أن نال رضا البابا في روما[٣] وعند وصول برنارد إلى القدس وصف العلاقة التي سادت بين طوائف المدينة وما حولها من القرى بقوله:" إن المسلمين والمسيحيين فيها على تفاهم تام، والأمن فيها مستتب، حتى أن المسافر ليلا يجب أن يكون بيده وثيقة تثبت هويته، وإلا زج به في السجن حتى يحقق في أمره ويتضح قصده، وإذا سافرت من بلد إلى بلد ونفق جملي أو حماري وتركت أمتعتي مكانها وذهبت لاكتراء دابة من البلدة المجاورة وعدت، فوجدت كل شيء على حاله لم تمسه يد"[٤] ومن شهادة برنارد الحكيم يتبين مدى القدرة الأمنية الفائقة التي تمتع بها أهل مدينة بيت المقدس والعلاقة المتينة بين المسلمين و أهل الذمة،

---

(١) رشاد المدني، بيت المقدس، ص ١٠٦٩-١٠٧٠

(٢) ابن البطريق، التاريخ المجموع، ج٢، ص١٢٥

(٣) المنهاجي، إتحاف الإخصا، ج٢، ص١٨٢.

(٤) عارف العارف، المفصل، ص١٢٤

حتى تفاجأ برنارد بتلك التطور بأن يصطحب الغرباء بطاقات إثبات شخصية خوفا من اللصوص ومن على شاكلتهم.

ومن الأدلة على تآلف سكان مدينة بيت المقدس من المسلمين والمسيحيين ومواجهتهم للأحداث المصيرية على قلب رجل واحد، وذلك عندما اشتعلت ثورة أبو حرب المبرقع اليماني، أيد سكان بيت المقدس تلك الثورة التي بدأت أحداثها سنة ٢٢٧هـ/٨٣٢ م ، بمختلف دياناتهم و فئاتهم الاجتماعية ورحبوا بالحركة ومبادئها وقائدها خاصة بعد تخفيفه الضرائب، إلا أن هذا التأييد سرعان ما تراجع بعد أن دخل المبرقع مدينة القدس، وصدرت عن عماله ممارسات تسيء للسكان، كنهب المساجد والكنائس والأديرة، ما جعل سكانها يهربون منها، وفي نهاية المطاف أرسلت الدولة العباسية أحد قادتها وهو رجاء الحضاري الذي قضى على ثورته وأرسله مكبلا إلى بغداد [١]. فمن الملاحظ أن جميع سكان مدينة بيت المقدس يد واحدة في مواجهة الأحداث العصيبة والمصيرية، حيث التف المقدسيون حول المبرقع اليماني عندما كان يحذوهم الأمل من تلك الثورة ثم انسحبوا جميعا حينما عرفوا حقيقتها.

تلك الحالة الطبيعية التي كانت سائدة في مدينة بيت المقدس بصورة عامة وطيلة فترة الدراسة ما عدا بعض الأحداث المؤسفة التي كانت تحدث بين الفينة والأخرى، سواء من داخل المدينة أو من السلطة السياسية الحاكمة للمدينة.

أول تلك المشاكل الداخلية التي ظهرت في مدينة بيت المقدس تعود إلى الدولة الطولونية التي حكمت المدينة ٢٦٤هـ/٨٧٨م وذلك زمن مؤسسها أحمد بن طولون الذي اتبع سياسة دينية رشيدة مع أهل الذمة، وسمح بترميم الكنائس في القدس، مما انعكس إيجابًا على سكان المدينة بشكل عام، إلا أنه سرعان ما نشبت فتنة دينية في مدن القدس والرملة وعسقلان، عكرت صفو جو التسامح الذي أضفاه العهد الطولوني على المنطقة[٢].

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٦٦، ص ١٣٦-١٣٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص ٧٠؛ زيدان كفافي و آخرون، القدس، ص ١١٧

(٢) خليل عثامنة، فلسطين، ص ٢٥٤

كذلك من المشاغبات التي وقعت بين المسلمين وأهل الذمة تلك الفتنة التي بدأت أحداثها سنة ٣٢٥هـ/٩٣٧م حينما ثار سكان مدينة بيت المقدس من المسلمين يوم عيد الشعانين وأحرقوا أبواب كنيسة قسطنطين القبلية[١]، وكان الداعي لذلك اضطهاد المسلمين في بلاد الروم، فلم يجد ملوك الإسلام حلا لتخيف الشر الواقع على رعاياهم المسلمين إلا بالضغط على النصارى في ديارهم و التأثير على ملوك النصارى بضربهم في كنائسهم مهوى قلوب أبنائهم في بيت المقدس[٢]. من خلال الفقرة السابقة يتضح ان الأحداث الخارجية دور في حدوث مشاكل داخلية في المدينة، فعندما يتعرض المسلمين للتضييق من قبل البيزنطيين يردون عليهم بالمثل فيضيقون على النصارى في الأرض الإسلام.

ولكن إجمالا يمكن القول بأن النصارى حصلوا على حريتهم في العبادة وأقاموا أعيادهم فيها بشكل علني، حتى أن نواقيس النصارى كانت تسمع في المسجد الأقصى دون أن يتعرض لهم أحد[٣]

المحور الثالث: علاقة أهل بيت المقدس بالولاة والحكام :

هناك علاقة قوية بين حالة الهدوء في مدينة بيت المقدس وطبيعة الولاة الذي ينوبون عن السلطة الحاكمة، فقد اتصف الولاة بالقسوة في بعض الأحيان ففي زمن الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور ولي عبد الوهاب بن إبراهيم–ابن أخي الخليفة– على فلسطين الذي أساء السيرة، مما جعل سكانها يضجون بالشكوى لمركز الخلافة التي استجابت لهم وعزلته فترة ثم أعادته مرة ثانية[٤]، ويبدوا أن سياسة الوالي العباسي قد لاقت معارضة فلسطينية لم تقف عند حد الشكوى، بل ووفق إشارات المصادر تمرد سكان فلسطين ضد الوالي، وقد حاول الخليفة المنصور تخفيف نقمة سكان فلسطين على الدولة العباسية من خلال زيارته لمدينة بيت المقدس للمرة الأولى سنة ١٣٦هـ/٧٥٨م[٥] وزيارته للمرة الثانية سنة ١٥٤هـ/٧٧١م[٦]، هاتان

---

(١) ابن البطريق، التاريخ المجموع، ج٢، ص٨٧

(٢) محمد علي، خطط الشام، ج٦، ص ١٠

(٣) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ج ٦، ص ٩٢؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ١٧، ص ٢٧

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٣٧، ص ٣٠٢؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج ٥، ص ١٠٠

(٥) الطبري، تاريخ، ج٤،ص٣٩٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٢٧؛ أبو الفداء، المختصر، ج ١، ص١٤٩

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٢، ص٥٥؛ أبي جرداة، بغية الطلب، ج ٨، ص ٣٦٠٦.

الزيارتان حسب المصادر المسيحية توضح أن سكان بيت المقدس من أهل الذمة (النصارى واليهود) قد تعرضوا لإجراءات قاسية كان من ضمنها زيادة العبء الضريبي عليهم[١] ولكن الباحث يستبعد أن تكون تلك سياسة المنصور والمرجح أنها سياسة ولاته الذين بالغوا في جمع الضرائب[٢].

كذلك قيل عن المنصور أنه منع المسيحيين في سنة ١٣٩هـ/٧٥٦م من بناء كنائس جديدة سواء في القدس أو غيرها من البلاد، وأمرهم أن يظهروا الصليب، وفرض الجزية على الرهبان والكنائس، وعزل الموظفين النصارى عن ديوان الخراج، وفي سنة ١٥٦هـ/٧٧٢م فرض على المسيحيين واليهود أن تكون لهم علامة فارقة، تميزهم حتى يعرفوا من بين المسلمين[٣] ومن نافلة القول أنه لم يكن إجراء أبو جعفر المنصور جديدا و إنما سبق هذا عمر بن الخطاب في العهدة العمرية التي نصت على إيجاد علامات فارقة في اللباس بين المسلمين وأهل الذمة[٤].

وفي عهد الخليفة العباسي المهدي(١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٥-٧٨٥م) قام بعدة إصلاحات في المسجد الأقصى، واصطحب معه في هذه الزيارة مجموعة من أفراد الأسرة العباسية ورجال إدارتها، ويبدو أنه قد استمع إلى شكوى سكان فلسطين فأمر بعزل واليها إبراهيم بن صالح ثم أعاده بناء على تدخل من خاله يزيد بن منصور الذي كان مرافقا له في الزيارة[٥].

كما أن الشدة والقسوة لم تكونا الصفة السائدة بين ولاة القدس فقد ذكر (ابن البطريق) أنه عندما مر عبيد الله بن طاهر أبو العباس أحد قواد الخليفة العباسي المأمون في بيت المقدس، قام بعض المسلمين بالشكوى إليه بأن بطريرك القدس توما قد قام ببناء قبة كنيسة القيامة خلسة أعلى مما كانت عليه، لكن الوالي قبل إصداره الحكم على تصرف البطريرك، قابله أولا وسمع رده واقتنع به، والغريب أن رده هذا كان قد لقنه إياه رجل مسلم من أهل

---

(١) زيدان كفافي و آخرون، القدس، ص ١١٠

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٣٧، ص ٣٠٢؛ ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ٥، ص ١٠٠

(٣) محمد محاسنة، حقيقة القدس، ص١٦٢

(٤) الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٤٤٩؛ العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٥٥

(٥) الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٥٦٨

القدس[١] وهذا خير دليل على متانة العلاقة القوية والحسنة بين المسلمين والمسيحيين في تلك الحقبة

يمكن القول أن تلك الأحداث الفردية والتي كانت تتوقف سريعا لم تؤثر على المعاملة الحسنة التي حظي بها أهل المدينة فقد ذكر المقدسي، حيثما ذهبت تجد النصارى هم أصحاب الكلمة العليا، وهذا دليل على أن النصارى معززين غير مضطهدين، وهذا يناقض الأسباب التي تذرع بها الأوروبيون فيما بعد لأجل القيام بالحملة الصليبية على بيت المقدس[٢].

وأهم ما نال سكان بيت المقدس من الأذى، كان على عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي فإنه لم يبق في مملكته ديرا و لا كنيسة إلا هدمها، فقد أصدر أوامره إلى والي الرملة عام ٣٩٨هـ/١٠٠٧م بهدم كنيسة القيامة في القدس وإزالة معالمها والقضاء على أثارها وغيرها من الكنائس[٣]،وذلك عندما علم الحاكم طريقة احتيال رهبان كنيسة القيامة بإيهام الناس بأن هناك نار تشتعل من السماء في عيد الفصح [٤]، ولكن الحاكم تراجع عن قرارته تلك المتشددة ضد أهل الذمة وأعطاهم عهدا سمح لهم بحرية العبادة[٥].

وبذلك انفتح حينئذ باب عودة الكنائس إلى سابق عهدها ورد أوقافها عليها، ولما تسامح الحاكم بعمارة الكنائس وتجديدها عاد الذين أسلموا وقت الاضطهاد إلى دينهم بأمره وتسامحه [٦].

وقبل الختام تجدر الإشارة إلى المعاملة الحسنة التي لقيها المسيحيون من العرب إبان فترة حكمهم لمدينة بيت المقدس منذ عهد عمر بن الخطاب – ﷺ– حتى احتلال الصليبيين لها (٤٩٢هـ–١٠٩٩م) تؤكد عدالة العرب وتوفيقهم في حسم الخلافات بين المسيحيين حول

---

(١) ابن البطريق، التاريخ المجموع، ج٢، ص٥٥–٥٦

(٢) أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٥٦؛ عارف العارف، المفصل، ص ١٤٨

(٣) ابن القلانسي، تاريخ، ج ١، ص ٤٨٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ج ٢٧ ص ٢٣٩

(٤) المسعودي، مروج الذهب ج ١ ص ٢٤٧؛ ابن الجوزي، المنتظم ج ١٥ ص ٦١ ؛ النويري، نهاية الأرب، ج ١، ص ١٨٠؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٢، ص ٤٥٤

(٥) ابن البطريق، التاريخ المجموع، ج٢، ص٢٣٠–٢٣١

(٦)المصدر نفسه، ص٢٣١

الأماكن المقدسة وأن جميع المسيحيين بمختلف مذاهبهم احتفظوا بهياكلهم في كنيسة القيامة تحت حماية العرب[١].

المحور الرابع: أثر الأزمات والكوارث على سكان المدينة:

كانت القدس مسرحاً للعديد من الحوادث المأساوية، فقد عانت من الحروب الكثيرة خلال تاريخها الطويل، وتعرضت لأكثر من عشرين حصارا، وتبادلتها القوى السياسية أكثر من خمس وعشرين مرة، ودمرت المدينة سبع وعشرين مرة، وتعرض سكانها للذبح في مناسبات عدة[٢].

فضلا عن مرور مدينة بيت المقدس بأزمات كثيرة خلال فترة الدراسة، و خاصة في فترة تعاقب الدويلات على المدينة المباركة، وإجمالا فالحوادث تنوعت بين الطبيعية والسياسية والاقتصادية والتي سيتم ذكرها خلال الفقرات التالية.

أول الكوارث الطبيعية قبيل انتهاء الدولة الأموية وبداية الحكم العباسي تلك الزلزلة القوية التي كانت لها أثر مدمر على الحياة الاجتماعية في المدينة، فمات أكثر أهلها سنة ١٣٠هـ/٧٤٨م، وكان للأنصار المستقرين في المدينة نصيب الأسد من تلك الزلزلة حيث قتل أغلبهم، فمثلا وقع منزل شداد بن أوس أثناء الزلزلة ولم يبق أحياء من ذرية شداد سوى ابنه محمد الذي قطعت رجله تحت ردم المنزل وابنته خزرج، والذين أكرمهما الخليفة العباسي المهدي أثناء زيارته لمدينة بيت المقدس فيما بعد[٣]، وكانت نتيجة تلك الزلزلة الشديدة هروب سكان بيت المقدس إلى الصحاري والمناطق النائية مدة أربعين يوما[٤]

وتجدر الإشارة أن بيت المقدس تعرضت لهزة أرضية أخرى سنة ١٥٨هـ/ ٧٨٤م على إثرها سقط البناء الذي أقامه الخليفة أبو جعفر المنصور، وتلك الزلزلة كانت شديدة بحيث

---

(١) ميخائيل مكسي، القدس، ص ٥٥

(٢) هنري كتن، القدس، ص ١٠

(٣) ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ٣، ص٤٤٤– ٤٤٥؛ الذهبي، سير أعلام، ج ٢، ص ٤٦٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٨، ص٢٩– ٣٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١، ص ٣١١

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١، ص ٣١١

أثرت سلبا على جميع المباني داخل المدينة، وخاصة المسجد الأقصى لدرجة أن الناس امتنعت عن الصلاة فيه مدة طويلة[١].

ولما زار الخليفة المهدي مدينة المقدس وجد المسجد الأقصى خرابا فأمر بإعادة بنائه، وقال: "رث هذا المسجد وطال وخلا من الرجال انقصوا من طوله وزيدوا في عرضه فتم البناء في خلافته"[٢]. ويبدو أن ذلك الزلزال كان له أثارا مدمرة على المدينة بحيث لم يستطع أهلها من تأدية الصلاة في مسجدها.

وفي أيام هارون الرشيد تولى أمر فلسطين الوالي روح بن حاتم بن قبيصة سنة ١٧١هـ/ ٧٨٧م، وكان على مدينة بيت المقدس وال يعرف بعبد الرحمن بن عبد الملك [٣] وفي سنوات ولايتهما تعرضت المنطقة لأزمات اقتصادية حادة جراء انتشار الأمراض والأوبئة بين المجتمع الفلسطيني، وخاصة مرض الطاعون[٤].

نتيجة لتلك الأزمة رفضت ضياع فلسطين دفع الخراج والضرائب لعدم قدرتهم على دفعها، حتى أن أهلها هجروها فوجه الرشيد هرثمة بن أعين[٥] لعمارتها ودعا قوما من مزارعيها ودعاهم للرجوع إليها على أن يخفف عنهم من الخراج ومعاملتهم باللين، فرجعوا ولذلك أطلق عليهم اسم أصحاب التخافيف، وجاء قوم منهم بعد فردت عليهم أراضيهم على مثل ما كانوا عليه، فهم أصحاب الردود[٦].

---

(١) ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٢٦٢

(٢) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٨٣

(٣) عبد الرحمن بن عبد الملك بن أبجر الكناني، ذو الرياستين، وصف بحبه للخير محافظا على السنة، توفي سنة إحدى وثمانين ومائة في خلافة هارون، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٣٩٠

(٤) زيدان كفافي و آخرون، القدس، ص ١١٣

(٥) هرثمة بن أعين من خواص الرشيد حيث استخدمه الرشيد في إصلاح المشاكل التي يتعرض لها الولاة في دولته، والأزمات الصعبة التي لا يستطيع صاحب الولاية إصلاحها (ما نسميه في عصرنا رجل المهمات الصعبة)، اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٤١١؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ٣٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١١، ص ٢٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٩٢

(٦) البلاذري، فتوح البلدان، ج ١، ص ١٤٩-١٥٠

وحينما حدث في بيت المقدس جوع شديد وجراد كثير مات الناس من الجوع، وترك قسم كبير من سكانها المدينة سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م، فاستغل توما بطريرك بيت المقدس المعروف بتمريق تلك الظروف، مرسلاً مجموعة من الأشخاص ليأتوه بأخشاب الأرز والصنوبر فأتوا بخمسين جذع لترميم وإصلاح كنيسة القيامة[١]. تلك الأزمة الخانقة التي تعرضت لها بيت المقدس كانت لها نتائج كارثية على سكان المدينة فأرغموا على ترك المدينة إلى حين تعود لطبيعتها وتنكشف غمتها .

كذلك من الظواهر الغريبة التي حدثت بمدينة بيت المقدس سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م، تساقط النجوم على المدينة بشكل كبير (يقصد الشهب) وحول المسجد الأقصى تلك الظاهرة استمرت من المغرب حتى طلوع الشمس[٢].

وتجدر الإشارة إلى أن علاقة السلطة الفاطمية الحاكمة ونصارى بيت المقدس تدهورت بعد إصدار الحاكم الفاطمي أوامره بتدمير كنيسة القيامة عام ٣٩٨هـ/١٠٠٧م، وإزالة معالمها، وتسويتها بالأرض[٣] والتضيق على سكانها من النصارى بإلغاء أعيادهموتعليق صلبان خشبية في أعناقهم[٤] مما أدى إلى هجرة الكثير من المسيحيين إلى أراضي الدولة البيزنطية[٥].

كذلك وقع زلزال في الساعة الثالثة من صباح يوم الثلاثاء الحادي عشر من جمادي الأولى سنة ٤٦٢هـ/ الموافق الثامن من مارس ١٠٧٠م، قتل على إثرها معظم أهل الرملة، وعم ذلك مدينة بيت المقدس، وخسفت أيلة كلها[٦].

كذلك من الأزمات التي أثَّرت على مدينة بيت المقدس عندما استولى اتسز على مدينة بيت المقدس سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م وجميع المناطق المجاورة لها الخاضعة تحت سيطرة

---

(١) ابن البطريق: التاريخ المجموع، ج٢، ص٥٥

(٢) السلفي، الطيوريات، ج ١، ص ٦٦

(٣) ابن القلانسي، تاريخ، ج ١، ص ٤٨٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢٧، ص ٢٣٩

(٤) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٧١

(٥) مصطفى الحياري، القدس، ص١٧

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ص ١١٦

الفاطميين عدا مدينة عسقلان [١] وسرعان ما استعاد الفاطميين سيطرتهم على مدينة بيت المقدس مرة أخرى، وولى فيها نائبا من قبلهم سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٣م[٢]، ولكن (اتسز) عاد وشدد الحصار في السنة نفسها على المدينة[٣]، ومنع الغلات والمؤن من الوصول إليها، فاشتدت الضائقة الاقتصادية فيها، حتى بلغت غرارة القمح بسبعين دينارا [٤].

ثم حاول اتسز أن يوسع حدود دولته فتوجه إلى غزو مصر سنة٤٦٩هـ/١٠٧٦م ، ولكنه عاد من حملته تلك مهزومًا[٥] إلى مدينة بيت المقدس فوجد سكانها قد أغلقوا أبواب مدينتهم أمامه نظرا لسوء معاملته لهم[٦]، ففرض الحصار على المدينة، ومن تم هاجمها ودخل البلد عنوة، وقتل كثيرا من أهلها حتى قيل إنه قتل ما يقرب من ثلاثة آلاف نفس، وسمح في هذه المرة لجنوده ورجاله بنهب الأموال في المدينة، فأخدوا منها شيئا لا يبلغه الحصر بحيث بيعت الفضة التي نهبت من المدينة بدمشق كل خمسين درهما بدينار، مما كان يساوي ثلاثة عشر درهما بدينار[٧].

نظرا لسياسة اتسز في تعامله مع سكانها بتلك القسوة وقتل الالاف من أهلها، ما أدى إلى جلاء الكثير من سكانها عن المدينة و القرى المحيطة بها[٨]. وبذلك تكون مدينة بيت المقدس قد خسرت الآلاف من خيرة شبابها، لأنه في الغالب من يقوم بالثورات والانتفاضات هي فئة الشباب.

---

(١) ابن خلدون، تاريخ ج٣، ص٥٨٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص١٨٢؛ الذهبي، العبر، ج٣، ص٢٥٤

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٢٩٥؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج ١، ص ج١، ص٩٣، ٩٦؛ ابن الوردي، تاريخ، ج ١، ص ٣٦٥

(٣) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج ١، ص ٩٦

(٤)علي الغامدي، بلاد الشام، ص ١٢٩-١٣٠

(٥) ابن القلانسي، تاريخ، ج١، ص٦٦ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٧، ص٣٤٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٤١٢؛ أبو الفداء، المختصر، ج ١، ص ٢٨٠

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٣١، ص ٣٥ ؛ الذهبي، سير أعلام، ج١٨، ص ٣١٩؛ عبلة المهتدي، القدس تاريخ، ص١١١

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٤١٢؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج ١، ص ٩٦؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٣١، ص ٣٤؛ ابن خلدون، تاريخ، ج ٤، ص ٨٣؛ مصطفى الحياري، القدس، ص ٣٣-٣٥

(٨) علي الغامدي، بلاد الشام، ص ١٤٣

كذلك من الأزمات التي أثرت على كامل أرض فلسطين زمن السيطرة الفاطمية، تلك الحروب المستمرة بين السلطة الفاطمية وبنو الجراح، حيث وصف المقريزي تعطل مناحي الحياة في فلسطين بقوله "وخلت الديار لابن الجراح، فأتت طي عليها، فتعطلت الزروع من القرى"[١]

أما الهزة الأرضية الكبيرة التي وقعت في فلسطين يوم الثلاثاء ١٠ جمادى سنة ٤٦٠هـ/ ١٧أذار سنة ١٠٦٨م كانت نتيجتها هدم أكثر دور الرملة وسورها وقتل أكثر أهلها، وكذلك سقوط أسوار مدينة بيت المقدس وتأثر سكانها بتلك الزلزلة[٢] التي دفعت الخليفة الفاطمي بالموافقة على تغيير جذري في سكنى المقدسيين بالمدينة، حيث أمر الخليفة سكان القدس ترميم وإعادة بناء أجزاء من سورها، لكن النصارى لم يتوافر لديهم الأموال الكافية لإصلاح الجزء المطلوب منهم، فطلبوا من الخلافة الفاطمية السماح لهم بطلب المساعدة من بيزنطة، فوافق الخليفة الفاطمي على هذا الإجراء، ونتج عن ذلك اتفاق عقد بين الفاطميين والبيزنطيين، تقرر بموجبه أن يقوم الإمبراطور بتمويل الجزء من السور الذي طلب من نصارى القدس بناؤه مقابل أن يسمح الخليفة الفاطمي بجعل الحي الذي يحيطه السور مقصورا على السكان النصارى في القدس لا يخالطهم فيه أحد غيرهم[٣].

وبعد وفاة أرتق بن أكسب ٤٨٤هـ/١٠٩١ اقتسم ولداه سكمان وإيلغازي[٤] بيت المقدس وحكما المدينة دون مشكلات داخلية أو أزمات خارجية[٥] ، إلى أن جاء الأفضل بن بدر الجمالي وزير الفاطميين في حملة كبيرة متوجها إلى بيت المقدس، ففرض عليها الحصار بعد رفض الأرانقة التسليم له[٦] ونصب المنجنيقات وضرب المدينة بما توفر لديه من أسلحة

---

(١) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج ١، ص ٢٥٢

(٢) ابن القلانسي، تاريخ، ج ١، ص ٦٢؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ص ١٠٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣٠، ص ٢٩٦

(٣) مصطفى الحياري، القدس، ص ٢٥-٢٦

(٤) أبو الفداء، المختصر، ج ١، ص ٢٩٣

(٥) ابن القلانسي، تاريخ، ج ١، ص ٨١؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ١٧٩؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج ٣، ص ٢٢

(٦) ابن القلانسي، تاريخ، ج ١، ص ٨١؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج ٣، ص ٢٢.

وأدوات القتال مدة تزيد عن أربعين يوما عانت فيه المدينة المباركة الأمرين[١] تمثل في قلة الأقوات بالإضافة لرميها بالمنجنيق، تلك الأوضاع السيئة دفعت سكان المدينة بالتوجه إليه ووعدوه بتسليم القدس مقابل إعطاءهم أمان لسكانها، فقبل الأفضل مطالبهم وفتحوا المدينة إليه، وخرج الأخوين من بيت المقدس دون أن يتعرض لهم الأفضل بسوء[٢]. فلا شك أن هذا الحصار أنهك الشعب المقدسي وأضعف من عزيمته مما جعله لقمة سائغة أمام الحملة الصليبية التي احتلت المدينة سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م.

وكان أكثر المشاكل التي أثرت في التركيبة السكانية للمدن الفلسطينية اقتراب القوات الصليبية من فلسطين، فترك معظم سكان المدن غير المحصنة مناطقهم، واتجهوا للإقامة بالمدن المحاطة بالأسوار والقلاع، لعلها تحميهم وتسمح لهم بالدفاع عن أنفسهم و ممتلكاتهم، مثل سكان الرملة الذين غادروا مدينتهم مع زوجاتهم وأطفالهم وجميع أسرهم قبيل وصول الفرنجة الصليبيين بليلة واحدة، أي يوم الخميس الموافق الحادي عشر من رجب سنة ٤٩٢هـ/ الثاني من شهر يونيو عام ١٠٩٩م حتى باتت المدينة خالية من السكان، وقد امتلأت مدينة القدس بأعداد كبيرة من سكان المدن والأرياف المجاورة الذين تدفقوا إليها هربا من مجازر القوات الغازية، وبحثا عن السلامة لأنفسهم، وتقديم المساعدة و الدفاع عن المدينة المباركة[٣]

وأخيرا يمكن القول أن القرن القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي اختتم بحمامات الدم في مدينة بيت المقدس وذلك بقتل معظم سكانها من المسلمين، وهروب الباقين إلى المدن البعيدة لكي ينجوا بأرواحهم من المجازر البشعة التي قام بها الصليبيين[٤].

---

(١) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج ٣، ص ٢٢؛ محمد شراب، القدس، ص١٩٩

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ١٩؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣٤، ص ١٦؛ ابن خلدون، تاريخ، ج ٤، ص ٨٦؛ ج٥، ص٢٥؛ العليمي، الأنس الجليل ج ١ ص ٣٠٥

(٣) سعيد البيشاوي، القدس والتاريخ، ٤٦٨-٤٦٩

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٧، ص ٤٣؛ الذهبي، سير أعلام، ج ١٩، ص١٧٨- ١٧٩؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ٣، ص ١٥٤؛ ابن خلدون، تاريخ، ج ٤، ص ٨٦

المحور الخامس: الأعياد والمناسبات الإسلامية والمسيحية:

أ- الأعياد والمناسبات الإسلامية

على صعيد الاحتفالات الدينية الإسلامية التي تميزت بها مدينة بيت المقدس، فقد ذكر المقدسي الفخامة والأبهة اللتين رافقتا الاحتفال بختمة القرآن الكريم في المسجد الأقصى، وكذلك الاحتفال في ليلة النصف من شهر شعبان(١).

كذلك من المناسبات الإسلامية التي نشأت في مدينة بيت المقدس وانتشرت إلى معظم الأقاليم الإسلامية تلك الصلاة التي تسمى بصلاة الرغائب كما ذكر ذلك الطرطوشي، وكانت بدايات ظهورها سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م(٢) حيث قدم شخص على المدينة، تميز بحسن تلاوته، وجمال صوته، فقام ليصلي نافلة في المسجد الأقصى ليلة النصف من شعبان، فصلى خلفه رجل ثم تبعه ثاني وثالث ورابع حتى ختم صلاته بجماعة كبيرة، وفي العام التالي صلى معه خلق أكثر من العام السابق، وشاعت تلك الصلاة في المسجد الأقصى وبيوت الناس ومنازلهم حتى أصبحت كأنها سنة(٣).

وقد أكد الغزالي تلك الصلاة عندما زار مدينة بيت المقدس بقوله: "ولكني رأيت أهل القدس بأجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها"(٤).

وعن كيفية صلاة الرغائب(ليلة النصف من شعبان) فعدد ركعاتها مائة ركعة تقرأ بعد الفاتحة عشر مرات سورة الإخلاص(٥) وكانت تؤدى في جماعة وتمسك بها أهل بيت المقدس لدرجة أنهم اهتموا بها أكثر من الجمع والأعياد، و التزم بها السواد الأعظم من أهلها،

---

(١) أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٦٦

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ١، ص ٢٠٢؛ ابن الأثير، جامع الاصول، ج ٦، ص ١٥٤

(٣) الشاطبي، الاعتصام، ج ١، ص ١٦٨-١٦٩

(٤) إحياء علوم الدين، ج ١، ص ٢٠٣

(٥) الملا علي القاري، مرقاة المفاتيح، ج ٣، ص ٣٥٠

صاحب تلك المناسبة الاختلاط بين الرجال والنساء وانتهاك الحرمات حتى أن الفقهاء و العلماء كانوا يخشوا الخسف من تلك المعاصي[١].

تداول أهل بيت المقدس تلك الصلاة جيل بعد جيل حتى أوائل القرن الثامن الهجري، عندما تصدى لها العلماء والفقهاء فانتهت وتلاشت[٢].

كذلك من المناسبات البدعية التي وقعت في مدينة بيت المقدس اجتماع المسلمين من جميع الأقطار الإسلامية [٣] لأجل الوقوف حول قبة الصخرة في يوم عرفة[٤] و من يقترب منهم يجد لهم غوغاء وأصوات حتى تجدهم وكأنهم ليسوا في عبادة، وبعد مغيب الشمس يتفرق الناس، للتحضير لعيد الأضحى المبارك معتقدين بذلك أنها قربة إلى الله – سبحانه وتعالى–[٥] حيث يتجمع في المدينة ما يزيد عن عشرين ألف شخص من كل عام ثم يقوموا بذبح الأضحية على غرار ما يقوم به أهل الحجاز، مصطحبين معهم أبنائهم[٦]

ومن عادات زوار مدينة بيت المقدس من الأقاليم المجاورة اصطحاب أبنائهم ليختنوهم في المدينة وبالقرب من مساجدها[٧].

إضافة لإضاءة الشموع التي تميزت بها المدينة، حيث يوقد في المسجد الأقصى كل ليلة جمعة وفي الأعياد وليلة النصف من شعبان ألفا شمعة هذا غير القناديل المضاءة(٨)، والأخيرة من الليالي التي اشتهرت بها مدينة بيت المقدس حتى اعتبرت من عجائب الدنيا، وكذلك من المناسبات الأخرى ليلة المعراج في السابع والعشرين من شهر رجب، وليلة السابع والعشرين من رمضان[٩].

---

(١) المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج ٣، ص ٣٦٧

(٢) الملا علي القاري، مرقاة المفاتيح، ج ٣، ص ٣٥٠

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ٢٧، ص ١٥

(٤) القلقشندي، مآثر الإنافة، ج١، ص ١٢٩

(٥) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ٢٧، ص ١٥

(٦) خسرو، سفرنامه، ج ١، ص ٥٥

(٧)المصدر نفسه، ص ٥٥؛ عارف العارف، المفصل ، ص ١٤٠

(٨) الحميري، الروض المعطار، ج ١، ص ٥٥٦

(٩) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٣٣

ب- أعياد النصارى:

للنصارى أعياد كثيرة ومتعددة ارتبطت بمدينة بيت المقدس منها: سبت النور وهو قبل الفصح بيوم يقولون إن النور يظهر على مقبرة المسيح في هذا اليوم[١]، وفيه تبدأ التحضيرات لعيد الفصح ويأتي الزوار الذين يتميزوا بالأبهة واللباس الجميل ويتجمعوا في كنيسة القيامة من جميع الأقطار، علاوة على تنكر ملوك الروم وكبار البطارقة الذين يحملون معهم الأموال والثياب والأواني من الذهب والفضة[٢].

وبعد ذلك يأتي أهم الأعياد المسيحية وأكثرها ارتباطا وشهرة بمدينة بيت المقدس، وهو عيد الفصح الذي يصادف وقت النيروز أوائل فصل الربيع[٣]، ويدعى أيضا بعيد القيامة[٤] يزعمون فيه أن عيسى عليه السلام قام فيه بعد أن صلب بثلاثة أيام، وخلص آدم من الجحيم، وأقام في الأرض أربعين يوما، آخرها يوم الخميس، ثم صعد إلى السماء[٥] فجاء الرد الإلهي (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ)[٦].

وفي ذلك العيد يقوم المسيحين بتعليق القناديل الكثيرة في كنيسة القيامة، ويربطوا بين تلك القناديل عن طريق خيط من حديد، ثم يدهنوا الخيط بدهن سريع الاشتعال يخفونه عن أنظار الحاضرين، وبعد أداء الحاضرين طقوس الصلاة[٧]، ويحين وقت غروب الشمس[٨]، يقوم أحد الرهبان بإشعال النار في احدى الخيوط من مكان لا يراه أحد[٩]، فتنتقل النار بين القناديل بسرعة حتى تشتعل كلها[١٠]، فيخيل للحاضرين وكأن تلك النار نزلت من السماء[١١]،

---

(١)القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص ٤٥٦

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٥، ص ٦٠؛ ابن القلانسي، تاريخ، ج ١، ص ٤٥

(٣)المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٦٥

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ٢٤٧

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص ٤٥٤

(٦) سورة النساء، آية ١٥٧

(٧) ابن القلانسي، تاريخ، ج ١، ص ٤٨٣

(٨) النويري، نهاية الأرب، ج ١، ص ١٨٢

(٩) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢٧، ص ٢٣٨

(١٠) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص ٤٥٦

(١١) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٥، ص ٦١

فيصدقها العامة من الناس[١] ويتوهمون أن تلك المصابيح أضيئت من غير نار[٢] وكانت أعداد كبيرة من المسلمين تأتي كنيسة القيامة لتشاهد ذلك العيد[٣] تلك الخدعة التي كانت سببا في اتخاذ الحاكم بأمر الله الفاطمي قرارا بنهب كنيسة القيامة وإباحتها للعامة وتدميرها سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م[٤]، فسر المسلمون بهذا القرار[٥].

ومن أعياد النصارى (القلندس) في غرة شهر يناير من كل عام، ويصاحب هذا العيد في مدينة بيت المقدس والبلاد الشامية إشعال النيران، ويقام فيه الأفراح والمأكولات المختلفة، والتي يشارك فيها خواص الناس وعوامهم[٦].

ومن أعيادهم الشعانين أو الزيتونة[٧] ومعنى الشعانين التسبيح[٨]، ويزعمون النصارى أن عيسى عليه السلام دخل القدس فاستقبله الرجال والنساء والصبيان وبأيديهم ورق الزيتون[٩] وسعف النخيل[١٠] فاستمعوا للنبي عيسى عليه السلام حيث أمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر[١١].

وكان أحد الشعانين كما ذكر أدم متز يوم عيد كبير للعامة [١٢] اعتاد نصارى مدينة بيت المقدس في ذلك العيد أن يحملوا شجرة من شجر الزيتون من الكنيسة التي بالعازرية إلى كنيسة القيامة، وبينهما مسافة بعيدة، ويشقوا بها شوارع المدينة بالقراءة و الصلوات، حاملين

---

(١) النويري، نهاية الأرب، ج ١، ص ١٨٢

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٢، ص ٤٥٦

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ٢٤٧

(٤) ابن القلانسي، تاريخ، ج ١، ص ٤٨٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢٧، ص ٢٣٩

(٥) ابن القلانسي، تاريخ، ج ١، ص ٤٥

(٦) المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ٢٤٧

(٧) النويري، نهاية الأرب، ج ١، ص ١٨٠؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص ٤٥٤

(٨) أبو الفداء، المختصر، ج ١، ص ٥٨

(٩) ابن الوردي، تاريخ، ج ١، ص ٧٨

(١٠) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٢، ص ٤٥٤

(١١) المصدر نفسه، ص ٤٥٤

(١٢) الحضارة الإسلامية، المجلد الثاني، ص ٢٨٣-٢٨٤

الصليب، ويركب والي البلد في جميع مواكبه معهم[١]. وكانت مصر وسائر البلاد تفعل مثل بيت المقدس في تزيين كنائسها بأغصان الزيتون وقلوب النخيل، وتفرق على الناس تلك الأغصان على سبيل التبرك[٢]

ومن الأعياد النصرانية عيد الصليب وذلك عندما خرجت هيلاني(هيلانة) إلى الشام، وبنت الكنائس، توجهت إلى بيت المقدس فعمرته وزخرفته، وطلبت الخشبة التي صلب عليها عيسى عليه السلام كما يزعمون[٣] بعد أن دفنها اليهود وطرحوا عليها التراب والزبل حتى صارت مزبلة عظيمة، وطلبت من اليهود أن يدلوها على مكان الصليب فامتنعوا فحبستهم في بئر حتى أذعنوا ودلوها على خشبة الصليب، فحلتها بالذهب واقامت لذلك عيد الصليب[٤]،وهناك الكثير من المناسبات الأخرى التي اتخذها النصارى أعيادا ومناسبات سعيدة[٥].

يمكن القول أن النصارى أقاموا مناسباتهم وأعيادهم بشكل علني، دون أن يتعرض لهم أحد، فنواقيس النصارى كانت تسمع في المسجد الأقصى، وكان خليد بن سعيد كلما سمع صوت جرس النصارى، قام وجمع ثيابه، وأخذ يصلي شمال الصخرة المشرفة[٦]. وهذا خير دليل على الحرية الدينية التي حصل عليها النصارى أثناء الحكم الإسلامي للمدينة المباركة فكان صوت أجراس كنيسة القيامة تسمع من داخل المسجد الأقصى دون أن يضيق عليهم أحد.

---

(١) ابن البطريق، التاريخ المجموع، ج٢، ص ١٩٤؛ أدم متز، الحضارة الإسلامية، المجلد الثاني، ص ٢٨٤

(٢) ابن البطريق، التاريخ المجموع، ج٢، ص ١٩٤

(٣) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج ١، ص ٩٥؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص ٤٥٧

(٤) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ١٧٠

(٥) ابن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، ج ٤، ص ٤٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج ١، ص ١٨١؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص ٤٥٥

(٦) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ج ٦، ص ٩٢؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ١٧، ص ٢٧

المحور السادس: الأزياء والملابس:

وفيما يتعلق بملابس أهل فلسطين بصورة عامة فقد كان "لهم تجمل يلبسون الأردية[١] كل عالم وجاهل ولا يتخففون في الصيف"[٢]

ولكن لابد من التنويه أن الملابس تختلف حسب الديانة وطبيعة العمل والمستوى الاجتماعي، فالمسلمين لهم ملابس تختلف عن لباس أهل الذمة، ولا يجوز لأهل الذمة التشبه بالمسلمين كما نصت كتب الأمان التي منحت لأهل المدن الفلسطينية[٣].

وكذلك تختلف الأزياء حسب طبيعة العمل، فالقضاة لهم زي خاص، وللشرطة زي، وللكتاب زي، ولكتاب الجند زي أخر[٤]، حتى العمائم تختلف من فئة لأخرى فللخلفاء والفقهاء والأعراب واللصوص والنصارى كل تلك الفئات لهم عمة مختلفة الشكل[٥]

فالمحدث الفقيه عبد الله بن محيريز ابن جنادة نزيل بيت المقدس[٦] لبس عمامة قبطية وريطة[٧] قبطية وقميصا قبطيا، وكان أحب الثياب إليه تلك المصنوعة من القطن[٨].وفيما يتعلق بلباس الفلاحين في كل من بيت المقدس ومدينة نابلس كساء واحد بدون سراويل[٩] وكذلك لبسوا البرانس[١٠]، وقد استخدموا الكتم[١١] والحناء[١٢]

---

(١) الملاحف طويلة الحجم ؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١٤ ص٣١٦-٣١٧

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٦٦

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٢، ص ١٧٧- ١٧٩؛ ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ١، ص ٨٢؛ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ٢٨، ص ٦٥٢؛ العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٥٤- ٢٥٥

(٤) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١، ص ٤٤٣

(٥) المصدر نفسه، ص ٤٤٣

(٦) تاريخ مدينة دمشق، ج ٣٣، ص ٦؛ تاريخ الإسلام، ج ٦، ص ٤٠٧؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ١، ص ٢٠٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٩، ص ١٨٥

(٧) الريطة الملاءة المنسوجة من قطعة واحدة (تسمى في أيامنا العباءة)ابن منظور، لسان العرب، ج٧،ص٣٠٧

(٨) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ج ٥، ص ١٣٩

(٩) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٦٦ – ١٦٧

(١٠) البرنس كل ثوب رأسه منه ملتزق به، مصنوع من القطن، الزبيدي، تاج العروس، ج١٥، ص٤٤٨

(١١) الكتم نبات فيه حمرة وإذا خلط مع الحناء أصبحت سوداء، ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٥٠٨

(١٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٧، ص ٨٠، ابن منطور، مختصر تاريخ، ج ٤، ص ١٢٥

وأما العُبَّاد فهم غالبا لا يهتمون بثيابهم وعادة ما تكون ملابسهم بسيطة فإبراهيم بن أدهم الذي ارتبط كثيرا بمدينة بيت المقدس و له كرامات بها [١] كان لباسه في الصيف قطعتين بأربعة دراهم يتزر بواحدة ويرتدي الأخرى، أما في فصل الشتاء فكان يلبس فروا وليس تحته قميص، ولم يكن يلبس خفين ولا عمامة[٢]، كذلك ارتدى الزهاد وقت البرد الشديد جبة وكساء[٣] إضافة لذلك فإن لباس الفقراء والمتصوفين جلد ضأن مدبوغ غير مخيط، ويلبسون على رؤوسهم قلنسوة بيضاء[٤].

فضلا عما سبق فإن الزهاد و العباد فضلوا لبس اللون الأسود على سائر الألوان، لأنهم اعتبروه اشبه بلباس أهل المصيبة(الموت) فكانوا يرتدوا مدرعة سوداء وعمامة سوداء[٥]، وكذلك فإن المتصوفين الشباب قد ارتدوا قطعتين شملة[٦] يتزروا بها، وأخرى يتشحوا[٧] بها[٨].

وأما لباس الكرامية فكان رداء من الصوف وفوطة، مدلاة على رؤوسهم تحيط بقلنسوة طويلة، ثم لبسوا فيما بعد اللون الأزرق، إما لأنه لباس الحداد، وإما لأنه يلائم حال الفقراء الجوالين في البلاد، وربما كان الأول هو الصحيح لأن الفوطة أيضا كانت لباس الرأس عند الحزن [٩].

وكذلك فإن المقدسيين اهتموا باختيار أجمل الثياب فأبو مروان عبد الملك بن محمد الأموي المعروف بالسليماني من أهل بيت المقدس في القرن الرابع الهجري، كان لبيسا للثياب

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٦، ص ٣١٨؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ١، ص٣٤٩ ؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج ٢، ص ٣٣٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ١٣٩

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٦، ص ٣٠٩

(٣) الأزدي، طبقات الصوفية، ج١، ص١٥٩؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٤٠، ص ٣١

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٢، ص٩٧ – ٩٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١٩، ص ٣١١

(٥) ابن ابي الدنيا، الهم والحزن، ج ١، ص ٥٣؛ ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج ٤، ص ٢٤٧

(٦) اللباس الذي ليس تحته قميص ولا سراويل، ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٣٦٨

(٧) التوشح: أن يدخل الثوب من تحت يده اليمنى فيلقيه على منكبه الأيسر كما يفعل المحرم، ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٦٣٣

(٨) ابن الجوزي، فضائل القدس، ج ١، ص ١٥ ؛ صفة الصفوة، ج ٤، ص ٣٥١-٣٥٢، ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج ١، ص ٤٠

(٩) أدم متز، الحضارة الإسلامية، المجلد الثاني، ص٣٠- ٣٢

مفضلا لبس الخز[١] منها و كذلك يتخذ من الخز عمامة لرأسه[٢]وفيما بتعلق بلباس أهل بيت المقدس وقت الأحزان فكانوا يلبسون الطيالسة[٣][٤].

أما عن ألبسة النساء المقدسيات فلقد لبست المدرعة[٥]المصنوعة من الصوف[٦]، وبعضهن يلبسن مدرعة مصنوعة من الشعر[٧]، ولا شك أن هذا النوع من اللباس، كان مشتركا بين المرأة والرجل، فقد ذكر عباد بن عباد الخواص أنه رأى شيخا في بيت المقدس كأنه قد احترق بالنار لكثرة بكائه عليه مدرعة سوداء[٨].

وعن غطاء الرأس فكانت المقدسية تضع على رأسها خمارا مصنوع من الشعر[٩]،أو الصوف [١٠].

وكذلك ارتدت النساء المقدسيات الطاق[١١] وهو نوع من الثياب تتخذه المرأة خمارا تغطي به وجهها[١٢]، وذكر ابن الجوزي أن نساء بيت المقدس كن يلبسن أساور من حديد، فضلا عن ارتداء بعض النسوة جبة من صوف[١٣].

---

(١) نوع من المنسوجات مكون من صوف و حرير، ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، ج ٣، ص ١٢٨

(٢) الأزدي، تاريخ العلماء بالأندلس، ج ١، ص ٣١٨

(٣) الطلس هو الثوب الأسود، لسان العرب ج٦ ص١٢٥

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٦٦

(٥) نوع من الثياب ضيق الوسط له كمين، تهذيب اللغه، ج٢، ص١١٩، لسان العرب، ج٨، ص٨٢

(٦) أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج ٩، ص ٢٩٩؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٥٥، ص ٢٢٥؛ ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج ٢، ص ٩٦٢؛ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ٧، ص ١٢٥

(٧) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج ٤، ص ٢٥٢

(٨) ابن ابي الدنيا، الهم والحزن، ج ١، ص ٥٣

(٩) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج ٤، ص ٢٥٢

(١٠) أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج ٩، ص ٢٩٩؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٥٥، ص ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج ٤، ص ٢٥٢ ؛ابن العديم، بغية الطلب، ج ٢، ص ٩٦٢؛ ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ٧، ص ١٢٥

(١١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٦٦

(١٢) ابن منظور، لسان العرب، ج١٠. ص٢٣٤

(١٣) صفة الصفوة، ج ٤، ص ٢٥٢

أما عن لباس أهل الذمة في مدينة القدس، فإن أبو جعفر المنصور في سنة ١٣٩هـ/٧٥٦م أمر النصارى أن يظهروا الصليب في لباسهم، وفي سنة ١٥٦هـ/٧٧٢م فُرِض على المسيحيين واليهود أن تكون لهم علامة فارقة، تميزهم حتى يعرفوا من بين المسلمين[١] لم يكن إجراء أبو جعفر المنصور جديدا على النصارى فكما مر سابقا فإن تلك العلامات كانت ضمن الاتفاقيات التي عقدت مع عمر بن الخطاب – ﷺ– وأهل المدن الشامية والمصرية[٢].

وفي عهد الخليفة العباسي المتوكل كتب في شوال سنة ٢٣٥هـ/٨٥٠م إلى جميع البلدان في دولته[٣]، بأن يلبس النصارى وأهل الذمة كلهم دون استثناء ما يميزهم عن المسلمين فمن لبس منهم عمامة يجب أن يكون لونها عسلي، و على من تخرج من نسائهم لقضاء حوائجها عليها لبس إزار عسلي، وكذلك أن يلبس رجالهم ومماليكهم الزنانير[٤]، وإذا ركبوا الخيل لابد أن تكون سروجهم مصنوعة من الخشب، ولا يستعان بهم في الدواوين، ولا يتعلم أولادهم في كتاتيب المسلمين، ونهى أن يظهروا في عيد الشعانين الصلبان، وأن توضع على أبواب بيوتهم صور شياطين، لتميزهم عن منازل المسلمين، وأن يحملوا في أعناقهم عدة كرات خشبية[٥].

وأثقل أحكام اللباس على أهل الذمة تلك التي فرضت زمن الحاكم الفاطمي حيث أعاد قوانين اللباس القديمة في سنة ٤٠٣هـ، ولكن مع زيادة في شكلها وأحجامها والمبالغة في تحقيرهم، فألزم النصارى أن يعلقوا في أعناقهم صلبانا من الخشب يبلغ وزن الصليب خمسة أرطال، مما اضطر بعضهم الدخول في الإسلام[٦]، كذلك أمرهم يشدوا الزنار، وأن يلبسوا

---

(١) محاسنة، حقيقة القدس، ص١٦٢

(٢) البيهقي، سنن، ج ٩، ص ٢٠٢؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٢، ص ١٢٠–١٢١؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٢٦٣

(٣) ابن البطريق، التاريخ المجموع، ج٢، ص٦٣

(٤) الزنار: حزام غليظ من المعدن يعقده أهل الذمة من النصارى واليهود في أوساطهم، المنهاجي، إتحاف الإخصا، ج١، ص ٢٣٥

(٥) الطبري، تاريخ، ج ٥، ص ٣٠٤؛ ابن البطريق، التاريخ المجموع، ج٢، ص٦٣ ؛ابن الجوزي، المنتظم، ج ١١، ص ٢٢٢–٢٢٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص ١٠٦؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٢، ص ٢٠٣

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢٨، ص ١٧

العمائم السود، وألغى أعيادهم[١]، وأن يضعوا في أعناقهم أجراساً عند دخولهم الحمامات ليتميزوا بها عن المسلمين[٢].

وبعد وفاته تولى ابنه الخليفة الظاهر الذي أعاد كل شيء إلى ما كان عليه قبل الحاكم، فعاد النصارى إلى ما كانوا عليه من التظاهر بأعيادهم، فضلا عن تخفيفهم الغيار الذي كان عليهم ولم يبق إلا أن يلبسوا زنارا أو عمامة سوداء وهي التي يلبسها المسيحيون إلى إيامنا هذه[٣]، ومما سبق يتضح أن لباس النصارى كان يتغير حسب رأس السلطة السياسية التي تسيطر مقاليد الحكم.

المحور السابع: مأكولات المقدسيين:

من المسليات التي تداولها سكان فلسطين الترمس وهو على قدر الظفر يابس، ينقع بالماء ويباع مملحا ويكثر أهل فلسطين من أكله[٤] والنبق (التمور) [٥] فيه نواة كبيرة حلو المذاق يخلط مع قصب السكر ويترك حتى يجف ثم يأكل[٦].

وأما الخبز فطريقة تحضيره في كل من بيت المقدس ونابلس، ما ذكره المقدسي عن وجود عدد كبير من الأفران فيهما، وأضاف أن أهل المدينتين يشيدون تنوراً صغيراً في الأرض، وبعد ذلك يفرش بالحصى، فيوقد الزبل حوله وفوقه، فإذا احمر طرحت الأرغفة على تلك الحصى الموجودة في داخل الفرن[٧].

كذلك من الأكلات نبات يشبه البطاطس يسمى القلقاس[٨]، وهو عبارة عن جذر مدور كبير الحجم، ويصفه المقدسي بأنه شيء على قدر الفجل المدور عليه قشر وفيه حدة، يقلى

---

(١) عارف العارف، المفصل، ص ١٣٢

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٥، ص ٦١

(٣) آدم متز، الحضارة الإسلامية، ج١، ص ١١٧

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٨٦

(٥) النبق هو السدر الذي يَخرج ثمره من الجذع طعمه حلوٌ يخلط بالسكر، ويشبه شجر العناب، إلا أن ثمر العُنَّاب أَحْمَرُ، وثمر السدر أصفر، الأزهري، تهذيب اللغة، ج ٩، ص ١٦٢،ج١٢، ص٢٤٧

(٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٨٦

(٧) المصدر نفسه، ص ١٦٧

(٨) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨٦

بالزيت ويطرح في السكباج، وطريقة تحضيره يقشر ويطبخ ويرمى الماء الذي يطبخ فيه، وبعد ذلك يقلى بالزيت وهو على نوعين رؤوس و أصابع والأصابع أحسنه وأطيبه وأغلى من الرؤوس، وهو من مأكولات فصل الشتاء وألذ ما يؤكل فيه، ويزداد طعما إذا أكل بلحم الضأن[١].

ومن المأكولات المشهورة التي كان يستمتع بأكلها ضمرة بن ربيعة الموز مع العسل حيث قال "ما رأيت لذة العيش إلاّ في خصلتين، أكل الموز بالعسل في ظلّ صخرة بيت المقدس، وحديث ابن أبي عبلة، فلم أرَ أفصح منه"[٢].

ومن المأكولات الغذائية البسيطة سريعة التحضير وتميزت بانتشارها في مدينة بيت المقدس ونابلس، كطبخ العدس والبيسار(البيسارة الملوخية وفول)[٣]وكذلك الفول المنبوت (النابت) الذي ينتشر باعته في المدينة، وكانت طريقة تحضيره بسلقه و قليه بالزيت ثم يباع معه الزيتون[٤]إضافة إلى تلك المنتجات المذكورة فقد تميزت المدينة بصناعة الجبن [٥].

المحور الثامن: عادات الدفن في المدينة وأهم مقابرها:

إن من سمات المدن المقدسة أنها مثوى الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والصحابة الكرام، والقادة الفاتحين والتابعين والأولياء والعباد والزهاد، وبيت المقدس مدينة عزيزة على المسلمين، لذلك ليس من المستغرب أن يوصي الملوك والسلاطين وأمراء الأمة الإسلامية بأن يدفنوا بعد وفاتهم في أرض بيت المقدس المباركة.

والبداية مع عادات أهل بيت المقدس في تشييع الجنائز حيث يمشون خلف الجنازة، والوقوف عند قبر الميت لتسليته، فضلا عن ختمهم القرآن الكريم عند قبره لمدة ثلاثة أيام[٦]،

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٨٦؛ أدم متز، الحضارة الإسلامية، المجلد الثاني، ص ٣٠٣-٣٠٤

(٢) ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ١، ص ٤٦٧

(٣) البيسار لم اجد له معنى في المعاجم سوى ما ذكر أنه يوضع على وجه الخبز، الشيرزي، نهاية الرتبة، ج ١، ص ٢٢

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٦٧

(٥) المصدر نفسه، ص ١٦٣

(٦) المصدر نفسه، ص ١٦٦

مرتدين لباس يسمى الطيالسة [١] والطلس هو الثوب المائل إلى السواد [٢]وفيما يتعلق بشكل قبورهم فهي مسنمة[٣] تشبيها بسنام الجمل لعلوها[٤].

هناك الكثير من الأحاديث التي وردت في فضل من مات ودفن في مدينة بيت المقدس وأهم تلك الأحاديث ما رواه أبو هريرة عن النبي -ﷺ- قال "من مات في بيت المقدس فكأنما مات في السماء"[٥]، "ومن مات حولك فكأنما مات فيك"[٦]. وكذلك ورد عن وهب ابن منبه أنه قال: "أهل بيت المقدس جيران الله، وحق على الله أن لا يعذب جيرانه، ومن دفن في بيت المقدس نجا من فتنة القبر وضيقه"[٧]. وغيرها من الأحاديث التي ذكرت أجر من يدفن في أرض بيت المقدس.

لذلك نجد الكثير من الصحابة الذين أعقبوا بها ودفنوا في أرضها، منهم عبادة ابن الصامت[٨]، وشداد ابن أوس[٩]، وأبو ريحانة واسمه شمعون[١٠][١١]. كذلك فإن كثير من الصحابة فضل أن يدفن في تربة القدس اقتداء بالأنبياء فقد ذكر كعب الأحبار أنه يوجد في بيت المقدس ألف قبر من قبور الأنبياء[١٢]

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٦٦

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص١٢٥؛ إبراهيم مصطفى وأخرون، المعجم الوسيط ج٢ ص٥٦١

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٦٦

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٣٠٧

(٥) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ج ٦، ص ٣؛ ابن الجوزي، فضائل القدس، ج ١، ص ١٤ ؛ السيوطي، الدر المنثور، ج ٥، ص ٢٣٦؛ العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٣٤.

(٦) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ج ٦، ص ٣؛ ابن الجوزي، فضائل القدس، ج ١، ص ١٤

(٧) ابن الجوزي، فضائل القدس، ج ١، ص ١٤

(٨) صحابي جليل استقر في القدس ودفن فيها سنة ٣٤هـ/٦٥٤م، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ج ٢٦ ص ٢٠٥؛ الذهبي، العبر، ج ١، ص ٦٢

(٩) توفي شداد بن أوس في بيت المقدس ودفن بها سنة ٥٨ هـ٦٧٧م ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج ١، ص ٤٦؛ العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٦٣

(١٠) ينتسب أبو ريحانة لبني قريظة سكن أبو ريحانة بيت المقدس وكان من وعاظ المسجد الأقصى، العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٦٥

(١١) ابن الجوزي، فضائل القدس، ج ١، ص ١٤

(١٢)ابن تميم المقدسي، مثير الغرام، ص١٩٠

أوصى الكثير من المسلمين بأن يدفنوا في تربة بيت المقدس منهم أبي مسلم الخراساني الذي توفي في مدينة أريحا سنة ١٣٥هـ/٧٥٢م، ونقل جثمانه إلى بيت المقدس[١]، وكذلك عندما توفي أبو عبد الرحمن النسائي وهو من أئمة الحديث بالرملة، ١٣/صفر/ ٣٠٣هـ/٩١٥م، نقل جثمانه إلى بيت المقدس[٢]

لم تقتصر التوصية بنقل الجثمان إلى المدينة على الناس العاديين بل وصل الأمر بالحكام المسلمين بأن يدفنوا فيها، تمثلت في الأسرة الإخشيدية وهم محمد بن طغج الإخشيد الذي توفي في ذي الحجة سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م ونقلت جثة من دمشق إلى مدينة بيت المقدس[٣]، والحسن بن طغج الإخشيدي الذي نقل من الرملة إلى بيت المقدس يوم الأحد ٨/ربيع الآخر/سنة ٣٤٢هـ/٩٥٣م[٤] كذلك نقل كافور الإخشيدي بعد وفاته سنة ٣٥٦هـ/٩٦٧م من مصر إلى بيت المقدس[٥]

وأما ما يتعلق بأهم المقابر الإسلامية في المدينة فهي كالآتي:

مقبرة ماملا: تقع في الجهة الغربية لمدينة بيت المقدس، وفيها خلق من الأعيان والعلماء والصالحين والشهداء لها الكثير من الأسماء منها مما من الله، وقيل باب الله[٦] ومومرة[٧]، ومأمن الله[٨]، ويقال زيبون الملة[٩] فقيل "من دفن في بيت المقدس في زيتون الملة

(١) السمعاني، الأنساب، ج ٢، ص ٣٣٧؛ النووي، تهذيب الاسماء، ج ١، ص ٣٠٧
(٢) المزي، تهذيب الكمال، ج ١، ص ١٠
(٣) اليافعي، مرآة الجنان، ج ٢، ص ٣١٤ – ٣١٥؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٥٩؛ الذهبي، العبر، ج ٢، ص ٢٤٥ – ٢٤٦
(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ١٣، ص ١١٨
(٥) المصدر نفسه، ج ٥٠، ص ٦
(٦) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٦٤
(٧) الأزدي، تاريخ العلماء، ج ١، ص ٢٩
(٨) مصطفى اللقيمي، تهذيب موانح، ص ١٨٣
(٩) ابن الجوزي، تاريخ بيت المقدس، ج ١، ص ٦

فكأنما دفن في سماء الدنيا"[١] وهي أكبر المقابر الإسلامية فيها، فقد بلغت مساحتها أكثر من مئتي ألف متر مربع، و هي أقدم مقابر القدس عهدا، وأوسعها حجما، و أكثرها شهرة(٢).

و من الشخصيات التي دفنت في مقبرة مومرة (ماملا) رابعة ابنة اسماعيل العدوية البصرية، التي توفيت عام ١٨٥هـ/٨٠١م وهي من العباد الزهاد المعروفين بمدينة بين المقدس[٣] وإبراهيم بن حارث بن عبد الملك الأنطي المقري، من أهل قرطبة ، دخل بيت المقدس وكتب عن بعض أهلها وصف بالطهارة والعفة، دفن في مومرة بعد صلاة العصر ٤/ جمادى الآخرة، سنة ٣٩١هـ/١٠٠١م[٤].

تلك المقبرة التي تخضع تحت سيطرة اليهود الآن وقد عبثوا بها ، وشقوا طرقًا فيها، وداسوا عظام تلكم الشهداء، ولا يوجد مدينة من مدن فلسطين تضم أعداد كبيرة من المجاهدين كمقبرة مأمن الله الذين جاؤوا من جميع أنحاء العالم للدفاع عن القدس وفلسطين[٥].

ومن المقابر المعروفة في بيت المقدس مقبرة باب الرحمة تقع المقبرة في الجهة الشرقية للمسجد الأقصى فوق وادي جهنم، وهي من المقابر الإسلامية المشهورة فيها قبور عدد من الصحابة و المجاهدين الذين اشتركوا في الفتحين العمري والصلاحي[٦] كذلك فإن مقبرة باب الرحمة كانت مدفنا للأسرة الإخشيدية[٧]

---

(١) العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٦٤

(٢) عارف العارف، المفصل، ص٥٠٥

(٣) اليافعي، مرآة الجنان، ج ١، ص ٢٨١ – ٢٨٢

(٤) الأزدي، تاريخ العلماء، ج ١، ص ٢٩

(٥) مجهول، فلسطين ودور، ص ٦١١

(٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٦، ص ٢٠٥؛ الذهبي، العبر، ج ١، ص ٦٢؛ عارف العارف، المفصل، ص٥٠٩

(٧) الكندي، ولاة مصر، ج ١، ص ٩١؛ ابن القلانسي، تاريخ، ج ١، ص ٥٢؛ عارف العارف، المفصل، ص٥١٠

ومن المقابر القديمة في بيت المقدس: مقبرة الساهرة التي تقع شمال المدينة[١]، والتي اعتقد كثير من الناس بأنها ستكون ساحة القيامة والحشر ولذلك يأتي إليها خلق كثير من كل بقاع الأرض ويقيمون حولها حتى يموتوا فإذا جاء وعد الله كانوا بارض الميعاد[٢].

كذلك من المقابر الإسلامية في مدينة بيت المقدس، مقبرة باب الصغير والتي دفن بها شيخ الإسلام أبو الفرج عبد الواحد بن محمد الأنصاري، الفقيه الحنبلي صاحب الكرامات والمناظرات، توفي في ذي الحجة سنة ٤٨٦هـ، وقبره مشهور بها[٣].تلك أهم المقابر التي دفن فيها المقدسيين والعلماء ومن وصى بدفنه في تربتها المباركة.

مما سبق يتضح أن كثيرا من الأنبياء رضوان الله عليهم و الصحابة الكرام الذين اشتركوا في الفتح الإسلامي لبيت المقدس ومن بعدهم التابعين، والزوار والمتصوفين وغيرهم من سكان المدينة الذين دفنوا في أرضها، ومنهم من وصي بأن يدفن في ثرى أرضها، كذلك فقد احتوت المدينة على أبطال المسلمين المجاهدين الذين استشهدوا على ثرى بيت المقدس عند بداية الاحتلال الصليبي وبعده.

---

(١) العليمي، الأنس الجليل ج ٢ ص ٦٣

(٢) خسرو، سفرنامه، ج ١، ص ٥٦

(٣) الذهبي، سير أعلام، ج ١٩، ص٥١-٥٣

الفصل الرابع

المراكز العلمية والثقافية وأهم علوم وعلماء بيت المقدس

أولا: المراكز العلمية والثقافية في بيت المقدس

ثانيا: أهم العلوم وعلماء بيت المقدس

أولا: المراكز العلمية والثقافية في بيت المقدس :-

حثنا الإسلام الحنيف على طلب العلم والتعلم والجد والاجتهاد في طلبه لقوله سبحانه وتعالى : "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)[١] وقوله تعالى : (اقرأ باسم ربك الذي خلق*خلق الإنسان من علق*اقرأ وربك الأكرم*الذي علم بالقلم*علم الإنسان ما لم يعلم*"(٢).

تعتبر بيت المقدس من المراكز المهمة والمميزة في الحياة الفكرية التي قامت عليها الحضارة العربية الإسلامية في عهودها المختلفة والتي لا تقل أهمية في هذا الجانب عن مكة والمدينة[٣]، فالتعليم في البداية كان مرتبطا بالمسجد وكان العلماء يتوجهون للمساجد لتعليم الناس الذين أقبلوا إلى العلم امتثالاً لأوامر القرآن الكريم والسنة النبوية، تلك المؤسسة التي لعبت دورا هاما في التعليم والتثقيف حتى قبيل نهاية القرن الرابع الهجري الذي بدأت تظهر فيه المدارس كمؤسسات تعليمية إلى جانب المساجد، كما وُجِدت مؤسسات أخرى هي الرباط الخاصة بالصوفية وهذا ما سيتناوله الباحث في الفقرات التالية.

أطلق على أماكن التدريس الحلقة، لأن الطلاب كانوا يلتفون حول الشيخ بشكل دائرة أو حلقة، وتلك الحلقات تضيق أو تتسع حسب عدد التلاميذ الملتحقين به، وكان كل شيخ يستند إلى عمود اسطواني الشكل، ولكل عمود وقف معلوم يأخذه المستند إليه للمذاكرة والتدريس[٤] ولقد رافق ازدهار الحركة العلمية بظهور المدارس وانتشار حلقات الدروس في المساجد، وإنشاء المصاطب، بالإضافة لكثرة حلقات المناظرة في بيت المقدس[٥].

وقد تطورت المؤسسات التعليمية بصورة واضحة جلية بحيث أصبحت مدارس حقيقة يعين لها مدرسون يتقاضون أجرا وهدفهم الأساسي هو التدريس، وخاصة تدريس علوم الدين والعربية بشكل خاص وفي مستوى يعادل التدريس

---

(١) سورة المجادلة، من الآية ١١.

(٢)سورة العلق، الآيات ١-٥.

(٣) الموسوعة الفلسطينية، ج٢، ص١٤٢

(٤) ابن جبير، رحلة، ج ١، ص ١٩١

(٥) السبكي، طبقات الشافعية، ج ٦، ص ١٩٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ١٣٧

الثانوي والجامعي في وقتنا الحاضر[١].

هذا ولم تكن الحركة الفكرية من المجالس العامة وحلقات التعليمية والتدريس مزدهرة في مركز مدينة بيت المقدس فقط، بل إن قرى وضواحي المدينة كان لها نصيب من تلك النهضة العلمية، حيث عقدت الكثير من تلك الحلقات في قرى مجاورة منها قرية جلجون الواقعة بين القدس والخليل[٢] والتي كانت لا تقل أهمية عن حلقات التدريس في مركز وتجدر الإشارة أن الحركة العلمية والفكرية بقيت قوية في بيت المقدس إلى أن احتلها الصليبيون فأصابها الضعف والجمود لاستشهاد الكثير من أئمة المدينة وعلمائها والعباد والزهاد وممن فارق الأوطان وجاور المسجد الأقصى أثناء مواجهتهم الغزو الصليبي[٣].

أما عن أهم المؤسسات التعليمية فهي كالتالي:

أ- : المؤسسات التعليمية في بيت المقدس :

هناك عدة مؤسسات أنشئت في بيت المقدس في القرن الرابع و الخامس الهجريين، فقد كانت المدينة قبلة العلماء والأدباء من المشرق والمغرب الإسلامي ومركزا فكريا وحضاريا في بلاد الشام وأهم المؤسسات العلمية.

١. المسجد الأقصى:

ذكرت المساجد كثيرا في القرآن الكريم لأهميتها[٤] كذلك وردت أحاديث نبوية كثيرة جداً في فضل المساجد وأحكامها وأهميتها[٥].

يعتبر بيت المقدس عبر التاريخ الإسلامي مركزاً دينياً هاما بحيث لم ينقطع عنه العلماء والمدرسون في العهد العباسي وفي عهد الدويلات الإسلامية[٦]، وكان من معالم ازدهار الحركة العلمية في بيت المقدس تحول المسجد الأقصى إلى جامعة إسلامية مع ما

---

(١) كامل العسلي، معاهد العلم، ص١٤

(٢) ابن العربي، أحكام القرآن، ج ٤، ص ٣٥-٣٦

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ١٩

(٤) سورة البقرة، آية ١٤٤؛ سورة الإسراء، الآية ١؛ سورة الكهف، آية ٢١

(٥) للمزيد انظر الزركشي، إعلام الساجد، ص ٢٨٧ وما بعدها

(٦) جمال الدين الأنصاري، تحصيل الأنس، ص ٥٤؛ العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٥

ألحق به من معاهد، إضافة لإنشاء مكتبة لطلاب العلم ألحقت بالمسجد الأقصى، لمن يرغب الاستزادة في الدراسة وتوسيع معارفه[١].

كما حظي المسجد الأقصى المبارك بحلقات العلوم المختلفة حتى بلغ عددها ثمانيةً وعشرين حلقة[٢] وعدد المعلمين ثلاثمائة وستين مدرسا[٣]. وكان التركيز بالحلقات يدور على علوم الحديث[٤] والفقه[٥]، والفتاوي ومسائل الخلاف[٦] وغيرها من العلوم.

ومن أبرز مدرسي المسجد الأقصى:

١- مقاتل بن سليمان المفسر المتوفي ١٥٠هـ/٧٦٧م الذي كان يجلس في حلقة عند باب الصخرة القبلي ويجتمع إليه كثير من الناس فيستمعون إليه [٧].
٢- أبوعبد الله بن كرام دخل بيت المقدس الذي كان يقعد على أحد الأعمدة شرقي المسجد الأقصى ويلقي على أهل القدس الأحاديث النبوية فيجتمع حوله أعداد كبيرة من الناس[٨].
٣- أبو الحسن علي بن الحسن البغدادي المتوفي سنة ٣٥٩هـ/٩٧٠م ، سكن بيت المقدس، وكان يعظ الناس بعد صلاة العصر في مسجد بيت المقدس في محراب معاوية، وهو من الذين منَّ الله عليهم بطلاقة اللسان و القدرة الفائقة على الإقناع، مما كان له بالغ الأثر في جذب المستمعين إليه لسماعه والاستفادة منه[٩].
٤- المقرئ أبو العباس أحمد بن زيدان من مدينة بغداد، قدم بيت المقدس وأقرأ ولقن المقدسيين القرآن الكريم في المدينة، توفي سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م، عن عمر ناهز المائة عام[١٠].

---

(١) بيان الحوت، فلسطين القضية، ص ١١٠
(٢) الشاطبي، الاعتصام، ج ١، ص ١٥١
(٣) جمال الدين الأنصاري، تحصيل الأنس، ص ٥٣
(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٧، ص ١٨؛ العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٨٩
(٥) ابن العربي، أحكام القرآن، ج ١، ص ١٥٢؛ أبو طاهر السلفي، معجم السفر، ج ١، ص ٤٣١؛ ابن الأبار، المعجم، ج ١، ص ١٩٩-٢٠٠
(٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٦٢، ص ١٥؛ العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٣٠١
(٧) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٢
(٨) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٥٥، ص١٢٩- ١٣٠؛ العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٦
(٩) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٤١، ص ٣٤٥ – ٣٤٦
(١٠)ابن الجزري، غاية النهاية، ج ١، ص ٢٣

٥- الإمام أبو حامد الغزالي خرج من بغداد متوجهاً إلى بيت المقدس في ذي القعدة سنة ٤٨٨هـ/١٠٥٦م، تاركاً التدريس في النظامية، ولكنه لم يستطع هجر التدريس حيث عقد حلقات تعليمية في القدس حضرها الكثير من المقدسيين والزوار[١].

٦- الحافظ المعلم أبو القاسم مكي بن عبد السلام المقدسي، زار الكثير من البلدان الإسلامية، ثم رجع إلى بيت المقدس وسكنها إلى أن قتل شهيدا وقت استيلاء الصليبيين على بيت المقدس، صنف كتابا في تاريخ بيت المقدس، إضافة إلى تدريسه الفقه على المذهب الشافعي[٢].

٧- الطرطوشي الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الأندلسي المتوفي سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م، قدم بيت المقدس ودرس بها[٣]

٨- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى الأموي المقدسي النابلسي تفقه على يد الشيخ نصر بن إبراهيم المقدسي عمل في الإفتاء والتدريس، وهو من أهل العلم، توفي سنة ٥٢٧هـ/١١٣٣م، عن عمر خمس وستين سنة[٤].

٢. دار العلم الفاطمية :

عندما تولى الخليفة الحاكم بأمر الله أبو علي المنصور بن العزيز بالله الفاطمي الذي حكم المدينة من ٣٨٦-٤١١هـ/١٠٩٣-١٠٢٠م [٥]، أمر بإنشاء دار العلم الفاطمي في مصر[٦] ، وكان من فروعها دار العلم المقدسية ذلك المعهد الذي كان بمثابة الصرح العلمي الكبير في القرنين الرابع والخامس الهجريين [٧].

٣. المدرسة النصرية :

تأتي في المرتبة الثانية بعد المعهد العلمي الكبير المتمثل في المسجد الأقصى المبارك، وكان موقعها على برج باب الرحمة من أبواب القدس، وترجع تسميتها نسبة

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٧، ص ١٨

(٢) السمعاني، الأنساب، ج ٣، ص ٩٣

(٣) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٣٠١

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٠١

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ١٢٨؛ العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٣٠٣

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ٢٢٢

(٧) عارف العارف، المفصل، ص١٣٧

لمؤسسها العلامة الشيخ نصر بن إبراهيم المقدسي والتي أسست في أواسط القرن الخامس الهجري [١]

وفي عام ٤٨٨هـ/١٠٩٥م توجه الإمام العلامة أبو حامد الغزالي إلى بيت المقدس واعتكف بالمدرسة النصرية وعلم بها المقدسيين، وخلال اعتكافه بها ألف كتابه إحياء علوم الدين، وبدخوله المدرسة تغير اسمها وعرف بين أهل القدس بالغزالية نسبة إليه[٢] وبعدما أعجب أهل بيت المقدس بدروس الإمام الحجة طلبوا منه أن يصنف لهم شرحاً مبسطاً للعقيدة الإسلامية أطلق عليها(الرسالة القدسية في قواعد العقائد)[٣].

٤. مدرسة أبي عقبة :

في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري أسست في بيت المقدس مدرسة للأحناف[٤] سميت باسم شيخها ومؤسسها (أبي عقبة الحنفي)[٥]، وتقع هذه المدرسة بجوار كنيسة القيامة[٦]، وكانت مشيختها للقاضي الزنجاني، وقد أشار إلى هذه المدرسة ابن العربي عند زيارته للمدينة[٧].

وكانت المناقشات والمناظرات تعقد في تلك المدرسة ففي إحدى المرات وأثناء إلقاء القاضي الزنجاني درسه في المدرسة، دخل عليه رجل بهي المنظر، فسلم عليهم سلام العلماء وتقدم حتى وصل مقدمة المجلس فسأله القاضي الزنجاني عن نفسه؟ فأجابه سُرقت أمس وكانت وجهتي المسجد الأقصى لطلب العلم، فقال القاضي مبادرا اسألوه على عادة إكرام العلماء فوقعت القرعة على مسألة الكافر الذي التجأ إلى المسجد الحرام هل يقتل أم لا ...)[٨].

---

(١) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٨

(٢) المصدر نفسه، ، ص ٢٩٩

(٣) الغزالي، إحياء علوم، ج ١، ص ١٠٤

(٤) ابن العربي، أحكام القرآن، ج ١، ص ١٥٢

(٥) القرطبي، تفسير، ج ٢، ص ٣٥٢

(٦) الشاطبي، الاعتصام، ج ١، ص ١٥١

(٧) ابن العربي، أحكام القرآن، ج ١، ص ١٥٢

(٨) المصدر نفسه، ، ج ١، ص ١٥٢

٥. الرُبَط :

الرباط ويقال له (التكية) باللغة التركية[١]، والتي تعني دار الصوفية، ولم يتعرض اللغويون للتفريق بين الرباط والزاوية[٢]، وكذلك تعني الربط المكان المعد للأفعال الصالحة والعبادة[٣]. وأول من اتخذ داراً للضيافة للقادمين الوليد بن عبد الملك بن مروان[٤]

فالرباط بيت الصوفية ومنزلهم، ولكل قوم دار، وكان اجتماعهم فيه بعد العصر فقط ثم أبطلوا تلك القاعدة بحيث أصبحوا يصلوا فيه الخمس صلوات ويقرؤون بعد الصبح قريبا من جزء ونصف وبعد العصر قريبا من ثلاثة أجزاء حتى أن أحدهم إذا غاب عن صلاة أو القراءة، كتب عليه غيبة[٥].

وقد اعتبرت الأربطة بمثابة مدارس للتعليم، وحفظ القرآن الكريم و الأحاديث النبوية والفقه، وأهم تلك الأربطة في بيت المقدس، رباط أحمد بن كرام وأصحابه[٦] وكذلك رباط أبي حامد الغزالي الذي كان يجتمع إليه خلق كثير في الرباط فيستمعون إليه من مصنفه إحياء علوم الدين[٧].

مما سبق يلاحظ مدى أهمية الربط كمقرات تعليمية مكملة للمساجد والمدارس شملت الصوفية والمريدين والمترددين على المدينة، وكان لها الأثر الديني والعلمي فيها إضافة لمركزيتها في الطاعة والعبادة.

٦. البيمارستان الفاطمي:

وهو أول بيمارستان –مستشفى– أسس في بيت المقدس، وهو من المعاهد العلمية الكبرى التي أسسها الفاطميون في المدينة[٨]، الذي اعتبر من المنشآت البديعة والتي انفق عليها مبالغ طائلة كانت تأتي عن طريق البر والإحسان و فيها يعالج أعداد كبيرة من

---

(١) محمد علي، خطط الشام، ج٦، ص١٣٤

(٢) النعيمي، الدارس، ج ٢، ص ١٥٢

(٣) المتقي الهندي، كنز العمال، ج ٨، ص ٢٤٤

(٤) محمد علي، خطط الشام، ج٦، ص١٣٤

(٥) ابن تيمية، كتب ورسائل، ج ٣١، ص ٥٣

(٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٥٥، ص١٢٩– ١٣٠

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٧، ص ١٨

(٨) أحمد الخالدي ، المعاهد المصرية، ص ٦.

المرضى الذين يصرف لهم العديد من الأدوية والعلاجات، إضافة لذلك فإن الأطباء تقاضوا رواتبهم من الأوقاف المقررة لتلك المستشفى[١]، وبناء على ما سبق فإن المستشفى الفاطمي إلى جانب وظيفته العلاجية كان يخرِّج الأطباء والممرضين، وهذا خير دليل على تقدم الطب وعلومه في المدينة.

إضافة لما سبق كانت بيوت العلماء بمثابة مدارس يأتي إليها طلاب العلم كأبي الفتح نصر بن القاسم المقدسي الذي كان يأتيه الناس في بيته لينهلوا من علمه[٢].

ثانيا: أهم طرق التعليم في المؤسسات العلمية المقدسية:

تنوعت وتعددت طرق وأساليب التعلم والتعليم في الحصول على المعارف والعلوم الإسلامية فهي متفاوتة من حيث الأهمية وتقدير المعلمين والمتعلمين لها، ويمكن ترتيبها كالآتي:-

أ- الإملاء:

استخدمت هذه الطريقة في المراحل التعليمية التي سبقت انتشار الكتب وتداولها بين الطلاب، حيث كان العلماء يعقدون لها مجالس خاصة تعرف بمجالس الإملاء وهي أكثر ارتباطا بالأحاديث النبوية وتدوينها[٣]، ومن العلماء الذين اتبعوا تلك الطريقة في بيت المقدس أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الذي أملى الأحاديث النبوية الشريفة على المقدسيين [٤]

ب- الاستماع والتلقين:

وفيها اعتمد المتعلم في نقل العلم عن طريق التلقين و الاستماع بمعنى أن المعلم يروي من الذاكرة، لأن البعض يرى أن العلم ما كان محفوظاً في الصدر لقول الخليل بن أحمد الفراهيدي : ليس بعلم ما حوى القمطر[٥] ما العلم إلا ما حواه الصدر[٦].

---

(١) خسرو، سفرنامه، ج ١، ص ٥٧

(٢) السمعاني، أدب الإملاء، ج ١، ص ١١٤

(٣) السمعاني، الأنساب، ج٣، ص١٧٦؛ الذهبي، تاريخ الإسلام،ج٣٦، ص٥٢٣؛ ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٩، ص٢١٦؛ السخاوي، فتح المغيث، ج٢، ص٣٥٠؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص٢٦١

(٤) أبو طاهر السلفي، معجم السفر، ج ١، ص ٤٦٢-٤٦٣

(٥) القمطر يعني الكتاب، لسان العرب، ج٥، ص١١٧

(٦) الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه، ج ٢، ص ٢٦٤

وقال مالك بن أنس "لم يكن القوم يكتبون إنما كانوا يحفظون فمن كتب منهم الشيء فإنما كان ليحفظه فإذا حفظه محاه"[١] وكان تعليم الصبيان للقرآن الكريم وعلومه في البلدان المشرقية كلها إنما هو تلقين وتحفيظ[٢]، وقد أثنى ابن خلدون على طريقة التلقين للمتعلمين الجدد والأطفال والتي تحصل بعد التكرار ثلاث مرات، في حين انتقد المعلمين الذين يجهلون طرق التعليم وعدم تدرجهم في المسائل، والمطالبة بحل المسائل الذهنية الصعبة[٣]، وقد استخدم تلك الطريقة أبو العباس أحمد بن محمد النسوي في مدينة بيت المقدس[٤]، وكذلك فعل أبو حامد الغزالي الذي كان يجتمع إليه المقدسيين كل يوم فيسمعون منه[٥]، وفي بعض الأحيان كان يشترط الشيخ أن لا يعيد الدرس مرة أخرى كما فعل ذلك الخطيب البغدادي[٦]، إضافة للفقيه أبي الفتح نصر بن القاسم بن الحسن المقدسي الذي اتبع طريقة التلقين في تدريسه[٧].

ت- طريقة الحوار والمناقشة(المناقشة):

أما أهم الطرق التعليمية التي تميزت بها بيت المقدس عن غيرها من الأقاليم طريقة الحوار والمناقشة، تلك الطريقة التي كانت تدور بين المعلمين والطلاب، و تحدث بيت المعلمين أنفسهم مع وضع أحكام وآداب يقف المتناظران عند حدودهما في الرد والقبول[٨]، وهناك الكثير من الشواهد والأمثلة التي تدل على تميز بيت المقدس في تلك الطريقة حتى اعتبرت في ثقافة علماء المدينة أنهم إذا أرادوا أن يكرموا العلماء الزائرين ناظروهم وحاوروهم، فقد ذكر أبو بكر بن العربي أنه حضر بمدرسة أبي عتبة الحنفي في بيت المقدس، والقاضي الريحاني يلقي عليهم إحدى دروسه في يوم جمعة فبينما هم كذلك، إذ دخل عليهم رجل جميل المنظر، فسلم عليهم سلام العلماء وتقدم حتى وصل صدر المجلس فسأله القاضي الزنجاني

---

(١) السخاوي، فتح المغيث، ج ٢، ص ١٦٣

(٢) ابن جبير، رحلة، ج ١، ص ١٩١

(٣) ابن خلدون، مقدمة، ج ١، ص ٥٣٣

(٤) ابن الجزري، غاية النهاية، ج ١، ص ٤٩

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٧، ص ١٨

(٦) الحموي، معجم الأدباء، ج ١، ص ٥٠٤

(٧) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٦٢، ص٤٠

(٨) ابن خلدون، مقدمة، ج ١، ص ٤٥٧

من السيد؟ فأجابه رجل سرق أمس وكانت وجهتي المسجد الأقصى لطلب العلم، فقال القاضي مبادرا "سلوه على العادة في إكرام العلماء بمبادرة سؤالهم"[١].

ثانيا: أهم علوم وعلماء بيت المقدس:

بيت المقدس من البلدان العربية الشهيرة التي ذكرها الله –سبحانه وتعالى– في القرآن في غير موضع، وفيها المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة والمواضع الشريفة وكان إليها قبلة المسلمين سبعة عشر شهرا، وأول ما قدم رسول الله –ﷺ– المدينة دخلها زائرا في رحلة الإسراء والمعراج، لذلك فإنه نسب للمدينة وأتى إليها الكثير من العلماء والأئمة والمحدثين قديما وحديثا[٢]، وقد أكد أحد الشعراء ذلك بقوله:

وبيت المقدس المعمور بيت ورثناه عن المتقدمينا[٣]

فبيت المقدس كان بمثابة صرح تعليمي شامخ يأتي إليه الأساتذة والطلبة من شتى أرجاء العالم الإسلامي، فقد ذكر أبو بكر بن العربي من خلال رحلته التي قام بها إلى المدينة صورة حية للحياة الثقافية والعلمية التي ميزت بيت المقدس في مراحلها التاريخية المتعاقبة، فأكد أنها كانت مدينة علم وملتقى العلماء، مما كان لتلك النهضة بالغ الأثر في نفسه وخاصة في مجالي التعليم والمناظرات، لذلك توقف عن رحلته واستقر في المدينة مدة من الزمن ليستفيد من علومها وطرقها التعليمية[٤].

---

(١) ابن العربي، أحكام القرآن، ج ١، ص ١٥٢؛ القرطبي، تفسير، ج ٢، ص ٣٥٢

(٢) السمعاني، الأنساب، ج ٥، ص ٣٦٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٦٣

(٤) جمال الدين الأنصاري، تحصيل الأنس، ٥٢–٥٣

وسيتناول الباحث تلك العلوم كلاً على حده وبشيء من التفصيل وسنبدأ بعلم القراءات:

١- علم القراءات[١]:

شهدت المدينة زيارة عدد من القراء في عهد الخلافة العباسية من داخل المدينة وخارجها على حد سواء، ومن أوائل المقرئين سفيان الثوري[٢] المتوفى سنة ١٦١هـ/٧٧٨م، الذي فضل قراءة القرآن على الحديث وسائر الأعمال الدينية الأخرى[٣].

ومن المقرئين المقدسيين المشهورين بالقراءات عبد الصمد بن محمد المقدسي العينوني، المتوفي سنة ٢٩٤هـ/٩٠٧م في قريته عينون من بيت المقدس[٤]، كذلك تفرد أبو الحسن علي بن أحمد المعروف بابن الحمامي بأسانيد القراءات وعلومها، المتوفي سنة ٣٢٨هـ/٩٤٠م[٥].

وأحمد بن زيدان أبو العباس المقرئ[٦]، من مدينة بغداد[٧]، قرأ عليه بعض المغاربة في المدينة[٨] وعلم المقدسيين القراءة[٩]، توفى سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م[١٠]. وهنا ملاحظة هامة، وهي أن مدينة بيت المقدس كانت تجذب إليها الطلاب من المغرب العربي لينهلوا من علومها ولم يقتصر طلاب العلم على أبنائها.

---

(١) تعددت قراءات القرآن الكريم الصحيحة والمتواترة عن النبي -ﷺ- ، أشهرها سبعة قراءات، فعن عبد الله بن مسعود قال: (أنزل القرآن على سبعة أحرف على نبيكم صلى الله عليه وسلم) البخاري، التاريخ الكبير، ج ٧، ص ١٤٠ للمزيد ابن مجاهد، السبعة في القراءات .

(٢) سفيان الثوري هو ابن سعيد بن مسروق العالم الجليل، أتى المسجد الأقصى فصل فيه ، وكذلك قبة الصخرة المشرفة، وختم فيها القرآن مرات عديدة.

(٣) أبو نعيم، الأصفهاني، حلية الأولياء، ج ٦، ص ٣٦٧

(٤) ابن الجزري، غاية النهاية، ج ١، ص ١٧٢

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١١، ص ٣٢٩

(٦) الذهبي، ميزان الاعتدال، ج ١، ص٢٣٥- ٢٣٦؛ ابن حجر، لسان الميزان، ج ١، ص ١٧٥

(٧) ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء ج ١ ص ٢٣

(٨) الذهبي، ميزان الاعتدال، ج ١، ص٢٣٥- ٢٣٦؛ ابن حجر، لسان الميزان، ج ١، ص ١٧٥

(٩) ابن الجزري، غاية النهاية، ج ١، ص ٢٣

(١٠) الذهبي، ميزان الاعتدال، ج ١، ص٢٣٥- ٢٣٦؛ ابن حجر، لسان الميزان، ج ١، ص ١٧٥

إضافة إلى أبي القاسم يوسف بن علي بن سوادة من بلدة بسكرة في المغرب، زار كثيراً من البلدان لطلب القراءات وذلك عام ٤٢٥هـ/١٠٣٤م، و بلغ عدد الشيوخ الذين قرأ عليهم ما يزيد عن مائة شيخ، منهم مقرئين في مدينة بيت المقدس[١]. ومن مقرئي بيت المقدس عبد القادر بن محمد بن يوسف أبو القاسم البغدادي، تميز بحسن صوته في القرآن الكريم، توفي في بيت المقدس في ذي الحجة سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م، وكان من أهل الأمانة والصدق والدين[٢].

ومنهم محمد بن طاهر المقدسي، كان من أشد الناس حرصا على قراءة القرآن وتعلمه، تتلمذ على يد المقرئ الفقيه نصر بن القاسم المقدسي سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٨م[٣]. ومنهم مكي بن عبد السلام أبو القاسم المقدسي الرميلي الحافظ[٤].

ومن علماء بيت المقدس أبو عبد الله الحسين بن الحسن الذي قرأ القرآن الكريم بالروايات، رحل إلى بغداد واستقر بها، توفي سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م، وتميز بصحة قراءته[٥]. ومنهم أبو الغنائم محمد بن علي بن ميمون الملقب بأبي النرسي تميز بجودة قراءته، سمع الكثير من الشاميين أثناء زيارته بيت المقدس، فضلا عن براعته في الخطابة، وتميزه بالحفظ والاتقان[٦]

ومن العلماء الذين برعوا في علم القراءات علي بن أحمد بن أبي بكر الكناني المعروف بابن حنين المولود في قرطبة بالأندلس، التقى مع أبي حامد الغزالي في مكة المكرمة أثناء الحج وصحبه وسمع منه، ثم توجه إلى بيت المقدس وأقام فيها تسعة أشهر يعلم

---

(١) الذهبي، معرفة القراء، ج ١، ص ٤٣٠

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٣٦، ص ٤٠٧ – ٤٠٨

(٣) الذهبي، سير أعلام، ج ١٩، ص٣٦١ –٣٦٨

(٤) السمعاني، الأنساب، ج ٣، ص ٩٣؛ ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ٧، ص ٤٠٥

(٥) أبي الوفاء، الجواهر المضية، ج ١، ص ٢٠٩

(٦) الذهبي، سير أعلام، ج ١٩، ص٢٧٣–٢٧٥

أهلها القرآن، ثم انتقل إلى المغرب واستوطن مدينة فاس وتفرغ لتعليم القرآن بالمسجد المنسوب إليه حتى وفاته[١].

مما سبق يظهر للباحث أن بيت المقدس حظيت باهتمام القراء سواء على الصعيد الداخلي أو على الصعيد الخارجي من أقصى الغرب الأندلس وبلاد المغرب، وأقصى الشرق المتمثل في العراق وما جاوره.

٢- التفسير:

هو العلم الذي يبحث في أحوال القرآن الكريم من دلالته على مراد الله سبحانه وتعالى، أو علم نزول الآيات القرآنية الكريمة من حيث ترتيبها وأسباب نزولها، ناسخها ومنسوخها، خاصها وعامها[٢] أو كما قال حاجي خليفة ذلك العلم الذي يبحث في مراد الله سبحانه وتعالى من قرآنه المجيد وفهم ألفاظه[٣]، وقال الزركشي بأنه علم يفهم به كتاب الله – سبحانه وتعالى– وبيان معانيه واستخراج أحكامه[٤].

تعلم الجيل الأول من أهل بيت المقدس التفسير على يد الصحابة الكرام معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت، الذين لم يجدوا صعوبة في تعلم القرآن ومقاصده[٥]، ولكن بعدما دخلت الكثير من العناصر غير العربية في الإسلام منذ الفتح الإسلامي وبعده[٦]، كانت الحاجة ماسة إلى كتابة التفسير وقيامه كعلم جديد من العلوم الدينية [٧].

---

(١) الذهبي، سير أعلام، ج ٢١، ص ٥٦ – ٥٧؛ معرفة القراء، ج ٢، ص ٥٤٥ – ٥٤٦

(٢) السيوطي، الإتقان، ج ٤، ص ٤٦٢

(٣) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ١، ص ٤٢٧

(٤) الزركشي، البرهان، ج ١، ص ١٣

(٥) أبي زرعة، تاريخ، ج ١، ص ١٣، ٤٠؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٢، ص ٧٩٤، ٨٠٨؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٦، ص ٢٠٧؛ ج ٦٠، ص ٢٧١؛ ضياء الدين المقدسي، فضائل، ج ١ ،ص ٩٢

(٦) إلياس شوفاني، الموجز، ص١٦٥

(٧) ابن خلدون، مقدمة، ج ١، ص٤٣٩– ٤٤٠

ومن الذين عملوا بالتفسير وألفوا فيه عطاء بن أبي مسلم الخرساني الذي تنقل بين دمشق والقدس[١]، وألف كتابا في تفسير القرآن الكريم[٢]، ويعد عطاء الخراساني من الذين أخذوا على عاتقهم تعليم أهل القدس واجتهد في ذلك حيث قال: "أَوْثَقَ عملي في نفسي نشر العلم"[٣]. توفي سنة ١٣٥هـ/٧٥٢م بمدينة أريحا ونقل إلى القدس ليدفن فيها[٤].

ومن علماء التفسير مقاتل بن سليمان قدم بيت المقدس، وكان يجلس عند باب الصخرة القبلي، ويأتي إليه الكثير من المقدسيين والمدن الفلسطينية المجاورة يكتبون عنه ويسمعون منه، قال عنه الإمام الشافعي رحمه الله: "الناس كلهم عيال عل ثلاثة مقاتل بن سليمان في التفسير..." توفي مقاتل سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م[٥]

ومنهم أبو محمد بكر بن سهل بن إسماعيل بن نافع الهاشمي ولد سنة ١٩٦هـ/٨١١[٦]، سمَّع بدمشق وحدث بها[٧]، ونطرا لسعة علمه في التفسير أراد أهل فلسطين الاستفادة منه، فجمع له سكان الرملة خمس مائة دينار ليقرأ عليهم التفسير فرفض ذلك العرض، فلما جاء إلى مدينة بيت المقدس جمع له المقدسيون مبلغ خمس مائة دينار أخرى، حينئذ قرأ عليهم التفسير[٨]، توفي سنة ٢٨٩هـ/٩٠٢م في دمياط[٩].

ومن المفسرين العالم أبو الفرج عبد الواحد بن أحمد بن محمد المقدسي، برع في علم التفسير، وكانت له أوقات يعلم فيها أهل بيت المقدس التفسير، وتأتي إليه التلاميذ ليقرأ عليهم

---

(١) الذهبي، سير أعلام، ج ٦، ص ١٤٠
(٢) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ١، ص ٤٥٣
(٣) الذهبي، سير أعلام، ج ٦، ص ١٤٢
(٤) المصدر نفسه، ص ١٤٣
(٥) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٢
(٦) الذهبي، سير أعلام، ج ١٣، ص ٤٢٦
(٧) ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ٢، ص ١٩٨
(٨) الذهبي، سير أعلام، ج ١٣، ص ٤٢٦؛ العليمي، الأنس الجليل ج ١ ص ٢٩٦
(٩) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ١٠، ص ٣٨٠؛ ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ٢، ص ١٩٨

من كتاب الجواهر في التفسير وهو مكون من ثلاثة مجلدات، توفي يوم الأحد ١٨/١٢/٤٨٦هـ/١٠٩٣م ودفن بباب الصغير بمدينة دمشق[١].

مما سبق يتضح للباحث حقيقة ما كانت تعانيه بيت المقدس من ندرة علماء التفسير، فتجد الطلاب يجتمعون بكثرة على عطاء بن أبي مسلم الخرساني ومقاتل بن سليمان و عبد الواحد بن أحمد بن محمد ويكتبون عنهم باهتمام، وأكثر الأدلة على قلة المفسرين فيها أيضا أن أهل بيت المقدس بالتوافق مع أهل الرملة اجتهدوا في جمع المال من أجل أن يعلمهم بكر بن سهل الدمياطي التفسير، وهذا يكشف حرصهم في طلب علم التفسير والاستماع إليه.

٣- الفقه:

هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين، بالوجوب والمنع والندب والكراهية والإباحة، وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصه الشارع لمعرفتها من الأدلة[٢]. ويقوم الفقه على أربعة أصول: القرآن والسنة والقياس والإجماع [٣].

ويرجع تأسيس المدرسة الفقهية في مدينة بيت المقدس على يد الصحابة الكرام، وأهم تلك الشخصيات التي ارتبطت بالفقه في المدينة المباركة: الصحابي الجليل معاذ بن جبل المتوفي ١٨ هـ/ ٦٣٩ م، الذي قال في حقه -ﷺ- "أعلم أمتي بالحلال والحرام"[٤]وعبادة بن الصامت المتوفي: ٣٥ هـ/ ٦٥٤ م) [٥] الذي ولي قضاء القدس[٦]وقد اتخذها عبادة مكانا لإقامته فوفد عليه مسلمو فلسطين ليتعلمو شؤون دينهم[٧]، كذلك فإن الكثير من الصحابة

---

(١) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٧

(٢) ابن خلدون، مقدمة، ج ١، ص ٤٤٥-٤٤٨

(٣) الشافعي، الرسالة، ج ١، ص ٥٩٨

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٣٤٧؛ أبو نعيم، الأصفهاني، حلية الأولياء، ج ١، ص ٢٢٨

(٥) أبي زرعة، تاريخ، ج ١، ص ١٣، ٤٠؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٦٠، ص ٢٠٧؛ ضياء الدين المقدسي، فضائل بيت المقدس، ج ١، ص ٩٢

(٦) الذهبي، العبر، ج ١، ص ٣٥

(٧) أبي زرعة، تاريخ، ج ١، ص ١٣، ٤٠؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٦٠، ص ٢٠٧؛ ضياء الدين المقدسي، فضائل بيت المقدس، ج ١، ص ٩٢

الذي يزورن القدس يأتون عبادة لزيارته والاستفادة من علمه[١]، وبقي يفتي فيها إلى أن توفي ودفن في تربتها[٢].

وكذلك من الفقهاء مالك بن دينار أحد الأئمة الأعلام المتوفى سنة ١٢٣هـ/٧٤١م الذي زار بيت المقدس بصحبة عدد من التابعين[٣]، ومن الفقهاء الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، عالم أهل مصر، وهو نظير مالك في العلم[٤]، قدم بيت المقدس والتقى الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، وأعجب الأخير برجاحة عقله وفقهه فقال: "الحمد لله الذي جعل في رعيتي مثلك" توفي يوم الخميس منتصف شعبان سنة ١٧٥هـ/٧٩١[٥] ومن أكثر حسنات وإيجابيات الليث أن أهل مصر كانوا ينتقصون عثمان بن عفان – ﷺ– حتى نشأته فيهم فحدثهم بفضائله فتركوا ذلك الفعل[٦].

أما عن أكثر الفقهاء التي تشرفت مدينة بيت المقدس بزيارته ذاك الإمام الأعظم والحبر الأكرم محمد بن إدريس الشافعي(١٥٠-٢٠٤هـ/ ٧٦٧-٨٢٠م) الذي زار بيت المقدس ودرس الفقه فيها حيث قال: "سلوني عما شئتم أخبركم من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٧].

وللشافعي العديد من المصنفات الفقهية منها كتاب الأم الذي ورد فيه الكثير من المناظرات ونفائس الفتاوي وقواعد الفقه[٨]، والمعرفة والسنن[٩]، وكتاب أصول الفقه وكتاب

---

(١) أبو زرعة، تاريخ، ج ١، ص ٤٠؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٦٠، ص ٢٧١؛ ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ٧، ص ٤٠٦

(٢) أبو زرعة، تاريخ، ج ١، ص ٨٤، ١٠٥؛ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٢، ص ٨٠٨؛ النووي، تهذيب الاسماء، ج ١، ص ٢٦٩؛ ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ٧، ص ٤٠٦

(٣) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩١

(٤) ابن تميم المقدسي، مثير الغرام، ص ٣٥٥

(٥) الفسوي،المعرفة والتاريخ، ج١، ص٤٣؛ الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٣، ص١٠؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٠، ص٣٦٦؛ ابن منظور، مختصر تاريخ، ج٦، ص٣٨٩؛ الذهبي، سير أعلام، ج ٨، ص١٥١

(٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٥٠، ص ٣٦٦

(٧) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق،ج٤١، ص٤٢٢؛ ج٥١، ص٢٧١؛ العليمي، الأنس الجليل،ج١، ص٢٩٤

(٨) النووي، تهذيب الاسماء، ج ١، ص ٧٢

(٩) الشافعي، أحكام القرآن، ج ١، ص ١٥٨

الجزية[١] وقد بلغت مصنفات الشافعي في التفسير والأدب و الفقه حوالي مائة وثلاثة عشر كتابا[٢] ويرى الباحث أن الشافعي بعلمه الواسع وسعة اطلاعه، حظي باحترام أهل بيت المقدس والذي لم يزل مذهبه معمولا به في المدينة إلى يومنا هذا.

ومنهم أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الذي تفقه على خاله أبي إبراهيم بن إسماعيل المزني الذي لقنه كتاب السنن للإمام الشافعي، وقد انتقل إلى بيت المقدس وتفقه فيها، له الكثير من التصانيف الفقهية منها كتاب التصانيف في اختلاف العلماء، ومعاني الآثار وغيرها[٣].والفقيه القدوة أبو عبد الله محمد بن خفيف بن اسفكشار الفارسي، الذي زار المدينة واستقر بها فترة من الزمن، توفي سنة ٣٧١هـ/٩٨١[٤].

ومنهم علي بن الحسن أبو الحسن الصيرفي البغدادي، رحل إلى بلاد الشام و استقر في مدينة بيت المقدس، وقد خصص جزءا من وقته بعد صلاة العصر من كل يوم يعظ فيها ويفقه أهل المدينة، لقب بجهبذ الجهابذة لبراعته في الفقه، وعلوم التوحيد [٥]

ومنهم أبو جعفر محمد بن الحسن بن المحسن الأستروشني، استوطن مدينة بيت المقدس، وفي أخر أيام حياته ذهب إلى العراق وتوفى بها في مستهل جمادى الأولى سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م[٦]

ومنهم الشيخ سلامة بن اسماعيل المقدسي الضرير المتوفى ٤٨٠هـ/.١٠٨٧م، وكان عديم النظير في زمانه لأجل مما خصه الله به من حضور القلب وصفاء الذهن وكثرة الحفظ[٧].

---

(١) النووي، تهذيب الاسماء، ج ١، ص ٧٠

(٢) النووي، تهذيب الاسماء، ج ١، ص ٧٣-٧٤

(٣) ابن حجر، لسان الميزان، ج ١، ص ٢٧٤ - ٢٧٧

(٤) الذهبي، سير أعلام، ج ١٦، ص ٣٤٢ -٣٤٧

(٥) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٤١، ص ٣٤٥ – ٣٤٦

(٦) أبي الوفاء، الجواهر المضية، ج ٢، ص ٤٦

(٧) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٧

و من أعلام الفقهاء الذين برعوا في هذا المجال: أبو الفرج عبد الواحد بن أحمد الشيرازي المقدسي الأنصاري المتوفي سنة٤٨٦هـ، قدم إلى الشام واستقر في بيت المقدس[١]، ويعود له الفضل بنشر مذهب الإمام أحمد بن حنبل في المدينة وما حولها من القرى والبلدات[٢]، وكان له فيها أتباع وتلاميذ[٣]، و له أوقات يفقه أهلها بالمذهب الحنبلي[٤]، صنف الكثير من الكتب منها: المبهج وكتاب الإيضاح و كتاب مختصر في الحدود وكتاب مسائل الامتحان [٥].

وممن نبغ في المذهب الشافعي أبو الفتح نصر بن إبراهيم بن داود المقدسي، ولد في مدينة نابلس ٤١٠هـ[٦]، استقر في مدينة القدس مدة طويلة[٧] درَّس فيها الفقه ، وعمل على منهاج السلف من التقشف، وتجنب لقاء السلاطين [٨] ولأبي الفتح نصر بن إبراهيم مصنفات فقهيه عديدة منها: كتاب التقريب، والفصول[٩] وكتاب الحجة على تارك المحجة، وكتاب الانتخاب الدمشقي في المذهب، والتهذيب نحو عشر مجلدات، وكتاب الكافي في المذهب، وكتاب الكفاية[١٠].

والفقيه أبو الفضل عطاء شيخ الشافعية بالقدس الشريف[١١]، ومنهم عبد الباقي بن جامع بن الحسن أبو القاسم الفقيه، سكن بيت المقدس وصحب الفقيه أبا الفتح نصر بن إبراهيم[١٢]، ومنهم عبد الجليل بن عمر بن بكران أبو محمد المقدسي المعروف بابن تعلم الفقه على يد نصر بن إبراهيم المقدسي، إضافة إلى عمله في مهنة الطب حيث كان

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٩٧
(٢) الذهبي، سير أعلام، ج ١٩، ص٥١- ٥٢
(٣) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٧
(٤) الذهبي، سير أعلام، ج ١٩، ص٥٢؛ العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٧
(٥) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٧
(٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٦٢، ص ١٥؛ الذهبي، سير أعلام، ج ١٩، ص ١٣٧
(٧) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٨
(٨) النووي، تهذيب الاسماء، ج ٢، ص ٤٢٥ - ٤٢٦
(٩) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٨
(١٠) النووي، تهذيب الاسماء، ج ٢، ص ٤٢٦؛ الذهبي، سير أعلام، ج ١٩، ص ١٤٠
(١١) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٨
(١٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٣٤، ص ٧

مشرفا على بيمارستان (مشفى) بيت المقدس، وبعد أن استولى الصليبيون على بيت المقدس استقر في دمشق[١].

ومن فقهاء المدينة أبو محمد عبد الله بن الوليد بن سعد الأنصاري ، أصله من الأندلس، رحل منها قبل ثلاث مائة والثمانين فتفقه بالقيروان، ورحل إلى مكة وسمع فيها كثيراً[٢] ، ثم انتقل إلى بيت المقدس، واستقر بها إلى أن مات سنة ٣٨٨هـ/٩٩٨م [٣]. ومنهم أبو القاسم مكي بن عبد السلام المقدسي المتوفي ٤٩٢هـ/١٠٩٩م، رحل إلى بغداد ومصر وغيرها من البلاد لطلب العلم، ثم رجع إلى بيت المقدس وأقام بها يدرس الفقه على مذهب الإمام الشافعي[٤]، ونظرا لسعة علمه كانت تأتيه الفتاوي من مصر وبلاد الشام[٥] وحينما دخلت القوات الصليبية مدينة بيت المقدس أخذوه أسيرا بعد أن علموا أنه من العلماء، وطيف به في المدينة لفدائه بألف دينار، فلم يجدوا من يفديه، فرموه بالحجارة حتى مات رحمه الله[٦]، ومنهم كامل بن ديسم بن مجاهد أبو الحسن النصري، المعروف بالمقدسي[٧]، إضاقة لأبي الحسن وحشي بن عبد الله بن إبراهيم المقدسي الذي تعلم الفقه على يد أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي، سكن مدينة الإسكندرية بعد استيلاء الصليبيين على القدس[٨]. والفقيه أبو القاسم عبد الجبار بن أحمد بن يوسف الرازي شافعي المذهب، تفقه في بداية حياته على يد علماء العراق، ثم انتقل إلى بيت المقدس[٩]، وبقي فيها حتى استشهد على يد القوات الصليبية الغازية التي احتلت المدينة سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م[١٠].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤١

(٢) الحميدي، جذوة المقتبس، ج ١، ص ٩٤

(٣) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٠

(٤) السمعاني، الأنساب، ج ٣، ص ٩٣

(٥) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٩

(٦) ابن ناصر القيسي، توضيح المشتبه، ج ٤، ص ٢٢٦

(٧) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج ٦، ص ٣٥٠

(٨) أبو طاهر السلفي، معجم السفر، ج ١، ص ٤٣١

(٩) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٩

(١٠) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٥، ص ٩٨

ومن عظماء فقهاء الشافعية زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، ولد سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م ولم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره فقيه مثله[١] التقى نظام الملك[٢] وسر بوجوده، وناظر كبار الفقهاء بحضرته، فانبهر بعلمه وشاع أمره بين الناس[٣]، فعينه النظام مدرسا في نظاميتة ببغداد[٤]، وأخذ في تأليف المصنفات في الفقه وأصوله[٥]، ثم انتقل إلى بيت المقدس[٦] مجتهداً في طاعة الله وعبادته[٧]، وأكثر تصانيفه الفقهية المشهورة كتاب إحياء علوم الدين[٨]، الذي ألفه في مدينة القدس[٩]، توفي في جمادى الأولى سنة ٥٠٥هـ/١١١١م بمدينة طوس[١٠].

كذلك من الفقهاء الأحناف أبو عبد الله محمد بن موسى البلاساغوني التركي[١١]، ويعرف بالاشتلي[١٢] توجه إلى بلاد الشام وسكن بيت المقدس وعين قاضيا عليها[١٣]، فشكوه أهل المدينة لأولى الأمر القائمين في مدينة دمشق فعزل عنها[١٤]، وولي قضاء دمشق[١٥]، تميز بسعة علمه في مذهب أبي حنيفة[١٦] فصنف أصول الفقه في المذهب[١٧]، إضافة

---

(١) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص٢٩٩

(٢) أبو علي الحسن بن علي الطوسي الملقب بنظام الملك وزير السلاطين، ابن الجوزي،المنتظم،ج١٦،ص٣٠٢

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ٣٢٣

(٤) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج ١، ص ٣٠٢

(٥) الذهبي، سير أعلام، ج ١٩، ص ٣٢٣

(٦)ابن سمعون،أمالي،ج١، ص٢٦٠؛ابن الجوزي، المنتظم،ج١٧، ص١٨؛ أبو الفداء، المختصر، ج١،ص٢٩١

(٧) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٩

(٨) الذهبي، سير أعلام، ج ١٩، ص ٣٢٣

(٩) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٩

(١٠) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٥٥، ص ٢٠٤؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ١٤٦؛ النويري، الأرب، ج ٢٣، ص ١٥٠؛ الذهبي، سير أعلام، ج ١٩، ص ٣٤٣

(١١) الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٤٧٦

(١٢) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٩

(١٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣٥، ص ١٤٨؛ العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٩؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٢٠٤

(١٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٥١، ص ١٦٥

(١٥) ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ٧، ص ١٤٩

(١٦) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٩

(١٧) ابن تغرب بردي، النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ١

لتعصبه الشديد لمذهبه[١]، وكيده لمذهب الشافعي حتى قال "لو كان لي أمر لأخذت الجزية من الشافعي" [٢] توفي سنة ٥٠٦هـ/١١١٢م [٣].

ومن أئمة المالكية الكبار العلامة أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد الأندلسي الطرطوشي[٤]، المعروف بابن رندقة[٥]، رحل إلى المشرق سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م[٦]، دَرَّسَ في الشام وتتلمذ على يديه الكثير[٧]، زار الطرطوشي مدينة بيت المقدس وعلم بها، وأخذ عنه عدة من علمائها[٨] توفي ٥٢٠هـ/١١٢٦م [٩].

والفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى المقدسي، تفقه على الشيخ نصر بن إبراهيم المقدسي، وكان يفتي ويدرس علم الفقه، توفي سنة ٥٢٧هـ/١١٣٢م، عن عمر ناهز ٦٥ سنة[١٠]

٤- علم الحديث:

الحديث : هو ما ورد عن النبي محمد -ﷺ- من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية أو خُلُقية[١١] وقد وفد إلى بيت المقدس وخرج منها أعمدة العلم والدعوة، وأئمة في الحديث النبوي الشريف [١٢].

---

(١) ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ٧، ص ١٤٩

(٢) الذهبي، ميزان الاعتدال، ج ٦، ص ٣٥٠؛ أبي الوفاء، الجواهر المضية، ج ٢، ص ١٣٦

(٣) ابن القلانسي، تاريخ، ج ١، ص ١١١

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٢٦٢

(٥) الذهبي، سير أعلام، ج ١٩، ص٤٩٠

(٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٢٦٢

(٧) الذهبي، سير أعلام، ج ١٩، ص٤٩٠

(٨) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ١٣، ص ١٦-١٧

(٩) الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٠ ؛ العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٣٠١

(١٠) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٣٠١

(١١) المناوي، فيض القدير، ج ١، ص ١٣٢

(١٢) جمال الدين الأنصاري، تحصيل الأنس، ص ٥٣

ومنهم أبو عبد الرحمن عبد الله بن شوذب الخراساني، سكن البصرة وسمع بها الحديث، ثم انتقل إلى بيت المقدس واستقر بها، ذكره بن حبان في الثقات، وقال عنه النسائي ثقة، روى عن محمد بن سيرين ومالك بن دينار، ومطر الوراق[١] وغيرهم توفي سنة ١٤٤هـ/٧٦١م[٢].

ومن علماء الحديث أبو مسعود عثمان بن عطاء بن ميسرة الخراساني، من أهل بيت المقدس[٣]، المتوفى سنة ١٥٥هـ/٧٧١م[٤]، حدث عن أبيه وأبي عمران سليم بن عبدالله الأنصاري مولى أم الدرداء[٥].

ومن المحدثين مصغر بن عطية القرشي مؤذن بيت المقدس، روى عن إبراهيم بن أبي عبلة، وروى عنه ابنه محمد[٦]، ومنهم شداد بن عبد الرحمن بن أوس الذي روى عن إبراهيم بن أبي عبلة وروى عنه عبد الله بن مروان بن معاوية الفزاري[٧] ومنهم أبو إسحاق محمد بن زياد من أهل بيت المقدس، روى عن أبى المرجى الموقري وإبراهيم بن أبى عبلة، و روى عنه موسى بن سهل الرملي ومحمد بن عوف الحمصي[٨]

ومنهم أبو عبد الرحمن عبد الله بن شوذب البلخي البصري، نزيل بيت المقدس، حدث عن الحسن البصري[٩] وعنه ضمرة بن ربيعة ومحمد بن كثير المصيصي وعدة، وثقه أحمد

---

(١) أبو رجاء مطر الوراق بن طهمان السلمي الوراق، سكن البصرة، له أحاديث مرسلة عن أنس، توفي ١٢٩هـ، الذهبي، الكاشف ج٢ ص٢٦٨؛ ابن حجر، تقريب التهذيب، ج١، ص٥٣٤

(٢) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ٢٢٥

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٣٨، ص ٤٤٥؛ ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ٥، ص ١٧٢

(٤) المزي، تهذيب الكمال، ج ١٩، ص ٤٤٤

(٥) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٣٨، ص ٤٤٥-٤٤٦

(٦) ابن حجر، تقريب التهذيب، ج ١، ص ٢٠٩

(٧) ابن حبان، الثقات، ج٦، ص٤٤١؛ السمعاني، الأنساب، ج٣، ص٤٠٩.

(٨) أبو حاتم الرازي، الجرح والتعديل، ج ٧، ص ٢٥٨

(٩) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٩، ص ١٦٤؛ ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ٤،ص ٢٢٠

بن حنبل[١] وقال عنه سفيان الثوري من المشايخ الثقاة كما وثقه النسائي[٢]روى له البخاري[٣]توفي ابن شوذب سنة ١٥٦هـ/٧٧٢م[٤].

وممن حدث ببيت المقدس أبو اسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي، أحد مشاهير العباد وأكابر الزهاد[٥]، قال عنه النسائي ثقة مأمون[٦] وقال الدارقطني أحاديثه صحيحة[٧] روى الحديث عن أبيه[٨] ومالك بن دينار[٩] وروى عن سفيان الثوري وروى سفيان عنه، وعنه خادمه إبراهيم بن بشار والأوزاعي وهو أكبر منه[١٠] توفي سنة ١٦١هـ/٧٧٨م في بلاد الروم[١١].

ومن علماء بيت المقدس المشهورين في علم الحديث أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري[١٢]، أتى المسجد الأقصى فصلى فيه، تميز بكثرة أحاديثه[١٣] حيث قال عنه يحيى بن سعيد القطان "ما رأيت أحدا احفظ من سفيان الثوري" [١٤] ، إضافة للثقه والأمانة

---

(١) الذهبي، سير أعلام، ج ٧، ص٩٢

(٢) المزي، تهذيب الكمال، ج ١٥، ص ٩٦

(٣) المصدر نفسه، ص ٩٧

(٤) ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ٤، ص ٢٢٠؛ الذهبي، سير أعلام، ج ٧، ص ٩٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٩، ص ٤٥٧

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ١٣٥

(٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٦، ص ٢٨١؛ الذهبي، سير أعلام، ج ٧، ص ٣٨٨؛ ابن الدمياطي، المستفاد، ج ١٩، ص ٤٢؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ج ٣، ص ٦٠

(٧) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٨٨

(٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ١٣٥

(٩) اليافعي، مرآة الجنان، ج ١، ص ٣٤٩

(١٠) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٨٨

(١١) أبو الفداء، المختصر، ج ١، ص ١٥٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١٠، ص ١٠ ؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٨٨؛ المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج ١، ص ٢٦٦

(١٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٣٧١؛ ابن حبان، الثقات، ج ٦، ص ٤٠١

(١٣) ابن حبات، مشاهير علماء، ج ١، ص ١٦٩

(١٤) أبو حاتم الرازي، الجرح والتعديل، ج ٤، ص ٢٢٣

النقل[١]، توفي في شعبان سنة ١٦١هـ/٧٧٨م[٢]، بمدينة البصرة [٣] روى عنه الأوزاعي و مالك بن أنس[٤] وغيرهم الكثير[٥].

ومن الأعلام المشهورين برواية الحديث أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح الكوفي المتوفي سنة ١٩٨هـ/٨١٣م[٦]، روى عن أبيه وسفيان الثوري [٧] ومالك بن دينار والأوزاعي[٨]، و عروة بن رويم اللخمي[٩]، قدم بيت المقدس وأحرم منها[١٠] وكان وكيع ثقة مأمونا كثير الحديث حجة في نقله[١١] وقال عنه الإمام أحمد بن حنبل: "ما رأيت أوعى للعلم منه ولا أحفظ"[١٢].

ومن محدثيها أبو عبد الله محمد بن المبارك بن يعلى القرشي ولد سنة ١٥٣هـ/٧٧٠م وتوفي سنة ٢١٥هـ/٨٣٠م، زار بيت المقدس وتجول في جبالها[١٣]، حدث عن مالك بن أنس وخالد بن يزيد المري[١٤]. ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي، نزيل بيت

---

(١) ابن حبان، الثقات، ج ٦، ص ٤٠٢

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٣٧١؛ ابن حبان، الثقات، ج ٦، ص ٤٠٢؛ ابن حبان، مشاهير علماء، ج ١، ص ١٦٩

(٣) البخاري، التاريخ الأوسط، ج ٢، ص ١٥٤

(٤) أبو حاتم الرازي، الجرح والتعديل، ج ٤، ص ٢٢٢

(٥) ابن حبان، الثقات، ج ٦، ص ٤٠١؛ السمعاني، الأنساب، ج ١، ص ٥١٧

(٦) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٤

(٧) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٦٣، ص ٥٨

(٨) السيوطي، طبقات الحفاظ، ج ١، ص ١٣٣

(٩) البخاري، التاريخ الكبير، ج ٨، ص ٢٥٣

(١٠) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٦٣، ص ٦٠؛ الذهبي، سير أعلام، ج ٩، ص ١٤٥؛ العليمي، الجليل، ج ١، ص ٢٩٤

(١١) الذهبي، سير أعلام، ج ٩، ص ١٤٥

(١٢) الذهبي، الكاشف، ج ٢، ص ٣٥٠؛ السيوطي، طبقات الحفاظ، ج ١، ص ١٣٣

(١٣) ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ٧، ص١٢٤– ١٢٥

(١٤) المصدر نفسه، ص ١٢٥

المقدس[١] روى عن شداد بن عبد الرحمن الأَنْصارِيّ من ولد شداد بن أوس وأخيه طلحة، وأبي طاهر موسى بن محمد بن عطاء المقدسي[٢]، وقد ذكرت أحاديثه عند ابن ماجة[٣].

ومن المحدثين أبو عبد الله محمد بن كرام السجستاني، أقام ببيت المقدس وتبعه خلق كثير من أهلها، وإليه تنسب الفرقة الكرامية التي تجيز وضع الأحاديث النبوية لأجل الترهيب والترغيب[٤].ومن علماء الحديث المشهورين على مستوى العالم الإسلامي الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي صاحب كتاب السنن[٥] وقد انتهى إليه علم الحديث[٦] قرأ الحديث على أهل بيت المقدس من كتاب الخصائص الذي اشتمل على فضائل الأعلام[٧] سمع الحديث بخراسان والعراق والحجاز ومصر والشام والجزيرة وبرع في هذا الشأن وتفرد بالمعرفة والإتقان[٨]

توفي سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م[٩] في مدينة الرملة يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر ونقل إلى بيت المقدس ودفن فيها [١٠].

ومن المصريين أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي، دخل بيت المقدس وسمع الحديث من أهلها[١١] توفي سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م[١٢] ومنهم أبو الهواء نسيم بن عبد الله الخادم سكن بيت المقدس وكان يتولى النظر في مصالح المسجد الأقصى، روى عنه عمر

---

(١) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٨٨؛ ابن ناصر القيسي، توضيح المشتبه، ج ٧، ص ٩٣

(٢) المزي، تهذيب الكمال، ج ٢، ص ١٩٢

(٣) ابن تميم المقدسي، مثير الغرام، ٣٥١

(٤) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٦

(٥) ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ج١، ص٨٠؛ المزي، تهذيب الكمال، ج١، ص٣٢٨

(٦) الذهبي، الكاشف، ج١، ص١٩٥

(٧) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٢، ص ٧٨٥

(٨) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٢، ص٦٩٨

(٩) الذهبي، الكاشف، ج١، ص١٩٥؛ ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ج١، ص٨٠؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج١، ص٨٨

(١٠) ابن النقطة الحنبلي، التقييد، ج ١، ص ١٤٣

(١١) ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج ١، ص ٢٧٤ - ٢٧٥

(١٢) ابن القيسراني، المؤتلف والمختلف،ج ١، ص ٥٢؛ السمعاني، الأنساب، ج ١، ص ١٢٠؛ ج ٤، ص ٥٣

بن أحمد بن محمد الواسطي ساكن بيت المقدس، وقد ذكر عمر أنه سمع أبا الهواء في سنة ٣٦١هـ/٩٧١م، وأن أحاديثه مستقيمة تدل على صدقه[١].

ومن المحدثين جعفر بن محمد النيسابوري قدم بيت المقدس وحدث فيه سنة ٣٧٠هـ٩٨٠م[٢] ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد بن مويس[٣] المقدسي إمام مسجد بيت المقدس من ولد شداد بن أوس، روى عنه يعقوب بن إبراهيم بن إسحاق الأصبهاني وغيره[٤]، توفي أبو العباس سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م[٥]. ومنهم أبو محمد عبد الله بن الوليد بن سعد بن بكر الأنصاري، من محدثي الأندلس، رحل من الأندلس إلى المشرق قبل ثلاث مائة والثمانين، زار فيها مكة ومصر ثم انتقل إلى بيت المقدس واستقر بها إلى أن مات[٦]

وممن نبغوا في علم الحديث الإمام الحافظ الثقة[٧] الصدوق صاحب المسانيد[٨] أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي الاصبهاني المشهور بابن المقرىء المتوفي سنة ٣٨١هـ/٩٩١م، سمع مالا يحصى من الأحاديث حيث كان يرحل لأجل ذلك، فقد مشي من أجل نسخة مفضل بن فضالة[٩] سبعين مرحلة، وقد ذكر بأنه دخل بيت المقدس أكثر من عشر مرات[١٠] سمع خلال تلك الزيارات الحديث من عبد الله بن محمد بن سلم وعدة من سكان المدينة[١١]،

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٣، ص٤٦٨؛ السمعاني، الأنساب، ج ٥، ص ٣٦٢

(٢) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٠

(٣) ابن ناصر القيسي، توضيح المشتبه، ج ٨، ص ٣١٩

(٤) ابن مقرئ، معجم ابن المقرئ، ج ٣، ص ١٦٧؛ تاريخ مدينة دمشق، ج ٣٣، ص ٣١٩

(٥) ابن ناصر القيسي، توضيح المشتبه، ج ٨، ص ٣١٩

(٦) الحميدي، جذوة المقتبس، ج ١، ص ٩٤

(٧) الخطيب البغدادي، الرحلة، ج ١، ص ٢١٠-٢١١

(٨) الذهبي، سير أعلام، ج ١٦، ص ٤٠٠

(٩) هو أبو معاوية مفضل بن فضالة بن عبيد القتباني، قاضي مصر، وكان مجاب الدعوة، توفي سنة ١٨١هـ، ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج١٠، ص٢٤٤

(١٠) الخطيب البغدادي، الرحلة، ج ١، ص ٢١٠-٢١١

(١١) الذهبي، سير أعلام، ج ١٦، ص ٣٩٨

ومن المحدثين أبو محمد عبد الله بن الوليد بن سعد بن بكر الأنصاري قضى أواخر حياته في بيت المقدس وتوفي بها سنة ٣٨٨هـ/٩٩٨م[١].

ومن محدثي القدس أبو إسحاق إبراهيم بن حارث الأنطي من أهل قرطبة بالأندلس رحل إلى المشرق سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م، فسمع الحديث بمكة ومصر وغيرها، وكانت بيت المقدس أخر محطاته، فكتب أهلها عنه الحديث ولم يكن من أهل الضبط إلا أنه كان طاهرا عفيفا خيرا توفى سنة ٣٩١هـ/١٠٠٠م ودفن في مقبرة مومرة(ماملا)[٢] ومن علماء الحديث أبو الفتح محمد بن إبراهيم بن محمد الطرسوسي المعروف بابن البصري ثقة في الحديث أخذ الحديث عن أهل العراق وحمص ودمشق وغيرها من البلاد وأخيرا استوطن بيت المقدس[٣] وسمع منه محمد بن علي الصوري [٤] توفي في القدس سنة ٤١٠هـ/١٠١٩م[٥].

ومن العلماء المشهورين أبو سعد إسماعيل بن علي بن الحسين الأستراباذي قدم بيت المقدس وأملى بها الحديث روى عنه أبو بكر الخطيب البغدادي وأبو القاسم مكي بن عبد السلام بن الحسين المقدسي وأبو القاسم سعد بن أحمد بن محمد النسوي، توفي في بيت المقدس في المحرم سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م[٦] قال عنه الخطيب البغدادي ليس بثقة، وقال ابن طاهر مزقوا حديثه بين يديه في مدينة بيت المقدس[٧] وأبو زكرياء يحيى بن أبي حسان الشامي أصله من دمشق يروي عن الليث بن سعد وأبي بكر الخطيب البغدادي، وحدَّث عن جماعة كبيرة من أهل بيت المقدس وروى عنه بعض أبنائها منهم الفقيه نصر بن إبراهيم المقدسي، مات سنة ٤٦١ وقيل ٤٦٢هـ/١٠٦٨م[٨]

---

(١) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٨٩- ٢٩٠

(٢) الأزدي، تاريخ العلماء، ج ١، ص ٢٩

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١، ص ٤١٥-٤١٦؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٥١، ص٢٣٣-٢٣٤

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٨

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١، ص ٤١٦؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٥١، ص ٤٣٥؛ ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ٦، ص ٤١٧

(٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٩، ص ١٨ - ٢١

(٧) الذهبي، المغني، ج ١، ص ٨٥

(٨) الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٤

ومن أشهر الوافدين إلى بيت المقدس من علماء الحديث محدث عصره أبو بكر أحمد بن علي البغدادي خاتم الحفاظ [١]، وهو من نوابغ علم الحديث إلى جانب تميزه بعلم التاريخ[٢]، سمع الحديث و تفوق على أقرانه من المحدثين "فجمع وصنف وصحح وعلل وعدل" حتى أصبح أحفظ أهل زمانه على الإطلاق[٣] وفي سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م كانت إقامته ما بين صور اللبنانية وبيت المقدس حتى سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م التي انتقل خلالها إلى عدة مدن وصولا إلى بغداد مسقط رأسه[٤]. صنف كثير من الكتب حيث بلغت أكثر من ستة وخمسين مصنفاً منها: شرف أصحاب الحديث، وكتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، والكفاية في معرفة أصول علم الرواية ، وكتاب تمييز المزيد في متصل الأسانيد، وكتاب التفصيل لمبهم المراسيل ، وكتاب روايات الصحابة عن التابعين[٥].

ومن النساء المحدثات العالمة المسندة كريمة بنت أحمد بن محمد المروزية، روت صحيح البخاري، تميزت بالفهم والمعرفة مع الخير والتعبد روت الصحيح مرات كثيرة منها قراءتها على أبي بكر الخطيب، خرج بها أبوها إلى بيت المقدس، وعاد بها إلى مكة، وكانت قد بلغت المئة سنة[٦]، توفيت كريمة سنة ٤٦٥هـ/١١٦٩م في مكة المكرمة[٧]

ومن المحدثين المقدسيين أبو الحسن يحيى بن تمام بن علي المقدسي المعروف بابن الرملي، قرأ الحديث في المدينة عام أربعمائة وخمسةٍ وستين هجرية، وسمع ببيت المقدس من أبو عثمان بن ورقاء الأصبهاني [٨] ومنهم أبو الحسن صادق بن خلف الأنصاري، من

---

(١) الذهبي، سير أعلام، ج ١٨، ص ٢٧٠

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٩٢؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ٣، ص ٨٨

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ص ١٢٩؛ الذهبي، سير أعلام، ج ١٨، ص ٢٧١

(٤) الذهبي، سير أعلام، ج ١٨، ص ٢٧٧

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ص ١٣٠

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص٢٣٣- ٢٣٤

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٣٩٠

(٨) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٦٤، ص ٩٩-١٠٠

أهل طليطلة بالأندلس، زار بيت المقدس وأخذ عن نصر بن إبراهيم المقدسي وأكثر في نقل الحديث عنه. وكان سماعه نصر في سنة ٤٥٢هـ/١١٦٠م، كان ثقة في روايته [١].

ومن علماء الحديث المقدسيين الذين ذاع صيتهم في الحديث مفيد الشام وشيخ الإسلام أبو الفتح نصر بن إبراهيم بن نصر المقدسي، سمع بالقدس من أبي القاسم عمر بن أحمد الواسطي وأبي الفرج عبيد الله بن محمد المراغي النحوي وعدة، استوطن بيت المقدس مدة طويلة، روى عنه الخطيب البغدادي وهو من شيوخه ومكي بن عبد السلام الرميلي وأبو الفتح نصر الله بن محمد المصيصي وغيرهم، عاش نيفا وثمانين سنة[٢] وما زال يحدث ويدرس إلى أن مات عاكفا على العلم في التاسع من محرم سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٧م[٣]، ومن أهم كتبه في الحديث التهذيب وكتاب التقريب وكتاب الكافي وغيرهم[٤]

ومن المحدثين أبو عمرو علي بن أحمد بن أبي الفرج الأندلسي، رحل إلى بيت المقدس وسمع من أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي[٥] و أبو محمد عبد الجليل بن عمر بن محمد بن بكران المقدسي المعروف بابن الخواتيمي، سمع ببيت المقدس أبا عثمان محمد بن أحمد بن ورقاء الأصبهاني والفقيه نصر بن إبراهيم المقدسي، ثم انتقل إلى دمشق بعد احتل الصليبيين بيت المقدس[٦] ومن المحدثين أبو الحسن وحشي بن عبد الله بن إبراهيم المقدسي سمَّع على أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي ببيت المقدس كثيرا من الحديث، استوطن الإسكندرية بعد استيلاء الصليبيين على القدس[٧].

ومن أئمة الحديث أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي المعروف بابن القيسراني، من أهل بيت المقدس، رحل ابن القيسراني إلى كثير من الأقطار طلبا للحديث[٨] وكان أول

---

(١) ابن بشكوال، الصلة، ج ١، ص ٧٤- ٧٥
(٢) الذهبي، سير أعلام، ج ١٩، ص ١٣٦-١٤٢
(٣) ابن الأبار، المعجم، ج ١، ص ١٩٩-٢٠٠
(٤) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٧- ٢٩٨
(٥) ابن بشكوال، الصلة، ج ١، ص ١٩٤
(٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٣٤، ص ٤١
(٧) أبو طاهر السلفي، معجم السفر، ج ١، ص ٤٣١
(٨) ابن الدمياطي، المستفاد، ج ١٩، ص ٣١

سماعه الحديث في بيت المقدس من نصر بن إبراهيم المقدسي سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م[١]،واشتهر بسعة حفظه لعلوم الحديث، فله مصنفات كثيرة تدلل على غزارة علمه وجودة معرفته منها: أطراف الكتب الستة وهي صحيح البخاري ومسلم أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة، وكتاب الأنساب [٢]،وتوفي في بغداد في ٢٥ ربيع الأول سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م[٣]

ومنهم الإمام الحافظ المسند محدث الكوفة أبو الغنائم محمد بن علي بن ميمون النرسي ولد سنة ٤٢٤هـ/١٠٣٢م، سمع الكثير من المقدسيين عندما زار المدينة[٤] وحدث عنه نصر بن إبراهيم المقدسي[٥]، قيل عنه بأنه ثقة حافظا متقنا، قرأ عليه أبو طاهر بن سلفة حديثا فأنكره وقال ليس هذا من حديثي فسأله عن ذلك فقال أعرف حديثي كله لأني نظرت فيه مرارا فما يخفى علي منه شيء، مات يوم سادس عشر من شعبان سنة ٥١٠هـ/١١١٦م، عن عمر ناهز ستاً وثمانين سنة[٦].

٥- العلوم اللغوية

أ - النحو

يعتبر علم النحو من أجلَّ وأهم العلوم اللسانية إذ نتبين من خلاله أصول المقاصد بالدلالة، فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر، ولم يظهر هذا العلم إلا بعد أن اختلط العرب بغيرهم من الأمم[٧].

تطور علم النحو في بيت المقدس أثناء العهد العباسي، حيث نشأ فيها ووفد إليها مجموعة من العلماء الذين اهتموا بنشر ذلك العلم في أنحاء المدينة[٨] ومن أوائل نوابغ علم

---

(١) الذهبي، سير أعلام، ج ١٩، ص ٣٦٨

(٢) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٣٠٠

(٣) ابن الدمياطي، المستفاد، ج ١٩، ص ٣١

(٤) الذهبي، سير أعلام، ج ١٩، ص ٢٧٤؛ العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٣٠٠

(٥) الذهبي، سير أعلام، ج ١٩، ص ٢٧٤

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٧٥-٢٧٦؛ العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٣٠٠

(٧) ابن خلدون، مقدمة، ج ١، ص ٥٤٥-٥٤٦

(٨) سليمان عطية، تاريخ، ص ١٥٣

النحو الذين زاروا بيت المقدس محمد بن إدريس الشافعي، الذي اتفق العلماء قاطبة من أهل اللغة والنحو وغير ذلك على قوة ومتانة لغته وعلو قدره[١].

ومنهم المؤتمن بن أحمد بن على المقدسي، تميز بكثرة أحاديثه، وصحة نقله، وضبطه الجيد، واهتمامه بالنحو، رحل إلى الشام فسمع ببيت المقدس من أهلها[٢]

ومن أبرز النحويين الفلسطينيين أبو محمد هياج بن عبيد الحطيني نسبة إلى قرية حطين الواقعة بين أرسوف وقيسارية، الذي أقام في بيت المقدس مدة سمع خلالها النحو من أبي الفرج النحوي بالمدينة وجماعة من مشايخ الشام ومصر، عقد هياج الكثير من الدروس النحوية، توفي سنة ٤٧٢هـ/١٠٧٩م[٣].

ومن النحويين الشيخ الإمام بركة المحدثين أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدالباقي البغدادي، المعروف بابن الخاضبة، قدم بيت المقدس، وسمع الحديث من أهلها، وأخذ عنه أعداد كبيرة من أبناء المدينة، وقد تميز ببراعته باللغة، حتى قيل عنه:"ما رأيت في أصحاب الحديث أقوم باللغة من ابن الخاضبة" توفي في بغداد سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٥م، وكانت جنازته مشهودة، وختم على قبره عدة ختمات[٤].

ومنهم أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي الفرج الأندلسي، وكان أبو الحسن من المهتمين بالعلم، فكان مميزا بالثقة فيما يروي، ضابطا لما يكتب، ولم يزل طالبا للعلم، إلى أن توفي سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م، رحل إلى المشرق، ودخل بيت المقدس، وسمع من أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي [٥].

ومنهم أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي سمع النحو من أبي الفرج عبيد الله بن محمد المراغي النحوي بالقدس[٦] ومنهم ياسين بن عبد العزيز النابلسي، الملقب بعميد بيت

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ١٦٦

(٢) ابن الدمياطي، المستفاد، ج ١٩، ص ٢٣٤

(٣) ابن القيسراني، المؤتلف والمختلف، ج ١، ص ٥٦

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ١٠٩ – ١١٢

(٥) ابن بشكوال، الصلة، ج ١، ص١٣٥– ١٣٦

(٦) الذهبي، سير أعلام، ج ١٩، ص ١٣٦–١٣٧

المقدس خرج منها إلى الإسكندرية حينما استولى الصليبيون عليها، وكان يدرس المقدسيين النحو من كتاب أبي سهل محمد بن علي بن محمد الهروي[١]

ونظرا لأهمية النحو فقد اعْتُبِر العالِم الذي لا يحسنه بمثابة نقص عنده، فعندما ذكر الذهبي أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي، المعروف بابن القيسرانى قال عنه"وكان لا يحسن النحو"[٢] المتوفى سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م [٣]

ب – النثر (الخطابة والكتابة)

تعد الخطابة والكتابة من أهم أنواع النثر، فالخطابة تهدف إلى إثارة عواطف المستمعين وإلهاب مشاعرهم، كما هو الحال في الشعر [٤].

ومن أوائل الخطباء الوعاظ الذي كان له تأثير كبير في كل من يسمعه أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم، فإنه إذا حضر مجلس، تجد الحاضرين كأنما على رؤوسهم الطير هيبة وإجلالا له[٥].

ومنهم أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد الداراني المتوفي ٢١٥/٨٣٠م هجري، أحد أوتاد العلم، وله الكثير من المواعظ منها قوله: "لكل شيء علم، وعلم الخذلان ترك البكاء" وقال أيضا:"لكل شي صدأ، وصدأ نور القلب شبع البطن"[٦]وله كثير من المواعظ الأخرى[٧].

ومنهم أبو سعد إسماعيل بن علي الأستراباذي الواعظ قدم بيت المقدس وحدث بها، وتوفي في المدينة في شهر محرم سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م[٨] ومنهم الإمام القدوة أبو الفرج عبد الواحد بن محمد بن علي المقدسي من كبار أئمة الإسلام توفي في ذي الحجة سنة

---

(١) أبو طاهر السلفي، معجم السفر، ج ١، ص ٤٦٣

(٢) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص١٢٤٢– ١٢٤٥

(٣) اليافعي، مرآة الجنان، ج ٣، ص ١٩٥

(٤) سليمان عطية، تاريخ، ص ١٨٤–١٨٥

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ١٣٩

(٦) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ج ١، ص ٦٤

(٧) للمزيد من تلك المواعظ ينظر، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٢، ص ٣٤٦–٣٤٨؛ ابن الملقن، طبقات الأولياء، ج ١، ص ٦٤–٦٦

(٨) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٩، ص ١٨ – ٢١

٤٨٦هـ/١٠٩٣م، خصص أوقات عدة خطب فيها ووعظ أهلها، لدرجة أن الملك تتش بن ألب أرسلان كان يمجده ويعظمه لفصاحته وقوة حجته [١].

ومن الخطباء أبو الحسن علي بن الحسن البغدادي، سكن بيت المقدس، وكان يخطب بالناس بعد صلاة العصر في مسجد بيت المقدس، الذي رزقه الله لسانا في علم التوحيد يدق مسامع كثير من الناس [٢] ومن الوعاظ أبو الحسن يحيى بن تمام المقدسي المعروف بالخطيب، توفي في رمضان سنة ٥١٧هـ/١١٢٣م[٣] ومنهم أبو علي الحسن بن فرج بن حاتم المقدسي الواعظ المتوفي في النصف من شعبان سنة ٥٣٥هـ/١١٤٠م[٤]

وفيما يتعلق بالكتابة فمن أهم الكتَّاب الفقيه أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي، حيث قال عنه أبا الحسن وحشي بن عبد الله بن إبراهيم المقدسي "لم أر فيمن رأيت أكثر اجتهادا في العلم ولا أزهد في الدنيا منه وكان أكثر أوقاته يذهب في النسخ"[٥].

والأمام أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي، المعروف بابن القيسراني[٦]، ولد بالقدس سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م [٧]، تميز بكثرة كتابته وجودة خطه، رحل إلى بغداد في سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م، ثم رجع إلى بيت المقدس وأحرم منه إلى مكة[٨] ومنهم أبو نصر المؤتمن بن أحمد بن على الدير عاقولي، المعروف بالمقدسي، تميز بسعة حفظه وكثرة كتابته[٩]، وحسن القراءة والخط[١٠]

---

(١) الذهبي، سير أعلام، ج ١٩، ص٥١-٥٣

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٤١،ص ٣٤٥-٣٤٦؛ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج ١٨، ص ٣٣٠

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٦٤، ص٩٩ - ١٠٠

(٤) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٣٠٢

(٥) أبو طاهر السلفي، معجم السفر، ج ١، ص ٤٣١

(٦) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٩

(٧) ابن الدمياطي، المستفاد، ج ١٩، ص ٣١-٣٣

(٨) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٣٠٠

(٩) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٧، ص ٣٠٩

(١٠) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٧، ص١٣٨- ١٣٩

٦- علم التاريخ:

التاريخ هو الزمن أو الوقت، ولفظ التاريخ يفيد الحساب والوقت، وقيل أن التأريخ الذي يؤرخه الناس ليس بعربي محض [١]، فقد ذكر بعض المؤرخين أن لفظة تاريخ كلمة محدثة في لغة العرب، مأخوذة من الكلمة الفارسية(ماه روز) والتي تعني "حساب الشهور والأيام" فعربت الكلمة فقالوا مؤرخ وتاريخ[٢]، ولكن العيني ذكر بأن كلمة تاريخ عربية الأصل فقال: "بنو تميم يقولون: وَرَّخْتُ الكتاب توريخاً، وقيس تقول: أرخته تأريخاً"[٣]، ومن المعلوم أن تميماً وقيسا قبيلتان عربيتان، وفي هذا رد على من يقول أن لفظة تاريخ ليست عربية محضة.

وقد عرف التاريخ بأنه "معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائع اشخاصهم وانسابهم ووفياتهم"[٤]، وعرفه ابن خلدون بعد جعله علما مستقلا بقوله :"يوقفنا أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا"[٥].

وأما عن فوائد التاريخ فهو أخذ العبرة من الأحداث التاريخية الماضية ومجرياتها وتجاربها وتقلبات الأزمنة فيها، لتتجنب الوقوع في نفس أخطاء الماضين، والسير على خطى الناجحين والمنتصرين[٦]كذلك عرف أبو العباس الناصري التاريخ ببيان موضوعه فقال:"التاريخ من أجل العلوم قدرا وأرفعها منزلة وذكرا وأنفعها عائدة وذخرا وكفاه شرفا أن الله تعالى شحن كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من أخبار الأمم الماضية والقرون الخالية بما أفحم به أكابر أهل الكتاب وأتى من ذلك بما لم يكن لهم في ظن ولا حساب"[٧].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٤٤؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٧، ص٢٢٦

(٢) أبو الفداء، المختصر، ج ١، ص ٨٠؛ ابن الوردي، تاريخ، ج ١، ص ١٠٤-١٠٥؛ العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ١٨٨

(٣) عمدة القاري، ج ١٧، ص ٦٦

(٤) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ١، ص ٢٧١

(٥) ابن خلدون، مقدمة، ج ١، ص ٩

(٦) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ١، ص ٢٧١

(٧) الاستقصا لأخبار، ج ١، ص ٥٩

وقد استخدم التاريخ بمعناه الاصطلاحي لأول مرة عندما أدخل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – ﷺ– التقويم الهجري، حيث بدأ استخدامه سنة ١٦هـ/٦٣٧م وذلك عندما احتاج إلى تسجيل أسماء الجنود و تحديد أعطياتهم(١).

وفيما يتعلق ببدايات الرواية التاريخية بفلسطين في فترة صدر الإسلام والخلافة الأموية، كانت على شكل قصص دينية أو أحاديث نبوية، وكان الذين يتولون روايتها للناس هم القصاص(٢).

ومن القصاص كعب الأحبار: وهو ابن ماتع أبو إسحاق الحميري أسلم زمن أبو بكر الصديق– ﷺ– وقيل في عهد عمر بن الخطاب– ﷺ–(٣)دخل بيت المقدس وكان من المكثرين في رواية القصص التاريخية(٤)توفي بحمص سنة٣٢هـ/٦٥٣م زمن الخليفة عثمان(٥)

وأبو ريحانة شمعون بن يزيد بن خنافة القرظي من بني قريظة(٦) الأنصاري(٧) يقال له مولى رسول الله –ﷺ–(٨)، كانت ابنته ريحانة سرية رسول الله -ﷺ- له صحبة وسماع ورواية وكان من الفضلاء الأخيار النجباء الزهاد في الدنيا، نزل الشام روى عنه الشاميون(٩)، سكن أبو ريحانة بيت المقدس(١٠) وكان من القصاصين المشهورين فيها(١١).

---

(١) الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٥٦٩؛ ابن سمعون، أمالي، ج ١، ص ٤٨، ٣٥١؛ البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١، ص ١٧٠؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٤٤، ص ٤٢٠؛ القلقشندي، مآثر الإنافة، ج ١، ص ٩٢

(٢) سليمان عطية، تاريخ، ص ٢١٥–٢١٦

(٣) المناوي، فيض القدير، ج ١، ص ٢٤٨

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٥٠، ص ١٧٠؛ ابن تميم المقدسي، مثير الغرام، ص٣٣٢– ٣٣٣

(٥) ابن تميم المقدسي، مثير الغرام، ص٣٣٣

(٦) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٢، ص ٧١١–٧١٢؛ المنهاجي، إتحاف الإخصا ، ج٢، ص٢٩

(٧) البخاري، التاريخ الكبير، ج ٤، ص ٢٦٤

(٨) ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ج ١، ص ٢٦٨

(٩) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٢، ص ٧١١–٧١٢؛ العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٦٥

(١٠) ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ٣، ص ٤٦٨؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب، ج ٤، ص ٣٢٠؛ إتحاف الإخصا، ج٢، ص٢٩–٣٠ ؛ العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٦٥

(١١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٣، ص ١٩٤؛ ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ٣، ص ٤٦٨؛ ابن الأثير، اسد الغابة، ج ٣، ص ٤٠١

ومنهم العلامة الإخباري القصصي أبو عبد الله وهب بن منبه بن كامل بن ذي كبار[١] من أبناء فارس[٢]، المتوفي سنة ١١٤هـ/٧٣٢م[٣]، والذي اشتهر بطابعه القصصي في روايته التاريخية[٤]،

دخل بيت المقدس وقص بها[٥]، له كتاب سماه الفتوح[٦].

ولكن في العصر العباسي تطور علم التاريخ السياسي، حيث استقلت رواياتهم التاريخية عن الطابع القصصي والأحاديث النبوية كما كان سابقا، فمن المؤرخين المشهورين الذين ينتسبون لمدينة بيت المقدس مطهر بن طاهر المقدسي، صاحب كتاب البدء والتاريخ[٧] الذي ابتعد في كتابة كما يدعي عن الخرافات والأحداث المحرفة، وفي المقابل كانت كتابته للتاريخ دفاعا عن الإسلام، ودفاعا عن الدين، وردا لكيد الأعداء، وقد اعتمد في كتابته الأسانيد الصحيحة، الذي اشتمل كتابه من بداية ابتداء ونشأة الخلق ثم ما يتبعه من قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأخبار الأمم والدول وتواريخ الملوك أصحاب الأحداث الكبيرة والمؤثرة في التاريخ من العرب والعجم، وما روى من أمر الخلفاء والأمراء، إضافة إلى الفتن والعجائب وأديان الأمم ومعاملاتهم ومنشآتهم العمرانية [٨].

---

(١) الذهبي، سير أعلام، ج ٤، ص ٥٥٦

(٢) البخاري، التاريخ الأوسط، ج ١، ص ٢٧٤؛ ابن حبان، مشاهير علماء، ج ١، ص ١٢٢؛ السمعاني، الأنساب، ج ٣، ص ١١؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٦٣، ص ٣٧٠

(٣) الفسوي، المعرفة والتاريخ، ج ٢، ص ١٨؛ الطبري، تاريخ، ج ١، ص ٤٩٦

(٤) الطبري، تاريخ، ج ١، ص ١٨١، ص ٢٨٧؛ الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٦٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ١٧٥؛ ج ٢، ص ٥؛ العيني، عمدة القاري، ج ١٥، ص ٣١١

(٥) البيهقي، شعب الإيمان، ج ١، ص ٣١٦؛ ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج ٤، ص ٢٥٠

(٦) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ٢، ص ١٢٤٠

(٧) ابن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، ص٨

(٨) ابن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، ص ٥-٦

تَكَوَّن كتاب البدء والتاريخ من ستة أجزاء[١] ومقسم إلى اثنين وعشرين فصلاً[٢]، وله بقية ما زالت مخطوطة، وقد صنف الكتاب سنة ٣٥٥هـ/٩٦٦م[٣]، تُرْجِم كتاب البدء والتاريخ إلى اللغة الفرنسية[٤].

وأبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، المعروف بالخطيب لفصاحته وحسن بلاغته[٥]: وهو من المؤرخين المشهورين[٦] وإمام عصره بلا منازع[٧]، ولد لست بقين من جمادي الأخرة، سنة ٣٩١هـ/١٠٠١م[٨]، له أكثر من مائة مصنف أهمها: كتاب تاريخ مدينة السلام بغداد[٩]، زار مدينة بيت المقدس مرات عدة[١٠] وساعد تردده على فلسطين حصوله على كثير من المعلومات التاريخية القديمة التي اشتمل عليها تاريخه [١١] توفي ببغداد في شوال سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧٢م، ودفن بجانب قبر بشر الحافي[١٢]، بعد أن أوصى بوقف كتبه، وتوزيع ماله في أعمال البر[١٣]، وقد رثاه أبو الخطاب[١٤]بأبيات منها[١٥]:

---

(١) الزركلي، الأعلام، ج ٧، ص ٢٥٣

(٢) ابن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، ج ١، ص ٨

(٣) الزركلي، الأعلام، ج ٧، ص ٢٥٣

(٤) لويس شيخو؛ تاريخ الآداب، ج ١، ص ١٠٥

(٥) السمعاني، الأنساب، ج ٢، ص ٣٨٤

(٦) الحموي، معجم الأدباء، ج ١، ص ٤٩٧

(٧) السمعاني، الأنساب، ج ٢، ص ٣٨٤

(٨) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ص ١٢٩

(٩) السمعاني، الأنساب، ج ٢، ص ٣٨٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ص ١٣٠؛ الحموي، معجم الأدباء، ج ١، ص ٥٠٠

(١٠) الحموي، معجم الأدباء ج ١ ص ٤٩٨؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ٣، ص ١١٣٦، ١١٤٢

(١١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١، ص ١٤٧؛ ج ٦، ص ٣١٥؛ ج ٧، ص ٣٩٥ ؛ ج ٨ ، ص ؛ ج ١١، ص ٣٦٣ ؛ ج١٣، ص ٢٢٠؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٥، ص ١٧٩؛الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ٣، ص ١١٣٦؛ تاريخ الإسلام، ج ٢٨، ص ٤٢٧

(١٢) السمعاني، الأنساب، ج ١، ص ٣٨٤؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ٣، ص ١١٤٤

(١٣) الحموي، معجم الأدباء، ج ١، ص ٥١٣

(١٤)هو علي بن عبد الرحمن بن هارون ابن الجراح البغدادي المقرئ، برع في علم القراءات والنحو، ولد سنة ٤١٩هـ ، الذهبي، معرفة القراء، ج ١، ص ٤٥٦

(١٥) الذهبي، سير أعلام، ج ١٨، ص ٢٩٤

فاق الخطيب الورى صدقا ومعرفة وأعجز الناس في تصنيفه الكتبا

حمى الشريعة من غاو يدنسها بوضعه ونفى التدليس والكذبا

جلى محاسن بغداد فأودعها تاريخه مخلصا لله محتسبا

ومن المؤرخين أبو القاسم مكي عبد السلام بن الحسين بن القاسم الأنصاري[١]، من أهل بيت المقدس[٢]، ولد في عاشوراء سنة ٤٣٢هـ/١٠٤٠م[٣]، عرف بكثرة تنقله وسفره إلى كثير من الأقاليم لتعلم الحديث وتعليمه للناس فقد سمع الحديث في مصر والعراق والشام وبغداد[٤]، ثم رجع إلى بيت المقدس واستقر بها[٥] إلى أن قتل شهيدا أثناء الاحتلال الصليبي لبيت المقدس في شعبان ٤٩٢ هـ/ ١٠٩٩ م[٦]، وإلى جانب شهرته في الحديث برع في التاريخ، و ترجع أهمية مكي في مجال التاريخ إلى أمرين: الأول ما رواه عن شيخه أبي المعالي المشرف بن المرجا بن إبراهيم المقدسي في كتابه فضائل بيت المقدس والشام بالأسانيد[٧]، والأمر الآخر أنه شرع في تصنيف كتابه تاريخ بيت المقدس وفضائله[٨]، الذي جمع فيه أشياء كثيرة[٩]. ويبدو أن كتاب مكي لم يصلنا لأنه قتل أثناء دخول الصليبيين المدينة وضاع كتابه معه.

ومن مؤرخي بيت المقدس المشهورين أبو المعالي المشرف بن المرجا بن إبراهيم المقدسي، من علماء بيت المقدس له كتاب فضائل البيت المقدس والصخرة وما اتصل بهم

---

(١) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٩

(٢) السبكي، طبقات الشافعية، ج ٥، ص ٣٣٢

(٣) ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ٧، ص ٤٠٥

(٤) السمعاني، الأنساب، ج ٣، ص ٩٣؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج ٥، ص ٣٣٣

(٥) السمعاني، الأنساب، ج ٣، ص ٩٣

(٦) السبكي، طبقات الشافعية، ج ٥، ص ٣٣٣

(٧) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٨

(٨) السبكي، طبقات الشافعية، ج ٥، ص ٣٣٢

(٩) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٩

من أخبار وآثار وفضائل، وهو كتاب مفيد لأنه مروي بالأسانيد، رواه عنه أبو القاسم مكي بن عبد السلام السابق ذكره[١].

ومنهم أبو الحسن محمد بن عبدالملك بن إبراهيم المقدسي، ولد في نصف شعبان سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م [٢]، صاحب التاريخ[٣] له مؤلفات كثيرة، قيل بأن فن التاريخ ختم به، ومن أهم تصانيفه التاريخية: (الذيل على تاريخ ابن جرير(الطبري)) و(عنوان السير وأخبار الوزراء)، توفي في شوال سنة ٥١٢هـ/١١١٨م[٤].

٧- الجغرافيا:

يعتبر علم الجغرافية من العلوم وثيقة الصلة بعلم التاريخ وقد اهتم المسلمون بذلك العلم على أثر الفتوحات الإسلامية واتساع افق الدولة الإسلامية وذلك لمعرفة أي المدن فتحت عنوة وأيها فتحت صلحاً، إلى جانب عوامل أخرى ساهمت في تطور ذلك العلم منها: طلب العلم والحج والتجارة والبريد إلخ[٥].

فمن مشاهير الجغرافيين الذين ينتمون إلى مدينة بيت المقدس أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي(٣٣٦-٣٨٠هـ/٩٤٧-٩٩٩م)[٦]، ولد في القدس وعمل في التجارة[٧] قدم وصفا دقيقا في جغرافية مدينة بيت المقدس، في كتابة (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)(٨) كذلك اعتمد في مصنفه منهجية عدم تكرار ما ألفه السابقين، واهتمامه بذكر الأقاليم وما فيها من"الابحار والبحيرات والأنهار ووصف أمصارها المشهورة ومدنها المذكورة ومنازلها المسلوكة وطرقها المستعملة ... وذكر السباخ ... والرمال والتلال والسهول والجبال..."[٩].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٩٨

(٢) السبكي، طبقات الشافعية، ج ٦، ص ١٣٥

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢، ص ١٩٨

(٤) السبكي، طبقات الشافعية، ج ٦، ص ١٣٥-١٣٦

(٥) سليمان عطية، تاريخ، ص ٢٢٧

(٦) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ١٢

(٧) مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، ق٢، ج٩، ص ١٤٧

(٨) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ٨٠؛ ص ١٥٣-١٦١؛ ص ١٧٩

(٩) المصدر نفسه، ، ص ٧٠

ومن المؤكد أن المقدسي قد تلقى علومه الجغرافية الأولى في فلسطين، ثم انطلق في رحلته خارج أرض فلسطين يظهر ذلك من قوله "قال لي يوماً غسان الحكيم ونحن بأريحا"[١]، كذلك له مصنفات أخرى مثل أخبار بلدان الإسلام الذي أحسن في وصف بلده بيت المقدس[٢]، وكتاب البدائع في ممالك الإسلام[٣].

قال عنه الدكتور نقولا زيادة يعتبر المقدسي خاتمة الجغرافيين الكبار في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، فالرجل مطلع على ما كتب وألف، ومتحري للدقة وصحة المعلومات، وتنقل في الأقطار والبلدان، ثم يعطي هذا كله الوقت الكافي ليحلل ما شاهده، وينظمه بحوثا وفصولا، ويدونه بعد أن يقلب الأمر على وجوهه[٤].

ومن الجغرافيين المشهورين ناصر خسرو[٥]، الذي دون في كتابه سفرنامه ما شاهده في رحلته التي قام بها من وطنه خراسان بإيران إلى أن وصل في رحلته إلى مصر[٦]، وفي رحلته تلك زار بيت المقدس في الخامس من رمضان سنة ٤٣٨هـ (١٦ مارس ١٠٤٧)[٧] واتخذها مقاما له حتى الخامس من محرم سنة ٤٣٩هـ(٧ يوليو ١٠٤٧) حيث كان يزور المدن الفلسطينية ثم يعود إليها ويزور أخرى ثم يرجع إليها وهكذا[٨].

---

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٦٢

(٢)الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٦٨

(٣) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٤٦

(٤) مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، ج٩، ق٢، ص ١٤٨

(٥) أبو المعين الدين ناصر خسرو، شغل منصب إداري هام في ولاية خرسان من أعمال الدولة السلجوقية، قضى مدة طويلة من حياته مدمنا على الكحول، حسب ما اعترف بنفسه، وفي احدى الليالي رأى هاتفا يؤنبه لاستهتاره وكثرة شربه للخمر، فما كاد يفيق من نومه حتى تاب وعزم على السفر إلى بلاد الحجاز ليحج حتى يغفر الله ذنوبه، خسرو، سفرنامه، ج ١، ص ٣٣-٣٤

(٦) خسرو، سفرنامه ج ١ ،ص ٣٤ ، ص ٨٠

(٧) المصدر نفسه، ، ص ٥٥

(٨) المصدر نفسه، ج ١، ص ٧٤

وتكمن أهمية كتاب سفرنامه في توثيق مشاهد مدينة القدس، وعيونها، ومبانيها، وأبنيتها، ومساجدها، وكنائسها، وقراها، وأسوارها، واحواضها، وصهاريج المياه، وكل صغيرة وكبيرة في المدينة المباركة[١]

٨- الرحالة :

تعد الرحلة في طلب العلم في العهد العباسي أحد أهم الأدوات الأساسية في بناء وتطوير شخصية العالم، وقد بلغت فنون الرحلة أوجها في القرنين الثالث والرابع الهجريين وما بعدها[٢]، وقد عالج الخطيب البغدادي موضوع الرحلة في كتابة (الرحلة في طلب الحديث) حيث ذكر الكثير من الأحاديث التي ترغب الناس في الرحلة[٣].

كذلك فإن نظرة المسلمين توجهت شطر القدس لجمعها خيري الدنيا والآخرة، وأنها أرض المحشر والمنشر، وعلى الرغم من تفضيل مكة المكرمة والمدينة المنورة لوجود الكعبة المشرفة وقبر الرسول محمد -ﷺ- إلا أنهما – مكة والمدينة – يزفان يوم القيامة إلى بيت المقدس[٤]. وأكد خسرو الأعداد المهولة التي تستقبلها مدينة بيت المقدس من جميع أنحاء العالم كل عام[٥]، إضافة لما سبق فهي مأوى "كل حاذق[٦] وطبيب وإليها قلب كل لبيب ولا تخلو كل يوم من غريب"[٧]

إضافة لتقدم الحياة العلمية والثقافية في مدينة بيت المقدس جذبت إليها أنظار الرحالة من كل مكان، و تميزها بمجالس المناظرة التي تعقد بين المذاهب والديانات المختلفة[٨]، حتى

---

(١) المصدر نفسه، ص ٥٦- ٧٠

(٢) أكرم ضياء العمري، موارد، ص ٣٣-٣٤

(٣) الخطيب البغدادي، الرحلة، ج ١، ص ٧١ وما بعدها

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٥٥

(٥) خسرو، سفرنامه، ج ١، ص ٥٦

(٦) الحاذق هو صاحب المهارة في كل عمل يقوم به، ويقال لليوم الذي يختم فيه الصبي القرآن: هذا يوم حذاقه، ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص٤٠

(٧) المقدسي، أحسن التقاسيم، ج ١، ص ١٥٤

(٨) ابن العربي، قانون التأويل، ص ٤٣٧؛ أحكام القرآن، ج ١، ص ٩٢؛ ج ١، ص ١٥٢؛ ج ٤ ص ٧

أن ابن العربي[١] الذي خرج بصحبه والده متوجها إلى مكة لأداء فريضة الحج، من وطنه الأندلس إلى أن وصلا القدس سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م[٢] طيلة تلك المسافة لم يتوقفا طويلا في المراكز التي مرا بها إذ لم يجدا فيها من النشاط العلمي والفكري ما يدفعهما إلى ذلك، أما مدينة القدس فقد كانت تشهد إحياء فكريا ونشاطا ثقافيا لم تعرف مثله وذلك أثناء الحكم السلجوقي الذي اهتم بالعلوم والمناظرات بعد أن توقفت تقريبا طوال فترة الحكم الفاطمي السابق[٣]، وكان لتلك الأنشطة المتنوعة التي حملت في طيتها نوعا من الإثارة إلى الدرجة التي دفعت الشاب المتنقل باستمرار إلى الإقامة فيها أكثر من ثلاث سنوات متتالية[٤].

وبناء عليه فإن المدينة كانت قبلة الرحالة، فقد رحل إليها الكثير من العلماء وكذلك رحل من أبنائها الكثير للاستزادة من العلوم المختلفة، حتى اعتبر ترك الرحلة أمرا مستغربا في تلك الفترة، فقد جاء في ترجمة أبي عمير بن النحاس الرملي المتوفي في الثامن محرم سنة ٢٥٦هـ/٨٦٩م، أنه "ثقة، لم يرحل"[٥].

ومن الرحالة الذين وفدوا إلى بيت المقدس وحدثوا أهلها أبو عبد الله محمد بن عبد الله من طليطلة بالأندلس، توفي فيها سنة٣٤١هـ/٩٥٢م[٦]. ومنهم أبو محمد عبد الله بن الوليد الأنصاري، فقيه ومحدث وزاهد أندلسي، رحل منها قبل حوالي سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م، إلى مكة ومصر ثم انتقل إلى بيت المقدس واستقر بها إلى أن مات[٧].

ومن الأعلام الذين رحلوا إلى بيت المقدس أبو بكر محمد بن إبراهيم الاصبهاني المعروف بابن المقرئ المتوفي سنة ٣٨١هـ/٩٩١م[٨]، الذي طاف الشرق والغرب أربع مرات

---

(١) محمد بن عبد الله ابن العربي الأندلسي الإشبيلي المالكي ولد سنة ٤٦٨هـ، التقى بمكي بن عبد السلام عند زيارته لمدينة القدس، الذهبي، سير أعلام، ج ٢٠، ص ١٩٨

(٢) ابن العربي، قانون التأويل، ص ٤٣٤

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٣٤-٤٤٢

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٣٣

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١٩، ص ٢٢٥

(٦) الأزدي، تاريخ العلماء، ج ٢، ص٦٣ - ٦٤

(٧) الحميدي، جذوة المقتبس، ج ١، ص ٩٤

(٨) الخطيب البغدادي، الرحلة، ج ١، ص ٢١٠-٢١١

قال عن نفسه طفت الشرق والغرب أربع مرات وقال أبو طاهر بن سلمة[١] أنه سمع ابن المقرئ يقول "دخلت بيت المقدس عشر مرات"[٢]، وأخذ العلم من علماء عدة بالمدينة[٣].

كذلك رحل أبا إسحاق إبراهيم بن حارث من أهل قرطبة بالأندلس إلى المشرق سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م فسمع بمكة ومصر، ثم توجه إلى بيت المقدس وكتب عنه أهلها، وبقي في المدينة إلى أن توفي فيها سنة ٣٩١هـ/١٠٠٠م، ودفن في مقبرة مومرة(مأمن الله)[٤].

و مكي بن عبد السلام المقدسي، أحد الجوالين في الآفاق[٥] كثير التعب والنصب والسهر[٦]، رحل إلى مصر والشام والبصرة وبغداد وغيرها من المناطق[٧]، ثم رجع إلى بيت المقدس بعد رحلته تلك واستقر بها، إلى أن قتل شهيدا على يد الاحتلال الفرنجي سنة ٤٩٢/١٠٩٩م[٨]، ومن الرحالة أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي من بلاد المغرب، زار معظم انحاء العالم، بدأ رحلته سنة ٤٢٥هـ/١٠٣٣م، وقد بلغ عدد الشيوخ الذين تلقى علومه على يديهم ١٢٢ شيخ، منهم علماء مقدسيين عند زيارته المدينة[٩].

ومن الأعلام العراقيين أبو بكر الخطيب البغدادي الذي رحل إلى البصرة ومكة وغيرها من البلاد[١٠] أما عن زيارته لمدينة بيت المقدس فقد سجل الخطيب وجوده فيها في شهر سنة ٤٤٥هـ/١٠٥٣م [١١]، كما كان يتردد عليها خلال إقامته في صور[١٢]، وقد التقي فيها

---

(١) الشيخ المحدث أبو طاهر الحسين بن علي ابن الحسن الهمذاني، ولد سنة ٣٤٠هـ، تميز بكثرة ترحاله، توفي في ذي القعدة سنة ٤١٦هـ، الذهبي، سير أعلام، ج١٧، ص٤٣٥

(٢) الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، ج ١، ص ٢١٠-٢١١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٦ ، ص ٤٠٠؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ٣، ص ٩٧٤

(٣) الذهبي، سير أعلام، ج ١٦، ص ٣٩٨

(٤) الأزدي، تاريخ العلماء، ج ١، ص ٢٩

(٥) السبكي، طبقات الشافعية، ج ٥، ص ٣٣٢

(٦) العليمي، الأنس الجليل ج ١، ص ٢٩٩

(٧) السمعاني، الأنساب، ج ٣ ص ٩٣

(٨) السبكي، طبقات الشافعية، ج ٥، ص ٣٣٣

(٩) الذهبي، معرفة القراء ، ج ١، ص ٤٢٩-٤٣٠

(١٠) الذهبي، سير أعلام، ج ١٨، ص ٢٧٤

(١١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٢٢٠

(١٢) الحموي، معجم الأدباء، ج ١، ص ٤٩٨

باثنين من أهم شيوخها، وروى عنهم في مصنفه تاريخ بغداد وهما: نصر بن إبراهيم المقدسي[١]، وأبو أسعد إسماعيل بن علي الاستراباذي[٢]. ومن الرحالة أبو الفضل محمد بن طاهر الشيباني، المعروف بابن القيسراني، ولد بالقدس في شوال سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م، وأخذ علومه الأولى عن أبي نصر بن إبراهيم المقدسي[٣]ثم رحل في طلب العلم إلى كثير من الأقطار كمصر والشام والعراق[٤]ثم رجع إلى بيت المقدس وأحرم منه إلى مكة[٥]

٩- الشعر

يمكن ملاحظة أن شعراء بيت المقدس ظهروا بصورة واضحة وجلية في القرن الرابع والخامس الهجريين، والصفة الغالبة على شعر المدينة تلك الأشعار الصوفية التي تمجد الله – سبحانه وتعالى–.

ومن أوائل الشعراء خلال فترة الدراسة تلك المرأة التي برعت في شعر المديح والتعبد إلى الله وهي أم الخير رابعة بنت اسماعيل العدوية البصرية مولاة آل عقيل الصالحة المشهورة، كانت من أعيان عصرها، وأخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة [٦] ، ومن شعرها في محبة الله :

أحبُّك حبين : حب الهوى . . . وحبًّا لأنك أهل لذاكا

فأما الذي هو حب الهوى . . . فشغلي بذكرك عمن سواكا

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١، ص ٤٣، ص ١٤٧؛ ج ٧، ص ٣٩٥؛ ج ٨، ص ٣٢٥؛ ج ١١، ص ٣٢٩؛ ج ١١، ص ٣٦٣

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٢، ص ٦٠؛ ج ٦، ص ٣٠٩؛ ج ٨، ص ٣٤٣؛ ج ١٤، ص ٢٠٩، ص ٣٠٠، ص ٣٩٠

(٣) ابن الدمياطي، المستفاد، ج ١٩، ص ٣١-٣٣

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٥٣، ص ٢٨٠؛ الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٧٢

(٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٢٨٧

(٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٢٨٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ١٨٧؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ١، ص ٢٨١؛ الأنس الجليل، ج ١، ص ١٩١- ٢٩٢

وأما الذي أنت أهل له . . . فكشفك للحجب حتى أراكا [١]

ثم شهقت شهقة فإذا هي قد فارقت الدنيا[٢]توفيت أم الخير سنة ١٨٥هـ/٨٠١م[٣] قبرها على رأس جبل الطور، شرقي بيت المقدس، وهو مأنوس يأتي الناس إليه[٤].

ومن الشعراء الذي زار بيت المقدس الإمام محمد بن إدريس الشافعي، وهو من أصحاب المذاهب الأربعة، والذي انتشر مذهبه في معظم أرجاء فلسطين، إضافة لما سبق فله الكثير من الأشعار [٥] ومن من شعره ما ذكره المزني[٦] أنه أخذ الشافعي بيده قائلا

أحب من الإخوان كل مواتي وكل عفيف الطرف عن عثراتي

يوافقني في كل خير أريده ويحفظني حيا وبعد مماتي

ومن لي بهذا ليتني قد أصبته فقاسمته ما لي من الحسنات

فأقسم بالرحمن أن لو وجدته لقاسمته مالي من الخيرات

تصفحت إخواني فكان جميعهم على كثرة الإخوان غير ثقات[٧]

ومن شعراء بيت المقدس ما ذكره محمد بن المبارك الصوري المتوفي ٢١٥هـ/٨٣٠م[٨]، أثناء تجواله في جبال بيت المقدس إذ رأى امرأة وعليها مدرعة وخمار من صوف ومن شعرها:

---

(١) الغزالي، إحياء علوم، ج ٤، ص ٣١٠؛ ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج ٤، ص ٣٧٥

(٢) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ج ٩، ص ٣٤٨

(٣)اليافعي، مرآة الجنان، ج ١، ص ٢٨٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ١٨٧

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٢٨٧

(٥) المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٦٦

(٦) الفقيه أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني المصري صاحب التصانيف أخذ عن الشافعي الكثير، توفي سنة ٢٦٤هـ، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج١، ص٥٨

(٧) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٥١، ص ٤١٧

(٨) المصدر نفسه، ج ٥٥، ص ٢٢٥

دنياك غرارة فذرها فإنها مركب جموح[١]

لا ترد الشر واجتنبه فإنه فاحش قبيح

والخير خير فدم عليه فإنه واسع فسيح

ومن الشعراء الملحدين أبو سعيد العفيري، إضافة لمعرفته ومهارته بفنون السحر، ومن أشعاره التي تنم عن شركه بالله قوله:

هي الدنيا وليس لها تناه ونوم القبر ليس له انتباه

وليس يخرب الدنيا الحكيم القديم القادر الأحد الإله

وله أشعار كثيرة في معناهما، وكان له أخٌ من أعبد الناس وأزهدهم يسمى رمادة غضب –لله سبحانه– عندما سمع الأبيات والمقتطفات من شعر أخيه، واضمر قتله، حتى بات عنده ليلة وترصد نومه فخنقه بيده[٢]

ومن الذين برعوا في مختلف فنون الشعر وعلومه محمد بن أحمد بن سعيد المصري، أحد شعراء مصر المعروفين، أدرك أواخر الدوله الإخشيدية، و أوائل الدولة العلوية ، حيث برع في شعر المديح والتشبيهات، وذكر الأزهار وأوصافها، والغزل والمراثي والزهد وغير ذلك، خرج إلى الشام ونزل بيت المقدس، وتنزه في قراها وبلداتها وأماكنها العامه[٣]

ومنهم أحمد بن نصر بن محمد أبو الحسن الزهري المعروف بالخرزي[٤] المقيم في بيت المقدس[٥]، وله أبيات من الشعر، توفي أبو الحسن الزهري بنيسابور في رمضان سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م [٦]. ومن الشعراء الذين أقاموا ببيت المقدس ودفنوا فيها أبو العباس أحمد بن

---

(١) أي الخيل المسرعة، ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٤٢٧

(٢) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج ٥، ص ٣٦

(٣) القفطي، المحمدون، ج ١، ص ٣٢٩

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٥، ص ١٨٤

(٥) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٨٨

(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٥، ص ١٨٤

محمد الشهرزوري ، وكان فقيها شاعرا، توفي في ذي القعدة سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م، له قصيدة طويلة منها :

سألت طيفك عن تلفيق إفكهم فقال معتذرا لا كان ما قالوا

سعى الوشاة بقطع الود بينكما وللمودات بين الناس آجال[١]

ومن الشعراء الذين زاروا بيت المقدس الفقيه محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الطرطوشي الأندلسي المعروف بابن أبي رندقة، رحل إلى المشرق سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م، له قصائد من الشعر، وكان كثيرا ما ينشد:

إن لله عبادا فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

فكروا فيها فلما علموا أنها ليست لحي وطنا

جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا[٢]

ومن الشعراء الذين زاروا مدينة بيت المقدس أبو السمح إبراهيم بن عبد الله بن جعفر التنوخي، كان من الزهاد العباد وله مقتطفات من الشعر[٣]، توفي سنة ٥٠٣هـ/١١٠٩م[٤] ومنهم الفقيه أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الذي أنشد قائلا:

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ونال من الدنيا سرورا وأنعما

كبان بنى بنيانه فأتمه فلما استوى ما قد بناه تهدما[٥]

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٩٥ – ٩٦

(٢) ابن خلكان، وفيات، ج ٤، ص ٢٦٢؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ٣، ص ٢٢٦؛ الملا القاري، مرقاة المفاتيح، ج ٩، ص ٤٥٨

(٣) أبي الوفاء، الجواهر المضية، ج ١، ص ٤٠

(٤) ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ١، ص ٤٧١

(٥) أبو طاهر السلفي، معجم السفر، ج ١، ص ٤٣١

كذلك صحب الشعر مجالس العلماء واجتماعاتهم، وكان له بالغ الأثر في الموعظة حتى وصلت في بعض الأحيان إلى أن يتوفى أحد الحاضرين[١].

١٠- الفلسفة وعلم الكلام

من أبرز فلاسفة بيت المقدس أبو سليمان محمد بن معشر المقدسي جمع أصناف العلم، وكون مع مجموعة من أصدقائه الحكماء كأبي الحسن علي بن هارون الزنجاني وأبي أحمد المهرجاني وغيرهم[٢] مذهبا زعموا أنه يقربهم إلى الله، باعتبارهم الشريعة قَدْ ملئت بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل إِلَى تغييرها وتطهيرها إِلاَّ بالفلسفة لأنها حاوية للحكمة وزعموا أن اندماج الفلسفة اليونانية مع الشريعة الإسلامية يحصل الكمال وبناءً عليه كتبوا خمسين رسالة فِي جميع موضوعات الفلسفة، وأطلقوا عليها اسم إخوان الصفا التي امتلأت بالكلمات الدينية والأمثال الشرعية والخرافات والتلفيقات والموسيقى وعلم المنطق وغير ذلك(٣) وكانت ألفاظ تلك الرسائل ترجع إلى أبي سليمان المقدسي [٤] الذي اقتبس كثيرا من الفلسفة اليونانية[٥].

ومن الفلاسفة البارعين في الفلسفة وعلومها أبو حامد محمد بن محمد الغزالي[٦] المتميز بمهارته وبراعته في الكلام والجدل والحكمة حتى صار أفضل المناظرين، وقد بدأ في تأليف مصنفاته في تلك العلوم وعُمْره في سن الثلاثين، فانبهر الوزير البغدادي نظام الملك وعينه مدرسا في نظامية بغداد، ثم ترك تلك الوظيفة وسكن دمشق[٧] و قد اطلع الغزالي على مختلف العلوم، والتقى بأربابها حتى تفتحت له أسرارها وخباياها[٨] وأهم كتبه في الفلسفة

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٦٢، ص ٤٦ ابن الدمياطي، المستفاد، ج ١٩، ص ١٨٩؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج ٧، ص ٤٨

(٢) البيهقي، تتمة صوان، ج ١، ص ٤؛ القفطي، أخبار العلماء، ج ١، ص ٣٩

(٣) القفطي، أخبار العلماء، ج ١، ص ٣٩

(٤) البيهقي، تتمة صوان، ج ١، ص ٤

(٥) السبكي، طبقات الشافعية، ج ٤، ص ٦٧؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ١، ص ٦٨٣

(٦) الذهبي، سير أعلام، ج ١٩، ص ٣٢٢

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٧، ص ١٨؛ الذهبي، سير أعلام، ج ١٩، ص ٣٢٣

(٨) الذهبي، سير أعلام، ج ١٩، ص ٣٢٥

المنتحل في علم الجدل، ومشكاة الأنوار والمنقذ من الضلال[١]، وتهافت الفلاسفة الذي رد فيه على أباطيل الفلاسفة[٢].

اعتمد الغزالي في علومه الفلسفية على رسائل إخوان الصفا سابقة الذكر، وكذلك استمد علومه الفلسفية من أبو علي ابن سينا الذي كثرت مصنفاته الفلسفية [٣]، وقد انتقل الغزالي إلى بيت المقدس سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م، ثم زارها مرة أخرى قبل أن يرجع إلى بلده طوس الإيرانية[٤] وأخذ في تصنيف أهم كتبه إحياء علوم الدين بالقدس، و أقام بالزاوية الغزالية نسبة إليه التي على باب الرحمة المعروفة الواقعة شرقي بيت المقدس[٥]، توفي ١٤ جمادى الآخرة عام ٥٠٥هـ/١١١١م، وله خمس وخمسون سنة[٦]

١١- التصوف والصوفية

التصوف علم من العلوم الشرعية وأصله المداومة على العبادة والانقطاع إلى الله – سبحانه وتعالى– والابتعاد عن زخرف الدنيا وزينتها والتزهد فيما يقبل عليه الناس من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق للتفرغ للعبادة[٧].

ومن متصوفي بيت المقدس العارف بالله أبو اسحاق إبراهيم بن ادهم [٨] قال سفيان الثوري أن إبراهم بن أدهم يشبه النبي إبراهيم الخليل عليه السلام، له سرائر ومعاملات بينه وبين الله –عز وجل– [٩]، ومن أقواله: "أنعم الله على الفقراء لا يسألهم يوم القيامة عن زكاة

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٢١٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣٥، ص ١٢٥–١٢٦

(٢) البيهقي، تتمة صوان، ج ١، ص ٥

(٣) السبكي، طبقات الشافعية، ج ٦، ص ٢٤١

(٤) اليافعي، مرآة الجنان، ج ٣، ص ١٧٨

(٥) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٩

(٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٥٥، ص ٢٠٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٧، ص ١٢٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ١٤٦.

(٧) ابن خلدون، مقدمة، ج ١، ص ٤٦٧

(٨) اليافعي، مرآة الجنان، ج ١، ص ٣٥٠

(٩) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ١٣٦–١٣٧

ولا عن حج ولا عن جهاد ولا عن صلة رحم إنما يسأل ويحاسب هؤلاء المساكين الأغنياء"[١] وكذلك كان هو وأصحابه يمتنعون عن الاستحمام، وشرب الماء البارد، و لبس الأحذية[٢] قدم بيت المقدس، وتعبد بالصخرة الشريفة، توفي سنة ١٦١هـ/٧٧٧م[٣]

ومن النساء المتصوفات رابعة ابنة إسماعيل العدوية الشهيرة، المتوفاة سنة ١٨٥هـ/٨٠١م[٤]، كانت تقول في مناجاتها "إلهى تحرق بالنار قلبا يحبك فهتف بها هاتف مرة ما كنا نفعل هذا فلا تظنين بنا ظن السوء"[٥] "وقال عندها يوما سفيان الثوري واحزناه فقالت لا تكذب بل قل وا قلة حزناه لو كنت محزونا لم يتهيأ لك ان تتنفس"[٦]"ومن وصاياها اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم"[٧].

وكذلك من المتصوفين محمد بن المبارك الصوري المتوفي سنة ٢١٥هـ/٨٣٠م[٨] الذي زار بيت المقدس وتجول في جبالها ومن أقواله: "اعمل لله فإنه أنفع لك من العمل لنفسك، فإذا عملت لله فاعمل للدار التي تحتاج إلى نزولها غداً عند الله عز وجل" وقال أيضا: "لكل شيءٍ ثمرةٌ، وثمرة المعرفة الإقبال على الله عز وجل"[٩].

ومنهم بشر بن الحرث الحافي أحد رجال الصوفية، ومن كبار الصالحين وأعيان الأتقياء الورعين ، قِيْلَ له لِمَ يفرح الصالحون بمدينة القدس ؟ فأجاب: لأنها تزيل الهم ولا

---

(١) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ج ٧، ص ٣٦٩؛ البيهقي، شعب الإيمان، ج ٢، ص ١١٤؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٦، ص ٢٩٥؛ ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج ٤، ص ١٥٥

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ١٣٨

(٣) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٣

(٤) اليافعي، مرآة الجنان، ج ١، ص ٢٨١

(٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٢٨٥

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٧، ص ٣٢٨؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٢٨٥؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ١، ص ٢٨٢

(٧) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩١

(٨) ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ٧، ص ١٢٤؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٣٨٧

(٩) ابن منظور، مختصر تاريخ، ج ٧، ص١٢٤

تشتغل النفس بها، وقال ما بقي عندي من ملذات الدنيا إلا أن استلقي على جنبي تحت السماء بمسجد بيت المقدس[١] ، توفي سنة ٢٢٧هـ/٨٤١م ببغداد[٢]

ومنهم ذو النون المصري أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم أحد رجال الطريقة المتوفي ٢٤٥هـ/٨٥٩م[٣]

ومن كبار الصوفية أبو عبد الله محمد بن خفيف الفارسي شيخ الصوفية، قيل بأن التصوف ختم به[٤] وكان أبو عبد الله من أولاد الأمراء فتزهد حتى كان يجمع الخرق من المزابل ويغسلها ويصلح منها ما يلبسه، حج بيت الله الحرام ثم توجه بعدها إلى بيت المقدس[٥] توفي في شهر رمضان سنة ٣٧١هـ/٩٨١م، و قد ازدحم الخلق على نعشه[٦]

ومنهم أبو القاسم عبد الواحد بن محمد بن أحمد الزاهد، سكن بيت المقدس وحدث بها عن أبي الفتح نصر المقدسي[٧] و أبو القاسم عبد الجبار بن أحمد بن يوسف الرازي الصوفي الزاهد استوطن بغداد مدة ثم انتقل إلى بيت المقدس وسلك سبيل الورع والانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى إلى أن استشهد على يد الصليبيين سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م[٨].

و منهم أبو الحسن محمد بن حاتم بن محمد الطوسي المتوفى سنة ٥١٢هـ/١١١٨م، كان صدوقاً خبيراً و فقيهاً صوفياً معروفا[٩].

---

(١) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٥

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص ٧٢

(٣) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٥

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢٦، ص ٥٠٧

(٥) الذهبي، سير أعلام، ج ١٦، ص ٣٤٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢٦، ص ٥٠٨

(٦) الذهبي، سير أعلام، ج ١٦، ص ٣٤٧

(٧) ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج ١٦، ص ٢٨٥

(٨) السبكي، طبقات الشافعية، ج ٥، ص ٩٨؛ العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٩٩

(٩) العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٨٩

١٢- علم الطب في القدس:

هناك الكثير من الأطباء الذين ترعرعوا في المدينة المباركة، ومن أطباء بيت المقدس أبو علي الحسن بن محمد بن أبي نعيم، طبيب فاضل اشتهر فِي زمانه، وكان مقيماً بمدينة بيت المقدس، وهو أهم مشايخ ومعلمي محمد بن سعيد التميمي الترياقي الذي سيتم ذكره فيما بعد، وعنه أخذ التميمي كثيرا من أدويته ومعاجينه العلاجية[١].

كذلك من أطباء بيت المقدس المشهورين الذي اجتمع به محمد بن سعيد التميمي في القدس الحكيم الفاضل الراهب المدعو أنبا زخريا بن ثوابة، برع هذا الراهب في موضوعات كثيرة متعلقة بالعلوم الطبية، وهو من المقيمين في بيت المقدس في المائة الرابعة من الهجرة، و كذلك كان له نظر في أمور الصيدلة فقد عمل في تركيب الأدوية وأعشابها، فتتلمذ محمد التميمي على يديه و رافقه لينهل من علومه الطبية الكثيرة والمتنوعة والتي كان يجهلها التميمي[٢]وقد ذكر التميمي في كتابه مادة البقاء، المركبات الطبية التي تعلمها من الراهب الأنبا زخريا [٣].

ومن أطباء بيت المقدس سعيد التميمي المقدسي، الذي اتقن مهنة الطب وعلم حفيده محمد بن أحمد، وقد أورثه العناية بالأعشاب الطبية وتركيبها[٤]، ولكنه لم يبلغ شهرة حفيده محمد في مهنة الطب.

أما عن أهم الأطباء الذين عرفتهم بيت المقدس أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد التميمي ونَسَبَه بين الأطباء مشهور أكثر من اسمه، كان مقامة بمدينة بيت المقدس وضواحيها ، فقد قضى فيها أوائل سنوات حياته، وقرأ فيها علم الطب[٥]، مجتهدا في طلب العلم والاستفادة منه حتى اطّلع على دقائق وتفاصيل صناعة الطب، وبذلك اكتسب خبرة في

---

(١) القفطي، أخبار العلماء، ج ١، ص ٧٦

(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج ١، ص ٥٤٦

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٤٧

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٤٧

(٥) القفطي، أخبار العلماء، ج ١، ص ٤٩

تركيب الأدوية والمعاجين ، وعمل في البحث عن أدوية الترياق الكبير (الفاروق) وطريقة تحضيره وتركيبة، مكوناً منه شيئاً كثيراً حتى أحسن الصنعة فلقب بالترياقي[١].

ولشهرته في الأمراض وطرق علاجها دعاه والي مدينة الرملة والمناطق الساحلية التابعة إليها الحسن بن عبد الله بن طغج الإخشيدي، وأصبح مختصا بعلاجه، كما قام بتركيب أدوية ومعاجين من ابتكاره لذلك الوالي، والتي من خلالها حظي بحب واحترام الحسن الإخشيدي[٢].

وبعد سقوط الدولة الإخشيدية، وتوّلي المعزّ لدين الله الفاطمي الحكم في مصر، توجه التميمي إليها للعمل طبيبا في قصر الوزير يعقوب بن يوسف بن كلّس المتوفي ٣٨٠هـ/ ٩٩١ م وزير المعز الفاطمي وأهداه أشهر مصنفاته، عرف باسم مادة البقاء في إصلاح فساد الهواء والتحرر من ضرر الأوباء[٣].

إضافة لما سبق فإن استقرار التميمي بمصر أتاح له فرصة الاجتماع والمناظرة مع أطبائها بالإضافة إلى الأطباء القادمين من المغرب في صحبة المعز فناقشهم وحاضرهم، ومن نافلة القول أن التميمي تميّز برجاحة عقله وتوّخيه الحق، والإنصاف في ومناقشاته[٤].

و أما عن أهم مؤلفات محمد بن أحمد التميمي فهي كثيرة ومتنوعه منها: كتاب مخلص النفوس الذي ألفة في مدينة بيت المقدس، وأهم فوائده معالجة السموم القاتلة المشروبة والمصبوبة في الأبدان كلسع الأفاعي والثعابين وأنواع الحيات القاتلة والعقارب، وغيرها وذوات الأربع والأربعين رجلا، وقد تم تجريبه وأثبت فعاليته ونجاحة، وكتاب مادة البقاء في فساد الهواء، وكتاب مفتاح السرور من كل الهموم، وكتاب مفرج النفس الذي ألفه لبعض إخوانه في مصر، ومن كتبه رسالة إلى ابنه علي في كيفية صناعة الترياق الفاروق و تسمية أشجاره الصحيحة وأوقات جمعه وكيفية عجنه وذكر منافعه وكيفية تجربته[٥].

---

(١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج ١، ص ٥٤٦

(٢) القفطي، أخبار العلماء، ج ١، ص ٤٩

(٣) المصدر نفسه؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج ١، ص ٥٤٧

(٤) القفطي، أخبار العلماء، ج ١، ص ٤٩

(٥) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج ١، ص ٥٤٨

وكتاب في مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء والتحرر من ضرر الأوباء صنفه للوزير أبي الفرج يعقوب بن كلس بمصر[١]،وكتاب آخر سماه كتاب مختصر في الترياق، ومقالة في ماهية الرمد وأنواعه وأسبابه وعلاجه[٢] و كتاب حبيب العروس وريحان النفوس[٣] المكون من مجلدين، وكتاب الفحص والاختبار[٤].

ومن أطباء بيت المقدس الذي ورد ذكره في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري دعي بيوسف النصراني، الذي برع في علم الطب و في العلوم المختلفة، أرسله أبو المنصور نزار الملقب بالعزيز بالله الفاطمي، عام ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م، بطريركا على بيت المقدس، وأقام في الرئاسة مدة ثلاث سنين وثمانية أشهر، ثم عاد إلى مصر [٥].

أما عن المشافي الطبية التي أنشئت في بيت المقدس، فكان أول مشفى بني في المدينة زمن الفاطميين والتي ذكرها ناصر خسرو بقوله :"وفي بيت المقدس مستشفى عظيم، عليه أوقاف طائلة، ويصرف لمرضاه العديد من العلاج والدواء، وبه أطباء يأخذون مرتباتهم من الوقف المقرر لهذه المستشفى"[٦]. ولم يذكر خسرو أي معلومات إضافية عن عدد المرضى الذين يستقبلهم المستشفى وطبيعة الأمراض التي كانت تعالج فيها، كذلك لم يحدد أقسامها، أو أسماء الأطباء والممرضين والعاملين فيها، وغيرها من التفاصيل الأخرى، ولكن المهم في الفقرة السابقة أن الطب في القدس كان متقدم ومتطور لدرجة أن الأدوية والعلاجات متوفرة في المشفى،تصرف لمحتاجيها دون الحاجة إلى السفر لشرائها وربما كانت تلك الأدوية تعطى لهم بالمجان لكثرة الأوقاف والأموال المقررة لها.

---

(١) القفطي، أخبار العلماء، ج ١، ص ٤٩

(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج ١، ص ٥٤٨

(٣) الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٣١٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج ١٢، ص ٤١؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٢، ص ١٢٦؛

(٤) إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، ج ٦، ص ٤٩

(٥) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج ١، ص ٥٤٥

(٦) خسرو، سفرنامه، ج ١، ص ٥٧

الخاتمة

توصل الباحث من خلال دراسته إلى عدد من النتائج منها :

- التشابه الكبير بين مدينة بيت المقدس ومدينة نابلس في الكثير من الأحوال الاجتماعية – لاسيما– طريقة اللباس وكيفية تحضير المأكولات وإنضاج الخبز وغير ذلك.
- القوى السياسية التي سيطرت وتعاقبت على مدينة بيت المقدس تمسكت بها إلى أخر رمق نظرا لمكانتها وأهميتها الدينية.
- بيت المقدس كانت أكبر وحدة إدارية في فلسطين حتى وصلت مساحتها إلى أربعين ميل.
- هاجرت أعداد كبيرة من الصحابة والتابعين إلى بيت المقدس من أجل الرباط فيها والحصول على أجر السكن والاستقرار بها.
- قام الاقتصاد المقدسي على ركائز الزراعة والصناعة والتجارة، وتفاوت نسبة هذه الركائز في البنية الاقتصادية.
- تميزت بيت المقدس بكثرة أسواقها التي ساهمت بتطور الحياة التجارية والاقتصادية فيها وتخصيص تلك الأسواق لبعض السلع، سهلت على المشتري المقدسي اختيار السلعة بسهولة ويسر.
- شهدت بيت المقدس تماسك اجتماعي بين مختلف الطوائف فيها، حيث كان يعقد فيها الكثير من جلسات المناظرة والحوار.
- كان العرب المسلمين المنتشرين في بيت المقدس الأكثرية السكانية، يليهم النصارى، بينما ندر وجود اليهود الذين اقتصر وجودهم كعمال وخدم بالأجرة في المسجد الأقصى.
- كان ظهور آل جراح على مسرح السياسة في فلسطين خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين يعتبر من أسوأ مراحل التاريخ الفلسطيني في القرون الخمسة الهجرية الأولى.

- أن مدينة بيت المقدس تبعها عدد كبير من القرى والبلدات، وأن تلك البلدات لها نصيب كبير في تزويد المدينة في جوانب عدة، اقتصادية واجتماعية وعلمية.
- عامل المسلمون أهل الذمة معاملة متسامحة، وقد أحسنوا إليهم وأنصفوهم، كما تمتع، أهل الذمة بحرية ممارسة شعائرهم الدينية وعاداتهم الخاصة، في جو من السلم المجتمعي الذي لم يعكر صفوه سوى بعض الحوادث العارضة.
- تأثرت الحياة الاجتماعية كثيرا بالتقلبات السياسية والهزات الزلزالية المدمرة التي تعرضت لها المدينة، كذلك كان لبعض ولاة القدس السياسيين دور كبير في تردي الوضع الاجتماعي وهروب الكثير من سكانها وخاصة النصارى.
- ازدهرت الحياة العلمية خلال فترة الدراسة عدا العهد الفاطمي، لتدهور الأوضاع السياسية والاختلاف المذهبي مع أهل القدس.
- اشتهرت قرى بيت المقدس وبلداتها بكثرة خيراتها فكانت تمد يد العون ومساعدة القرى المجاورة لها وخاصة مدينة الخليل.
- كان علم الحديث الأكثر انتشارًا بين سكان القدس، وقد أنجبت عدداً كبيراً من المحدثين الأعلام، كما زارها عدد كبير من مشاهير علماء الحديث ليأخذوا رواية أهلها.
- شكلت بيت المقدس الأرض الخصبة للزهاد والعباد من شتى بقاع الأرض.
- لأهل بيت المقدس وعلمائها اسهام واضح وجلي في معظم العلوم الدينية والأدبية من قراءات وحديث وتفسير وفقه ولغة وأدب وتاريخ وجغرافيا.
- وفدت أعداد كبيرة جدا من العلماء وطلبة العلم إلى بيت المقدس، نظرا لقوة النهضة العلمية التي جذبت إليها الزائرين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي من أقصى الغرب الأندلس إلى أقصى الشرق العربي

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: المصادر

١. ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي رضي الله عنه، دار النشر : دار صادر – بيروت لبنان – ١٨٨٥م

–تفسير القرآن، الناشر : المكتبة العصرية – صيدا ، تحقيق : أسعد محمد الطيب

٢. ابن الأثير، عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري ت ٦٣٠هـ /١٢٣٣م، أسد الغابة في معرفة الصحابة، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت / لبنان – ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عادل أحمد الرفاعي

– الكامل في التاريخ، الناشر، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ ، الطبعة : ط٢ ، تحقيق : عبد الله القاضي

–اللباب في تهذيب الأنساب، الناشر، دار صادر – بيروت – ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م

–النهاية في غريب الحديث والأثر، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي

–جامع الأصول في أحاديث الرسول، الناشر: مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، الطبعة : الأولى

٣. الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أدريس الحمودي الحسني ت: ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الناشر : عالم الكتب – بيروت – ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ، الطبعة : الأولى

٤. الأزدي، الحافظ أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يونس الأزدي، ت: ٤٠٣هـ/١٠١٢، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، دار النشر : مطبعة المدني – القاهرة – ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : عزت العطار الحسيني

٥. الأزدي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد الأزدي ت: ٣/شعبان/٤١٢هـ /١٠٢١م، طبقات الصوفية ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٩هـ ١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا
٦. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ت: ٣٧٠هـ/٩٨٠م ، تهذيب اللغة، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت – ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عوض مرعب.
٧. الاصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، ت: ٣٤٦/٩٥٧م، المسالك والممالك، دار النشر: –
٨. الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني ت: ٥٠٢هـ/١١٠٨م، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الناشر: دار القلم – بيروت – ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م تحقيق: عمر الطباع
٩. ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي ت ٦٦٨هـ /١٢٧٠م،عيون الأنباء في طبقات الأطباء، الناشر : دار مكتبة الحياة، بيروت، تحقيق : الدكتور نزار رضا
١٠. البخاري، محمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ت: ٢٥٦هـ/٨٧٠م، التاريخ الصغير (الأوسط) الناشر: دار الوعي ، مكتبة دار التراث – حلب– ١٣٩٧ – ١٩٧٧، الطبعة: الأولى، تحقيق : محمود إبراهيم زايد
– التاريخ الكبير، الناشر : دار الفكر ، تحقيق : السيد هاشم الندوي
– الجامع الصحيح المختصر، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة – بيروت – ١٤٠٧ – ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا
١١. ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال ت : ٥٧٨هـ، ت: ٥٧٨هـ/١٢٧٩م، الصلة، دار النشر:–
١٢. ابن البطريق، افتيشيوس المكنى بسعيد ابن بطريق، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، الناشر: مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٥
١٣. البغوي، تفسير البغوي ، ت: ٥١٦هـ/١١٢٢م، الناشر: دار المعرفة – بيروت ، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك

١٤. البكري، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبو عبيد، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ت: ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، الناشر: عالم الكتب – بيروت – ١٤٠٣، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : مصطفى السقا

١٥. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، ت٢٧٩هـ /٨٩٢م أنساب الأشراف، سنة النشر ١٤١٧ – ١٩٩٧، تحقيق: سهيل زكار – رياض زركلي

– فتوح البلدان، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٣، تحقيق: رضوان محمد رضوان

١٦. البيضاوي، تفسير البيضاوي، ت: ٦٨٥هـ/١٢٨٦م ، الناشر: دار الفكر – بيروت

١٧. ابن البيطار، ضياء الدين أبي محمد عبد اله بن أحمد الأندلسي المالقي ت: ٦٤٦هـ، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت/لبنان – ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م ، الطبعة : لا يوجد ، تحقيق : لا يوجد

١٨. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ت: ٤٥٨هـ/١٠٦٦م، سنن البيهقي الكبرى، الناشر: مكتبة دار الباز – مكة المكرمة ١٤١٤– ١٩٩٤، تحقيق: محمد عبد القادر عطا

– شعب الإيمان، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت– ١٤١٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد

– معرفة السنن والآثار عن الامام أبي عبد الله محمد بن أدريس الشافعي الخسروجردي ت: ٤٥٨، الناشر: دار الكتب العلمية– لبنان/بيروت تحقيق: سيد كسروي حسن

١٩. البيهقي، ظهير الدين علي بن زيد البيهقي ت: ٥٦٥هـ/١١٧٠م ، تتمة صوان الحكمة، الناشر: –

٢٠. ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي ت: ٨٧٤هـ /١٤٦٩م، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الناشر : وزارة الثقافة والإرشاد القومي – مصر

– مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة – ١٩٩٧م ، تحقيق : نبيل محمد عبد العزيز أحمد

٢١. ابن تميم المقدسي، شهاب الدين أبي محمود ابن تميم المقدسي، مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، ت: ٧٦٥هـ/١٣٦٤م، الناشر: دار الجيل، بيروت،١٤١٥هـ/١٩٩٤، الطبعة الأولى، تحقيق: أحمد الخطيمي

٢٢. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ت: ٧٢٨هـ/١٣٢٨م ، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، الناشر : مطبعة السنة المحمدية – القاهرة – ١٣٦٩ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : محمد حامد الفقي

– كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، الناشر : مكتبة ابن تيمية ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي

٢٣. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ت: ٤٢٩هـ/١٠٣٨م، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت/لبنان – ١٤٠٣هـ١٩٨٣م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. مفيد محمد قمحية

٢٤. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ت: ٢٥٥هـ/٨٦٩م، البيان والتبيين، الناشر : دار صعب – بيروت ، تحقيق : فوزي عطوي

٢٥. جمال الدين الأنصاري، جمال الدين أبي محمد عبد الله بن محمد بن هشام الأنصاري، تحصيل الأنس لزائر القدس، الناشر: مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، قبرص، نيقوسيا، الإصدار الثالث والعشرون، ١٤٣٠-٢٠٠٩، تحقيق: عيسى القدومي وخالد نواصره

٢٦. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج ت: ٥٩٧هـ/١٢٠١م، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، الناشر: دار صادر– بيروت – ١٣٥٨،الطبعة : الأولى

– تاريخ بيت المقدس، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب

– زاد المسير في علم التفسير ، الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٤ ، الطبعة : الثالثة

– صفة الصفوة ، الناشر : دار المعرفة – بيروت – ١٣٩٩ – ١٩٧٩ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : محمود فاخوري – د.محمد رواس قلعه جي

– فضائل القدس ، الناشر: دار الفكر، سورية، سنة١٤٠٥هـ، تحقيق محمد مطيع الحافظ
٢٧. حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي ت:
١٠٦٧هـ/١٦٥٧م، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٣ – ١٩٩٢
٢٨. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ت: ٣٥٤هـ/٩٦٥م ، الثقات، الناشر: دار الفكر – ١٣٩٥ – ١٩٧٥، الطبعة : الأولى ، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد
٢٩. صحيح ابن حبان، الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٤ – ١٩٩٣ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط
٣٠. مشاهير علماء الأمصار ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت – – ١٩٥٩ ، تحقيق : م. فلايشهمر
٣١. ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي ت: ٣٢٧/٩٣٩، الجرح والتعديل، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٢٧١ – ١٩٥٢، الطبعة : الأولى
٣٢. ابن حجة، تقي الدين أبي بكر بن علي بن عبد الله التقي الحموي المعروف ابن حجة ت: ٨٣٨هـ/١٤٣٤م ، طيب المذاق من ثمرات الأوراق ، الناشر : دار الفتح – الشارقة – ١٩٩٧م ، تحقيق : أبو عمار السخاوي
٣٣. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٨م ، الإصابة في تمييز الصحابة ، الناسر : دار الجيل – بيروت – ١٤١٢ – ١٩٩٢ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : علي محمد البجاوي
– تقريب التهذيب، الناشر : دار الرشيد – سوريا – ١٤٠٦ – ١٩٨٦ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد عوامة
– تهذيب التهذيب ، الناشر : دار الفكر – بيروت – ١٤٠٤ – ١٩٨٤ ، الطبعة : الأولى
– لسان الميزان، الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – ١٤٠٦ – ١٩٨٦ ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : دائرة المعرف النظامية – الهند –

٣٤. ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد ت: ٤٥٦هـ/١٠٧٣م ، المحلى، الناشر : دار الآفاق الجديدة – بيروت ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي
٣٥. الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٩م ، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١١ هـ – ١٩٩١م ، الطبعة : الأولى
٣٦. معجم البلدان ، الناشر : دار الفكر – بيروت
٣٧. الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي ت: ٤٨٨هـ/١٠٩٥م، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الناشر :
٣٨. الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري ت: بعد ٨٦٦ هـ/١٤٦٢م، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، الناشر: دار الجيل – بيروت / لبنان – ١٤٠٨ هـ . – ١٩٨٨ م، الطبعة: الثانية، تحقيق: إ . لافي بروفنصال
٣٩. ابن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ت: ٢٤١هـ/٨٥٥م ، فضائل الصحابة ، دار النشر : مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٠٣ – ١٩٨٣ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. وصي الله محمد عباس
٤٠. ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، ت: بعد ٣٦٧هـ/٩٧٨م، صورة الأرض، الناشر، دار صادر، بيروت، ١٩٣٨
٤١. ابن خرداذبة، ابن خرداذبة أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله تت: ٣٠٠هـ/٩١٣م ، المسالك والممالك ، الناشر : –
٤٢. خسرو، ناصر خسرو، سفرنامه ، دار النشر: دار الكتاب الجديد– بيروت – ١٩٨٣، الطبعة : الثالثة، تحقيق : د. يحيى الخشاب
٤٣. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت البغدادي أبو بكر ت: ٤٦٣/١٠٧١م، الرحلة في طلب الحديث، الناشر: دار الكتب العلمية–بيروت–١٣٩٥،الطبعة: الأولى، تحقيق: نور الدين عتر
– تاريخ بغداد، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت

٤٤. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٥م ، مقدمة ابن خلدون ، الناشر : دار القلم – بيروت – ١٩٨٤ ، الطبعة : الخامسة
٤٥. ابن خياط، خليفة بن خياط الليثي العصفري أبو عمر ت: ٢٤٠هـ/٨٥٤م ، تاريخ خليفة بن خياط ، الناشر : دار القلم ، مؤسسة الرسالة – دمشق ، بيروت – ١٣٩٧ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : د. أكرم ضياء العمري
٤٦. الدرامي، عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي ت: ٢٥٥هـ/٨٦٩م ، سنن الدارمي، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٧ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي
٤٧. ابن الدمياطي، أحمد بن أيبك بن عبد الله الحسيني، ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، الناشر : دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت
٤٨. ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا، ت ٢٨١هـ/٨٩٤م، الزهد، دار النشر : –
– الهم والحزن ، الناشر: دار السلام – القاهرة – ١٤١٢ – ١٩٩١ ، الطبعة، الأولى، تحقيق : مجدي فتحي السيد
– مقتل علي أمير المؤمنين، دار البشائر – دمشق، الطبعة : الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١، تحقيق : إبراهيم صالح
٤٩. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الناشر: دار الكتاب العربي – لبنان/ بيروت – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. عمر عبد السلام تدمرى
– العبر في خبر من غبر، الناشر: مطبعة حكومة الكويت–الكويت– ١٩٨٤، الطبعة: ط٢، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد
– المغني في الضعفاء ، تحقيق : الدكتور نور الدين عتر
– تذكرة الحفاظ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة : الأولى
– سير أعلام النبلاء ، الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٣ ، الطبعة : التاسعة ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي

- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٤، الطبعة: الأولى، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٥ ،الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود
- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية ، مؤسسة علو - جدة - ١٤١٣ - ١٩٩٢ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد عوامة

٥٠. الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا الرازي ت: ٣١٣هـ - ٩٢٥م، الحاوي في الطب، الناشر : دار احياء التراث العربي - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : اعتنى به: هيثم خليفة طعيمي

٥١. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ت: ١٢٠٥هـ/١٧٩١م، تاج العروس من جواهر القاموس، الناشر : دار الهداية ، تحقيق : مجموعة من المحققين

٥٢. ابن زنجويه، أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني ت: ٢٥١هـ/٨٦٥م، الأموال، الناشر : مركز الملك فيصل، المحقق : شاكر ذياب فياض

٥٣. السبكي، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي ت: ٧٧١هـ/١٣٦٩م ، طبقات الشافعية الكبرى، الناشر : هجر للطباعة والنشر والتوزيع - ١٤١٣هـ ، الطبعة : ط٢ ، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي د.عبد الفتاح محمد الحلو

٥٤. السخاوي، الامام شمس الدين السخاوي ت: ٩٠٢هـ/١٤٩٧م ، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ، الطبعة : الأولى

٥٥. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري ت: ٢٣٠هـ/٨٤٥م ، الطبقات الكبرى ، الناشر : دار صادر، بيروت

٥٦. ابن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام ت: ٢٢٤هـ/٨٣٩م، كتاب الأموال، الناشر : دار الفكر. - بيروت. - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م. ، تحقيق : خليل محمد هراس.

٥٧. السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي ت: ٣٦٧هـ/٩٧٨م ، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، الناشر : دار الفكر – بيروت ، تحقيق : د.محمود مطرجي
٥٨. السمعاني، أبي سعيد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي السمعاني ت: ٥٦٢هـ/١١٦٧م، الأنساب، الناشر : دار الفكر – بيروت – ١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد الله عمر البارودي
– التجبير في المعجم الكبير، الناشر : رئاسة ديوان الأوقاف – بغداد – ١٣٩٥هـ– ١٩٧٥م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : منيرة ناجي سالم
– تفسير القرآن ،الناشر: دار الوطن – الرياض – السعودية – ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم
٥٩. ابن سمعون، أبو الحسن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس البغدادي ت: ٣٨٧هـ/٩٩٧م، أمالي ابن سمعون، دار البشائر، بيروت، ٢٠٠٢م، تحقيق عامر صبري
٦٠. ابن سينا، أبو علي الحسين بن علي بن سينا ت: ٤٢٨هـ/١٠٣٧م ، القانون في الطب، الناشر : ، تحقيق : وضع حواشيه محمد أمين الضناوي
٦١. السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م، تاريخ الخلفاء، الناشر: مطبعة السعادة – مصر – ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد
– الخصائص الكبرى ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
– الدر المنثور ، الناشر : دار الفكر – بيروت – ١٩٩٣
– الديباج على مسلم، الناشر : دار ابن عفان – الخبر–السعودية – ١٤١٦ – ١٩٩٦ ، تحقيق : أبو إسحاق الحويني الأثري
– الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، الناشر : دار الفكر – بيروت / لبنان – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : يوسف النبهاني
– جامع الاحاديث (الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير)، الناشر : دار الفكر، للطباعة والنشر والتوزيع، جمع وترتيب: عباس أحمد صقر، واحمد عبد الجواد

– لب اللباب في تحرير الأنساب، الناشر : مكتبة المثنى – بغداد
٦٢. الشاطبي، أبو إسحاق الشاطبي ت: ٧٩٠هـ/١٣٨٨م، الاعتصام، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى–مصر
٦٣. ابن شداد، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الحلبي ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م ، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة، الناشر :–
٦٤. ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي ت:٢٣٥هـ/٨٤٩م، المصنف في الأحاديث والآثار ، الناشر : مكتبة الرشد – الرياض – ١٤٠٩ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : كمال يوسف الحوت
٦٥. الشيرزي، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله العدوي الشيزري الطبري ت: ٥٩٠هـ/١١٩٤م، نهاية الرتبة، الناشر :
٦٦. الصفوري، عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان الصفوري ت: ٨٩٤ هـ /١٤٨٩م، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، الناشر : دار المحبة – دار آية – بيروت – دمشق – ٢٠٠١ / ٢٠٠٢ ، الطبعة : لا يوجد ، تحقيق : عبد الرحيم مارد يني
٦٧. الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ت: ٢١١هـ/٨٢٦م، تفسير القرآن، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض – ١٤١٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد.
– المصنف، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.
٦٨. ضياء الدين المقدسي، ضياء الدين محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن السعدي المقدسي ت: ٦٤٣هـ/١٢٤٥م، فضائل الأعمال، الناشر: دار الغد العربي – القاهرة
– فضائل بيت المقدس، الناشر : دار الفكر – سورية – ١٤٠٥ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد مطيع الحافظ

٦٩. أبو طاهر السلفي، أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني ت:
٥٧٦هـ/١١٨٠م، معجم السفر، الناشر : المكتبة التجارية – مكة المكرمة ، تحقيق : عبد الله عمر البارودي
٧٠. ابن طاهر المقدسي، وهو المطهر بن طاهر المقدسي ت: ٥٠٧هـ/١١١٣م، البدء والتاريخ ، الناشر : مكتبة الثقافة الدينية – بورسعيد
٧١. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ت: ٣٦٠هـ/٩٧١م، المعجم الأوسط ، الناشر : دار الحرمين – القاهرة – ١٤١٥ ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني
– مسند الشاميين، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٠٥ – ١٩٨٤ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي
– المعجم الكبير ، الناشر : مكتبة الزهراء – الموصل – ١٤٠٤ – ١٩٨٣ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي
٧٢. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت: ٣١٠هـ/٩٢٢م، تاريخ الطبري ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت
٧٣. الطيوري، أبو الحسيني المبارك بن عبد الجبار الطيوري بن عبد الله الصيرفي الحنبلي ت: ٥٠٠هـ/١١٠٧م، الطيوريات من انتخاب الشيخ أبي طاهر السلفي، الرياض/ السعودية – ١٤٢٥هـ –٢٠٠٤م ، الطبعة : الأولى، تحقيق: دسمان يحيى معالي ، عباس صخر الحسن
٧٤. أبو العباس الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري ت:
١٣١٥هـ/١٨٩٧م، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الناشر : دار الكتاب – الدار البيضاء – ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م ، تحقيق : جعفر الناصري/ محمد الناصري
٧٥. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ت: ٤٦٣هـ/١٠٧١م، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، الناشر : دار الجيل – بيروت – ١٤١٢ ، الطبعة: الأولى ، تحقيق: علي محمد البجاوي

– التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب – ١٣٨٧، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري

٧٦. عبد القاهر البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور ت: ٤٢٩، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، دار النشر : دار الآفاق الجديدة – بيروت – ١٩٧٧ ، الطبعة : الثانية

٧٧. ابن عبد ربه، احمد بن محمدبن عبد ربه الأندلسي ت: ٣٢٨هـ/٩٤٠م، العقد الفريد، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت /لبنان – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م ، الطبعة : الثالثة

٧٨. ابن العبري، غريغوريوس بن اهرون الملطي ، ت : ٦٨٥هـ/١٢٨٦م، تاريخ مختصر الدول:، دار النشر :–

٧٩. ابن عثمان، القدس والخليل في الرحلات المغربية ، الناشر: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو، ١٤١٨هـ/١٩٩٧، تحقيق عبد الهادي التازي

٨٠. ابن العديم، المولى الصاحب كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ابن العديم الحلبي ت: ٦٦٠ هـ/١٢٦٢م، زبدة الحلب من تاريخ حلب، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م، الطبعة : الأولى، تحقيق : خليل المنصور

– بغية الطلب في تاريخ حلب، الناشر : دار الفكر ، تحقيق : د. سهيل زكار

٨١. ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي ت: ٥٤٣هـ/١١٤٨م ، أحكام القرآن، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر – لبنان ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا

– قانون التأويل، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلاميَّة، جَدّة، مؤسَسَة عُلوم القرآن، بيروت، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م، الطبعة: الأولى، دراسة وتحقيق، محمّد السّليماني

٨٢. ابن عساكر، أبي القاسم علي بن الحسن إبن هبة الله بن عبد الله الشافعي ت: ٥٧١هـ/١١٧٥م، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل،

الناشر : دار الفكر – بيروت – ١٩٩٥ ، تحقيق : محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري

٨٣. العليمي، مجير الدين الحنبلي العليمي ت: ٩٢٧هـ/١٥٢١م ، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، الناشر: مكتبة دنديس– عمان– ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م، تحقيق : عدنان يونس عبد المجيد نباتة

٨٤. ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي ت: ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الناشر : دار بن كثير – دمشق – ١٤٠٦هـ ، الطبعة : ط١ ، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط

٨٥. العيني، بدر الدين محمود بن أحمد العيني ت: ٨٥٥هـ /١٤٥١م، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت

٨٦. الغزالي، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد ت: ٥٠٥/١١١١م، إحياء علوم الدين، الناشر : دار االمعرفة – بيروت

– سر العالمين وكشف ما في الدارين، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي

٨٧. أبو الفداء، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي ت: ٧٣٢هـ/١٣٣٢م، المختصر في أخبار البشر، دار النشر : –

٨٨. الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي ت: ٢٧٧هـ /٨٩٠م، المعرفة والتاريخ الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٩هـ– ١٩٩٩م ، تحقيق : خليل المنصور

٨٩. ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري ت : ٧٤٩هـ/١٣٤٨م، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، الناشر: –

٩٠. القاري، علي بن سلطان محمد القاري ت: ١٠١٤هـ/١٦٠٥م، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، الناشر : دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م الطبعة : الأولى ، تحقيق : جمال عيتاني

٩١. ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة ت: ٨٥١ هـ/١٤٤٧م، طبقات الشافعية، الناشر : عالم الكتب – بيروت – ١٤٠٧ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. الحافظ عبد العليم خان

٩٢. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري ت: ٢٧٦هـ/٨٨٩م، الإمامة والسياسة، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م. ، تحقيق : خليل المنصور

٩٣. ابن قدامة، قدامة بن جعفر ت: ٣٣٧ هـ/٩٤٨م، الخراج وصناعة الكتابة ،الناشر : دار الرشيد – العراق ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد حسين الزبيدي

٩٤. القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله ت: ٦٧١ /١٢٧٢م، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام ، الناشر : دار التراث العربي – القاهرة – ١٣٩٨ ، تحقيق : د. أحمد حجازي السقا – الجامع لأحكام القرآن، الناشر : دار الشعب – القاهرة

٩٥. القزويني، زكريا بن محمد القزويني ت: ٦٨٢هـ/١٢٨٣م، آثار البلاد وأخبار العباد، الناشر: –

٩٦. القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ت: ٤٦٥هـ/١٠٧٣م، الرسالة القشيرية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت/لبنان – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، تحقيق : خليل المنصور

٩٧. القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي ت: ٦٤٦هـ/١٢٤٨م، أخبار العلماء بأخيار الحكماء، الناشر :–

– المحمدون من الشعراء، الناشر: دار اليمامة، المحقق، حسن معمري

٩٨. ابن القلانسي، أبو يعلي حمزة بن اسد ،ت : ٥٥٥هـ/١١٦٠، تاريخ أبي يعلى ، دار النشر : –

٩٩. القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري ت: ٨٢١هـ/ ١٤١٨م، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، الناشر: وزارة الثقافة – دمشق – ١٩٨١، تحقيق: عبد القادر زكار

– مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، الناشر : مطبعة حكومة الكويت – الكويت – ١٩٨٥ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج

١٠٠. ابن القيسراني، محمد بن طاهر بن علي بن القيسراني ت: ٥٠٧هـ/١١١٣م، المؤتلف والمختلف(الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط)، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١١ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : كمال يوسف الحوت

١٠١. ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م ، البداية والنهاية، الناشر : مكتبة المعارف – بيروت – تفسير القرآن العظيم ، الناشر : دار الفكر – بيروت – ١٤٠١

١٠٢. الكلاعي، أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي ت: ٦٣٤هـ/١٢٣٧م ، الإكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ، الناشر : عالم الكتب – بيروت – ١٤١٧هـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د . محمد كمال الدين عز الدين علي

١٠٣. الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف الكندي المصري ت: ٣٥٥هـ/٩٦٦م، ولاة مصر، الناشر: –

١٠٤. اللقيمي، مصطفى أسعد اللقيمي، تهذيب موانح الأنس برحلتي لوادي القدس، ت: ١١٧٨هـ/١٧٦٥م، الناشر: منشورات الهيئة العامة السورية، دمشق، ٢٠١٢

١٠٥. لطائف أنس الجليل في تحائف القدس والخليل، تحقيق خالد عبد الكريم الهمشري، اطروحة ماجستير، سنة ٢٠٠٠م.

١٠٦. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ت: ٤٥٠هـ/١٠٥٨م ، النكت والعيون، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – لا يوجد ، الطبعة : لا يوجد ، تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم – الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٤١٩ هـ –١٩٩٩ م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض – الشيخ عادل أحمد عبد الموجود

١٠٧. المتقي الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي ت: ٩٧٥هـ/١٥٦٧م، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٩هـ–١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمود عمر الدمياطي

١٠٨. ابن مزاحم المنقري، نصر بن مزاحم بن سيار المنقري ت: ٢١٢هـ/٨٢٧م، وقعة صفين، الناشر:-

١٠٩. المزي، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج ت: ٧٤٢هـ/١٣٤١م، تهذيب الكمال، الناشر: مؤسسة الرسالة-بيروت-١٤٠٠-١٩٨، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. بشار عواد معروف

١١٠. المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م، التنبيه والإشراف، الناشر :

- مروج الذهب ، الناشر : دار الهجرة، تحقيق: أسعد داغر

١١١. مسلم، صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ت: ٢٦١هـ/٨٧٥م ، الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي

١١٢. مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي ت: ١٥٠هـ ، تفسير مقاتل بن سليمان، الناشر : دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : أحمد فريد

١١٣. المقدسي، محمد بن أحمد المقدسي ت: ٣٩٠هـ/١٠٠٠م، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (مختارات)، الناشر: وزارة الثقافة والارشاد القومي - دمشق - ١٩٨٠، تحقيق:غازي طليمات

١١٤. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، الناشر : وزارة الأوقاف - مصر - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : د. جمال الدين الشيال

- السلوك لمعرفة دول الملوك، الناشر : دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا

- المقفى الكبير، ، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١١/١٩٩١، الطبعة الأولى، تحقيق محمد الديملاوي

١١٥. المناوي، محمد عبد الرؤوف المناوي ت: ١٠٣١هـ/١٦٢٢م، التوقيف على مهمات التعاريف، الناشر: دار الفكر المعاصر ، دار الفكر – بيروت ، دمشق – ١٤١٠ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية

– فيض القدير شرح الجامع الصغير، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى– مصر – ١٣٥٦هـ، الطبعة : الأولى

١١٦. ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ت: ٧١١هـ/١٣١١م ، لسان العرب ، الناشر : دار صادر – بيروت ، الطبعة : الأولى

– مختصر تاريخ دمشق، الناشر : دار الفكر، دمشق، تحقيق: روحية النحاس

١١٧. المنهاجي، أبي عبد الله محمد بن شهاب الدين أحمد شمس الدين السيوطي المنهاجي، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ت ٨٨٠هـ/١٤٧٥، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢، تحقيق، الدكتور أحمد رمضان أحمد

١١٨. ابن ناصر القيسي، ابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله القيسي الدمشقي ت: ٨٤٢هـ/١٤٣٨م، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٩٩٣م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي

١١٩. ابن النجار، محب الدين أبي عبد الله محمد بن محمود بن الحسن البغدادي ت: ٦٤٣هـ/١٢٤٥م، ذيل تاريخ بغداد: الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت

١٢٠. النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ت: ٣٠٣هـ/٩١٥م ، المجتبى من السنن ، الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب – ١٤٠٦ – ١٩٨٦ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة

١٢١. أبو نعيم الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ت: ٤٣٠هـ/١٠٣٩م ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٥ ، الطبعة : الرابعة

١٢٢. ابن النقطة الحنبلي، اسم المؤلف: محمد بن عبد الغني البغدادي أبو بكر ت: ٦٢٩هـ/١٢٣٢م، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٨ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : كمال يوسف الحوت

١٢٣. النووي، محي الدين بن شرف النووي ت: ٦٧٦هـ/١٢٧٧م ، تهذيب الأسماء واللغات، الناشر : دار الفكر – بيروت – ١٩٩٦ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات

١٢٤. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ت: ٧٣٣هـ/١٣٣٣م ، نهاية الأرب في فنون الأدب، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : مفيد قمحية وجماعة

١٢٥. ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، ت: ٨٢٨/٢١٣م، السيرة النبوية، الناشر: دار الجيل – بيروت – ١٤١١، الطبعة: الأولى، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد

١٢٦. الواقدي، أبو عبد الله بن عمر الواقدي ت: ٢٠٧هـ/٨٢٢م، فتوح الشام، الناشر:دار الجيل– بيروت

١٢٧. ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر الشهير ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م ، تاريخ ابن الوردي، الناشر: دار الكتب العلمية– لبنان/بيروت – ١٤١٧هـ– ١٩٩٦م، الطبعة : الأولى

١٢٨. أبي الوفاء، عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي أبو محمد ت: ٧٧٥هـ/١٣٧٣م، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، الناشر : مير محمد كتب خانه – كراتشي

١٢٩. اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي ت: ٧٦٨هـ/١٣٦٧ ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، الناشر : دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

١٣٠. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب ت: ٩٠٥/٢٩٢م، البلدان، الناشر :

١٣١. تاريخ اليعقوبي، الناشر : دار صادر – بيروت

١٣٢. أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي ت: ٩١٩/٣٠٧م ، مسند أبي يعلى، الناشر : دار المأمون للتراث – دمشق – ١٤٠٤ – ١٩٨٤ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : حسين سليم أسد

ثالثا: المراجع

١. أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، الناشر : المكتبة العلمية – بيروت

٢. إسحاق رباح، تاريخ القدس عبر العصور، الناشر: كنوز المعرفة، ٢٠١٠، الطبعة الأولى

٣. إسماعيل باشا، إسماعيل باشا البغدادي ت: ١٣٣٩هـ/١٩٢١م، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٣ – ١٩٩٢

٤. أكرم ضياء العمري، موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، الناشر: دار طيبة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، الطبعة الثانية

٥. إلياس شوفاني، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي منذ فجر التاريخ حتى سنة١٩٤٩، الناشر، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ديسمبر ١٩٩٦، الطبعة الأولى

٦. بيان نويهض الحوت، فلسطين القضية الشعب الحضارة، دار النشر: دار الاستقلال للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩١، الطبعة الأولى

٧. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، الطبعة الثانية

٨. حسن ظاظا، القدس مدينة الله أم مدينة داود، الناشر: مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٧٠

٩. خليل سركيس، تاريخ القدس المعروف بتاريخ أورشاليم، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، الطبعة الأولى

١٠. خير الدين بن محمود الزركلي، الأعلام، الناشر: دار العلم للملايين، مايو ٢٠٠٢ م، الطبعة الخامسة عشر

١١. ديمتري رزق، قصة الأقباط في الأراض المقدسة، دار النشر: رابطة القدس للأقباط الأرتوذكس، ١٩٦٧م

١٢. رفيق النتشة واسماعيل ياغي وعبد الفتاح أبو علية، تاريخ فلسطين وجغرافيتها، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م

١٣. زيدان كفافي وآخرون، القدس عبر العصور ،٢٠٠١، اربد، جامعة اليرموك.

١٤. سيد العفاني، تذكير النفس بحديث القدس، الناشر: مكتبة معاذ بن جبل، مصر، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، الطبعة الأولى.
١٥. شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
١٦. شوقي شعث، القدس الشريف، الناشر: آفاق ثقافية مقدسية، ، حزيران، ٢٠٠٩، العدد ٧٤
١٧. صالح الحمارنة، الناس والأرض، الناشر: دار الينابيع للنشر والتوزيع، ١٩٩١
١٨. صالح بن فوزان الفوزان، كتب المناهج والفرق ، ١٤٢٣/١٢/٢٣هـ، الطبعة الثانية
١٩. صلاح الدين البحيري وأخرون، المدخل إلى القضية الفلسطينية، الناشر: مركز دراسات الشرق الأوسط، فبراير ١٩٩٧، الطبعة الثالثة
٢٠. ظفر لإسلام خان، تاريخ فلسطين القديم منذ أول غزو يهودي حتى أخر غزو صليبي، ١٢٢٠ق.م/١٢٥٩م، الناشر: دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة، ديسمبر ١٩٧٢م
٢١. عارف باشا العارف، تاريخ القدس، الناشر: دار المعارف، ١٩٥١، الطبعة الثانية
٢٢. عبد الحميد الكاتب، القدس: الناشر: دار الشروق، ١٩٩٨
٢٣. عبد الناصر الفرا، الجذور التاريخية لمدينة القدس وكيفية الحفاظ عليها، جامعة القدس المفتوحة، خانيونس.
٢٤. عبلة المهتدي، القدس تاريخ وحضارة(٣٠٠٠ق.م-١٩١٧م)، الناشر: دار نعمة للطباعة، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، الطبعة الأولى
٢٥. عرفه عبده علي القدس العتيقة مدينة التاريخ والمقدسات، الناشر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٧، الطبعة الأولى.
٢٦. على السيد علي، القدس في العصر المملوكي، الناشر: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٦، الطبعة الأولى، ماجستير.

٢٧. فيليب حتي، العرب تاريخ موجز، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، يوليو ١٩٩١

٢٨. كامل جميل العسلي، معاهد العلم في بيت المقدس، الناشر: جمعية المطابع التعاونية، عمان، ١٩٨١

٢٩. المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا ت:١٣٥٣ /١٩٣٤م، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت

٣٠. محمد بن عبد الرزاق كُرْد علي، خطط الشام، الناشر : مكتبة النوري، دمشق١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م، الطبعة الثالثة

٣١. محمد عبد عنان، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣، الطبعة الثالثة

٣٢. محمد محاسنة و أخرون، تاريخ مدينة القدس، الناشر: دار حنين للنشر والتوزيع، عمان: ٢٠٠٢.

٣٣. محمد محاسنة، حقيقة القدس، الناشر: منشورات أمانة عمان الكبرى، عمان، ٢٠٠٤

٣٤. محمد محمد حسن شراب، القدس أسسها العرب ورفع قواعدها المسلمون، الناشر: الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٦، الطبعة الأولى

٣٥. مصطفى الحياري، مدينة القدس في عصر الفاطميين والفرنجة، الناشر: مكتبة عمان، ١٩٩٤

٣٦. مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، الناشر: دار الهدى كفرقرع،١٩٩١

٣٧. المفصل في تاريخ القدس، الناشر: دار المعارف، القدس،١٩٩٩،الطبعة الخامسة

٣٨. مؤسسة القدس قسم الإعلام والأبحاث، القدس المدينة والحكاية، بيروت، ٢٠٠٥

٣٩. الموسوعة الفلسطينية، دمشق، طبعت في مطابع ميلانو ستامبا الإيطالية

٤٠. ميخائيل مكسي إسكندر، القدس عبر العصور، ١٩٧٢

٤١. ياسين سويد، حروب القدس في التاريخ الإسلامي والعربي، الناشر، دار الملتقى للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٧
٤٢. يحيي الفرحان، قصة مدينة القدس، سلسلة المدن الفلسطينية ٦، صدرت عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية

رابعا: الرسائل العلمية

١. حمد أحمد يوسف، بيت المقدس من العهد الراشدي إلى نهاية الدولة الأيوبيه، جامعة الأزهر بمصر، ١٩٧٧، ماجستير.
٢. خليل عثامنة، فلسطين في خمسة قرون من الفتح الإسلامي حتى الغزو الفرنجي، الناشر: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، إبريل ٢٠٠٠، الطبعة الأولى، دكتوراه.
٣. سليمان عطية، تاريخ التعليم في فلسطين من الفتح العربي إلى آخر الأيوبيين، جامعة القاهرة، ١٩٥٣ م، ماجستير.
٤. شريف محمد أبو شمالة، فلسطين تحت الحكم المباشر(١٣٢-٢٦٤هـ/٧٥٠-٨٧٨م)، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ماجستير
٥. علي الغامدي، بلاد الشام قبل الغزو الصليبي(٤٦٣-٤٩١هـ/١٠٧٠-١٠٩٨م) جامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ماجستير.

خامسا: الكتب المترجمة

١. أدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري عصر النهضة في الإسلام، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ترجمة للعربية محمد عبد الهادي أبو ريده
٢. روجيه جارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، دار النشر: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، طبعة عام ١٩٩١، ترجمة قصي أتاسي وميشيل واكيم
٣. هنري كتن، القدس، الناشر: دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ١٩٩٧، الطبعة الأولى، ترجمة إبراهيم الراهب

سادسا: الأبحاث العلمية

١. رشاد المدني، بيت المقدس في عيون الرحالة المسلمين والأجانب في القرنين الخامس والسادس الهجريين، بحث مقدم للمؤتمر الخامس لكلية الآداب بعنوان القدس تاريخا وحضارة، الجامعة الإسلامية، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

٢. سعيد البيشاوي، الاستيطان الفرنجي في بيت المقدس والمناطق المحيطة بها (١٠٩٩-١١٨٧م) بحث في جامعة القدس المفتوحة

٣. سعيد البيشاوي، القدس والتاريخ، بحث عن الغزو الصليبي لمدينة القدس.

٤. عبد الله بن سليمان المنيع، بحث فى تحويل الموازين والمكاييل الشرعية الى المقادير المعاصرة، مجلة البحوث الإسلامية، العدد التاسع والخمسون.

Abstract

The study addressed The Public Affairs in Jerusalem (Bayt Al-Maqdis) from the beginning of the Abbasid Rule until the Crusader invasion 750-1099 / 132-492 AH: (A Civilization Study).

The study included an introduction , four chapters , a conclusion , a list of resources and references, which was adopted by the researcher.

The introduction dealt with the problem of the study, its importance and the difficulties faced the researcher during the study . The introduction concluded the most important sources and references.

The first chapter contains the most important historical events, geographical and religious importance and features, in addition to the political situation and its impact on the social environment of the city.

This chapter has started with a preliminary study for Jerusalem city. At the early time of Islam and the first Abbasid era. Then the Tulunids rule and after them the Fatimid era and what characterized this era with chaos and disorder . This study also focuses on the Seljuk rule. It ended with the Crusader invasion of Palestine.

The second chapter handled the administrative conditions, which included the area of the city and its location for the Palestinian cities and neighboring towns and villages. And Also it addressed the economic conditions of the three forms, Agriculture, Trade and Industry.

The third chapter handled the demographics of the city and the progress of the Arab in the past and present compared with other races. Moreover, talking about the most important Arab tribes, the most important Islamic sects and denominations. Furthermore , talking about Christianity and the most important communities. As well as, the relationship between Muslims and dhimmis. This chapter concentrated also on the effect of crises and disasters on the population of the city, as well as identifying the most important Islamic and Christian holidays

and events people of Jerusalem, especially how they dressed up , the way they were eating. and burial customs of the city and the most important cemeteries.

The fourth chapter in which the researcher collected the most important scientific and cultural centers in Jerusalem. And studying all of Jerusalem scientists in period of the research . Those scientists were divided according to their specialties. The researcher started with legitimate science , Arabic language , social studies, philosophy, science and medicine.